تلخيص البيان في مجازات القرآن

تأليف

الشريف الرضي

تحقيق وتقديم

الدكتور علي محمود مقلد

منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان

فهرس

تنويه بالطبعة الحاضرة

تتميز هذه الطبعة عما سبقها من طبعات بالتصحيح الدقيق كما تميزت بشرح بعض المعاني التي اغفلت شرحها الطبعات القديمة نظراً لبعد الاجيال الحاضرة عن التعمق في اللغة ، وربما بسبب تطور ادوات اللغة المستعملة في عصرنا واختلافها عن الادوات التي كانت مستعملة في مطلع القرن ، وهذا امر طبيعي جداً لان اللغة ، في كل مكان ، كائن حي يتطور ويتغير ، كما تميزت بدراسة حول مجازات القرآن وحول « المتشابهات » من الآيات والتي يظن البعض انها « منسوخة » . ولكن الحقيقة هي ان كلام الله ازلي لا ينسخ ولكن فهمنا المقصر والمحدود بالزمان وبالمكان ، لا يتقبل الا كل ما هو متغير ومتبدل ، بحكم الفطرة ، وينفر من « الفكرة الازلية » لذا قضت « المشيئة واللطف » بالتيسير رأفة ومنة ، فوردت الآيات محكمات مرة ومرة متشابهات، بحسب عقلنا وفهمنا وتسرعنا . . .

وتميزت هذه الطبعة بنبذة عن حياة الشريف الرضي .

ومما تتميز به هذه الطبعة أيضاًمقابلتهاعلى ثلاث نسخ مطبوعة من هذا الكتاب ثم الاشارة اليها في الحواشي بالرموز التالية :

ن : ترمز الى نسخة مخطوطة في الكتاب موجودة في النجف عند السيد محمد الموسوي الجزائري .

ط : ترمز الى نسخة مطبوعة في طهران باشراف الاستاذ محمد المشكاة .

م : ترمز الى نسخة ثالثة مطبوعة في مصر اشرف عليها الاستاذ محمد عبد الغني حسن .

مقدمة المحقق

المجاز في القرآن الكريم

﴿ هُوَ الذِي أَنْـزَلَ الَيْـكَ الكِتَـابَ مِنْـهُ آيَـاتٌ مُحْكَمَاتٌ ، هُنَّ أُمُّ الكِتَـابِ وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . . . ﴾ (آل عمران ٧) .

المتشابهات من الآيات هُنَّ الاكثر اعجازاً اذ لا يفهمها الا الراسخون في العلم ، لـذا وجب التنبيـه الى سـوء مـا يقـع فيـه البعض من الـظن ان بعض الآيات من القرآن قد نسخت بالبعض الآخـر نسخ أبـطال . وحاشـا لكلام الله ان يبطل بعوامل الظروف الـزمنية . انمـا قضى اللطف بالتيسـير للامـة ان تجعل بعض الآيات ذات مدلولات شمولية بحيث يتيسر لكـل قوم في كـل عصر ، ان يفهمـوهـا بحسب مقتضيـات الاحـوال . منعـا للحـرج في الـدين ، وربمـا لان الراسخين في العلم لا يسمع لهم قول في كل زمان والله اعلم .

وفي كتـاب « تلخيص البيان في مجـازات القرآن » للشـريف الـرضي شيء من هذا القصد . والعودة الى القرآن ذخر لكل فـرد . واقصد العـودة الفرديـة ، العودة غير المقـرونة بـالطقـوس والمظاهـر ، عودة الانسـان الى ربه المتجـلي له في آيات القرآن ومعانيه دون شرح ولا تأويـل ولا تفسير ، بـل تفرغ فـردي وتسليم فـردي وعدم هجـران للقرآن ، فـردي . ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَـا هَذَا القُرْآنَ عَـلَى جبلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا . . . ﴾ . [الحشر ٢١] .

وفي ما يلي نقدم بحثاً عن المجاز والتأويل ثم التأويل والمعرفة ، ونختمها بنبذة عن حياة الشريف الرضي . مع جدول بالتآليف حول مجازات القرآن .

المجاز والتأويل في القرآن الكريم

ارتبط تأويل القرآن الكريم ـ اي العودة بمعانيه الى اساسها ، الى اولها ، الى حقيقتها ـ بالخلاف حول المحكم والمتشابه من جهة ، وبالخلافات السياسيّة والعقائدية من جهة اخرى ، وارتباط التأويل بالخلاف حول المحكم والمتشابه ، وبالخلافات السياسية ما ذكر عن ابن عباس قوله في الخوارج : يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه .

وردت الآية : ﴿ هُوَ الذِيَ انْزَلَ الَيْكَ الكِتَابَ ، فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ ، وأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَامَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ، فَيَتبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ ، وابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إلاَّ اللهُ والراسِخُونَ فِي العِلْمِ ، يَقُولُونَ آمَنا بِهِ ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِنَا . . . ﴾ [آل عمران ، ٧] ؛ والآية ١٦٢ من سورة النساء : ﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ والمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا انْزِلَ إلَيْكَ ﴾ وكثر القول حول معنى « المتشابه » ؛ فبعضهم قال ان المتشابهات هي كلمات مطالع السور من الاحرف المجمعة . ومنهم كالقاضي عبد الجبار ، من يرى ان بعض الآيات التي وردت في المسيح بانه « كلمة الله » ألقاها الى مريم ، فسرها قوم من النصارى بما يلائم قولهم فيه ، فنزلت الآية المحكمة : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران ٥٩] . فالآية الاولى من المتشابهات ، والثانية محكمة . ويقال ان القصد من الاولى المجاز .

فبعض العبارات المجازية في القران اوّلها اخصام محمد (ص) تأويلاً هو اقرب الى التفسير منه الى التأويل . اي اولوها بظاهر المعنى دون ادراك البواطن او الحقيقة من وراء ظاهر الكلام : ولا بد من **تعريف المحكم والمتشابه** في مطلع البحث .

فالمتشابه ، ليس هو الحروف المقطعة في اوائل السور . بل المتشابه من الآيات هي الآيات الصعبة الفهم على البشر عامة بحيث لا يفهمها الا الله والراسخون في العلم . بمعنى ان المتشابه من الآيات ليس هو الغامض ، بل هو الذي يعجز عامة البشر من العلماء عن فهمه . لان فهم المتشابه يقتضي رسوخاً في العلم . وهذا لا يتم بالجهد والارادة فقط بل لا بد فيه من اللطف . فالرسوخ في العلم يعني نوعا من المعرفة اللدنية .

فالمحكم عند ابن عباس هي الآيات المتعلقة بالتشريع العملي . اما المتشابهات فهي التي يؤمن بها فقط . وهناك تعريف اقرب الى الصحة يقول فيه محمد بن جعفر بن الزبير : المحكمات « فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعت له » اما المتشابهات فهي « متشابهات في الصدق ، لهن تصريف وتحريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق »[1] .

يفهم من هذا ان المتشابه يحتاج لتأويل او تصريف ، يقوم به الراسخون في العلم . فالمتشابه هو مشكل في اعين غير الراسخين في العلم . وهو بهذا المعنى محوج لهم اللجوء الى الراسخين ، ابتلاءً وامتحانا واختبارا .

وامام الراسخين في العلم تنحل مشكلة تفسير القصد من المتشابهات من الآيات . سواءً كانت اوائل السور ام السور التي فيها اشكال في نظر غير الراسخين .

١- تاريخ الطبري ، جزء ٦ ، ص ١٧٧ .

فالقرآن كلام الله باجماع المسلمين المؤمنين . ومتشابهه ومحكمه من الله . اما المحكم فهو الواضح ، والوضوح هنا ليس ميزة . اما المتشابه فلا يقل عن المحكم قيمةً بأي معنى من المعاني . ولكن الحكمة فيه انه لفهمه يحتاج الى علم الراسخين فيفسرونه لغير الراسخين ووجه الابتلاء هو ان غير الراسخين ملزمون بطلب تفسيره من الراسخين . والا وقعوا في الجهل . وفي هذا تحدٍ لهم . وبهذا المعنى يكون العلم بالقرآن علماً لَدُنِّياً لا يؤخذ بالكسب ولا بالاجتهاد . ان الرسوخ في العلم يتطلب اهلية يمنحها الله من يشاء ، ولا تمنح الا لمن عناية الله بهم اكبر .

وهذا يعني ان مجازات القرآن التي غالباً ما تقترن بالايات المتشابهات هي تذكير للناس بوجوب السعي الى الراسخين في العلم ، اي الى من اختصهم الله برحمته . وهنا تطرح مسألة تتعلق بماهية القرآن . ان القرآن فيه الآيات التي تحير المفكر العادي ، من ذلك مثلاً الجبر والاختيار ، والمشيئة والمسؤولية . . . وهذا يعني عدم الوضوح ، ان لم يطرح مشكلة التناقض ، وفي منطق قرآني ، يجل كلام الله عن ذلك . وفي منطق قرآني كلام الله لا يشمله الزمان والمكان ، ولا يحدانه . واذا فهو كلام غير زمني اي غير تاريخي ، ولا هو مرتبط بجغرافيا . وفي الوقت نفسه هو كلام ككلام الناس من حيث حروفه وتركيبه ، واذا فكيف يكون القرآن غير محكوم بالتاريخ والجغرافيا ، ويكون مفهوما من البشر . ان معجزة القرآن ليست مربوطة بعصر النبي ، انها خالدة ، وسر خلودها لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم . من هنا كان التعامل مع القرآن امر صعب ، اذ ما جدوى اعجاز القرآن ، وانه الآية وانه احد الثقلين اللذين يمنعان من الضلالة . وما هو الثقل الآخر ان لم يكن ذاك الشخص او اولئك الاشخاص القادرين على فهم القرآن فهماً يشبه فهم من انزله على عبده : اي الراسخون في العلم . من هنا كان فهم المتشابه من الآيات هو المعجزة الابدية التي يقتضي دوام وجودها دوام وجود العلم بها ، وبالتالي العالم بها او العالمين بها .

ان الراسخين في العلم الذين جعلهم الله اسرار علمه ، ليسوا اشخاصا كبقية الاشخاص العاديين . انهم من المصطفين الاطهار .

ويقول الراغب الاصفهاني[1]: والعلم ادراك الشيء بحقيقته . اما المعرفة فهي ادراك الشيء بتفكر وتدبر لاثره . وهذا يعني ان الانسان لا يستطيع القول : علمت الله ما دام العلم اراك ذات الشيء وحقيقته . وكل ما يستطيع الانسان قوله : عرفت الله من حيث ان المعرفة تكون بتدبر اثر الشيء . ومصدر العلم والمعرفة بالنسبة الى الانسان هما الله سبحانه بما يوحيه للرسل ويطلب اليهم ان يبلغوه البشر ، ثم العقل البشري الذي ينظر ويفكر ويتدبر في الكون[2]. من هنا تكون المعرفة بالمحكمات وللمحكمات ويكون العلم بالمتشابهات وللمتشابهات. ويكون العلم محصوراً بالله وبمن ان اسبغ عليهم نعمة العلم من فضله وهم الاولياء المختارون .

وعلى هذا التأسيس تكون مجازات القرآن هي الايات المتشابهات التي يعجز عن فهم معانيها العلماء بعقلهم والعارفون بعلمهم ، ولا يتيسر فهمها الا للراسخين . وسرُّ ذلك كي تبقى معجزة القرآن قائمة ، اذ لو كانت معاني القرآن كلها محكمة ، وكلها واضحة لسقط في التأريخية ومن ثم سرت عليه قوانين الزوال . وبما ان القرآن ازلي سرمدي فإن فهم متشابهه هو السر في ديمومة بقائه هادياً .

(١) د . محمد أحمد خلف الله ، مفاهيم قرآنية ، عالم المعرفة ، عدد ٧٩ . ص ١٣٩ / الكويت ١٩٨٤ / تموز .
(٢) نفس المصدر ص ١٤٠ .

التأويل والمعرفة

ان القرآن هو الوجود الجامع . وهو كلمات الله المرقومة . وتتجلى في القرآن ثنائية الظاهر والباطن . ويمكن النظر الى هذه الثنائية من خلال ثنائية المحكم والمتشابه . او التنزيه والتشبيه ، او الجبر والاختيار او الظهور والحجاب . والتقابل او الثنائية في آيات القرآن يحتاج الى التأويل الذي يقرب الفهم من ثنائيات النص القرآني . ان معضلة التنزيه والتشبيه تعد طرحا دينيا لمشكلة اللغة . ان اللغة نتاج بشري ومن ثم فهي تعكس خبرة الانسان المحدود في الزمان والمكان . وحين تعبر اللغة عن المطلق والمثالي فهي انما تعبر بمفاهيم المحدود والمحسوس . ومعضلة الثنائية في القرآن لها بعد معرفي . فالسؤال ـ ضمن المعطيات اللغوية الأرضية ـ كيف نفهم النص القرآن المحدود بحدود الزمان والمكان على انه كلام الله الازلي[1] .

ان الوجود واحد في حقيقته . والكثرة تقوم على وحدة باطنية . ولا تدرك هذه الوحدة الا من قبل اصحاب الادراك . والحقيقة الإلهية لا تدرك ولا تعلم . والعلم بها يكون جزئياً ، فاذا عجز العقل البشري عن ادراك الحقيقة ارتد الى الشريعة ، اي الى الاكتفاء بالعلم الظاهر . وقصة صاحب موسى في القرآن معروفة ، ودلالتها على المعرفة الحقة والمعرفة الظاهرة واضحة ، والجمع بين العقل والشرع مطلوب لان الشرع فيه رفع للحدود . وفيه الاعذار للجهال ، او لعامة الناس .

(١) أبو زيد (نصر حامد) فلسفة التأويل ، دار الوحدة ، التنوير ، بيروت ١٩٨٣ ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢ .

اما آيات التشبيه في القرآن ، يقبلها العامي بمقدار فهمه . اما العقل فلا يستطيع ان يقبلها على ظاهرها دون تأويل . والمتشابه من آيات القرآن يجب ان يفهم على ظاهره دون لجاج ممن لا يستطيع الغوص . ان ادراك العامة يكون بضرب من التخيل والتوهم . اما ادراك الراسخين في العلم ، فيغوص الى بواطن المعرفة بالمقدار الذي تسمح به الالطاف الربانية ، فالقرآن كلام الله وجنته . والله وحده يتيح لمن يشاء وبالمقدار الذي يشاء دخول هذه الجنة جنة المعرفة . « وعلى الانسان العادي ، او الانسان الحيوان ان يقنع بالتسليم بما جاء به الشرع دون محاولة للتأويل او اعمال العقل حتى لا يزيغ ، يكفيه ان يقلد الشرع فيلزم جانب الامان من الزيغ والضلال »[١]. ان المتشابه ، في حقيقته ، محكم . ويجب ان لا تفهم الاسماء التي توهم التشابه بين الله وخلقه ، في اطار البعد الاصطلاحي للغة ، بل يجب على المؤمن ان يؤمن بهذه الاسماء ، ويتلوها دون محاولة لفهمها ، فيكون كغير العربي الذي يقرأ القرآن تعبداً دون فهم . لأن فهم المعاني الحقيقية الباطنة لكلام القرآن لا يكون الا لاهل الله وبالمقدار الذي سمح به الله[٢].

« على المؤمن العادي ان يقنع بظاهر النص ، وهو يدل على التنزيه والتشبيه معاً ، وعليه ان يقتنع بفهم هذا الظاهر في اطار فهمه للغته دون تشبيه ، فالقرآن نزل للعامة بلغتهم . « ففيه ما في اللسان العربي ، ولما كانت عامة الناس لا تعقل ما لا يعقل الا حتى ينزل لها في التوصيل لما تعقله ، لذلك جاءت هذه الكلمات على هذا الحد كما قال : ﴿ ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ ادنى ﴾ . ولما كانت الملوك عند العرب تجلس عبدها المقرب المكرم منها بهذا القدر في المساحة فعقلت عن هذا الخطاب قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ، ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب »[٣].

(١) أبو زيد (نصر حامد) ، فلسفة التأويل ، دار الوحدة ، التنوير ، بيروت ١٩٨٣ ص ٣٧٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٧٦ .
(٣) الفتوحات المكية ، ١/ ٣٨ .

اما الانسان العارف فهو يعرف المعنى الحقيقي الباطن وراء هذه الالفاظ والعبارات الموهمة التشبيه ، وذلك بتخلية القلب والاستعداد للفهم عن الله « وذلك بان نفرغ قلوبنا من النظر الفكري ، ونجلس مع الحق تعالى بالذكر على بساط الادب والمراقبة والحضور والتهيوء لقبول ما يرد علينا منه تعالى حتى يكون الحق تعالى يتولى تعليمنا على الكشف والتحقيق »[١]. وبهذا الكشف يمكن للعارف تأويل هذه الآيات تأويلاً يردها الى اصلها في العالم الإلهي ، والتأويل بهذا المعنى ـ من الاول وهو الرجوع ـ هو رد الاشياء الى اصولها وحقيقتها الباطنة» .

بعد هذه المقدمة حول مجازات القرآن وتأويله نخلص الى نتيجة موجزة بالآية الكريمة ﴿ وما يعلمُ تأويلَهُ إلا الله والراسخونَ في العلمِ يقولونَ آمنّا بهِ كلّ مِنْ عندِ ربِّنا . . . ﴾ . فالراسخون في العلم هم العارفون وهم قلة . ولكنهم الدعامة التي تجعل القرآن شأناً فوق الزمن الارضي وفوق الفضاء الارضي .

والشريف الرضي حين تعرض لمجازات القرآن قام بالامر بلباقة العارف . يتحصل هذا من عنوان الكتاب : « تلخيص البيان في مجازات القرآن » . والشريف لم يتعرض لبحوث خارج نطاق الدلالة الواردة في بعض الآيات .وأعرض عن التفلسف حول هذه المجازات ربما احتراما لدلالاتها . وهذا من شأن العلماء بحق انهم متواضعون .

ونحن حين تولينا اعداد هذا السفر الجليل لاعادة الطباعة كان همنا بالدرجة الاولى توضيح بعض المعاني لبعض الكلمات التي تحتاج بفضل تغير نوعية القراء الى مزيد من التوضيح،وقد الحقناها بالهوامش حسب مقتض الحال .

والخطوة الثانية التي قمنا بها اننا صححنا الاخطاء المطبعية التي وردت في

(١) الفتوحات المكية ١/ ٨٨ ، أورده أبو زيد ص ٣٧٧ .

طبعة ١٩٥٥ المعتمدة . وهـذه الاخـطاء التي وردت ضمن مـا يقارب ست عشرة صفحة بلغ مجموعها ٣٦٨ كلمة واضفنا تصحيح بعض الاخطاء التي اغفلت ، ثم اوردنا مقدمة حول مجازات القرآن وتأويله . كما اثبتنا ملخصاً لحياة الشريف الرضي استقيناه من مقدمة شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد . واخيراً اوردنا لائحة بالكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه ، وكان مرجعنا في هذا الفهرست لابن النديم .

اما مرجعنا في ما يتعلق بتأويل مجازاة القرآن فقد عدنا فيه الى الجزء السادس من تاريخ الطبري والى كتاب الدكتور نصر حامد ابو زيد وعنوانه « فلسفة التأويل » (دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي ، ثم الكتاب الآخر لنفس المؤلف وعنوانه « قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ») . والكتابان نشرتهما دار التنوير في بيروت ، سنة ١٩٨٢ ، و١٩٨٣ على التوالي .

وبهذا نقدم للقراء كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » في اطار يستحقه . والله ولي التوفيق .

بيروت في اول آب ١٩٨٤

علي مقلد

دكتور في الفلسفة

ترجمة المؤلف
الشريف الرضي
(٣٥٩/ هـ ـ ٤٠٤/ هـ)

محمد بن حسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم ابن الامام موسى الكاظم . وكنيته ابو الحسن الشهير بالشريف الرضي . وورد ذكره في كتاب الرجال للامير مصطفى التفرشي . وروى عنه شيخ الطائفة الطوسي ، وجعفر ابن محمد الدورستي ، والسيد عبد الرحمن النيسابوري ، وابن قدامة ، وجماعة ، اما هو فقد روى عن جماعة منهم الشيخ المفيد .

صفاته ـ يروى عن الشريف الرضي نوادر عن انفته ، من ذلك انه كان يوماً عند الخليفة الطايع بالله العباسي ، وكان الشريف يعبث بلحيته ويرفعها الى انفه ، فقال له الطايع : اظنك تشم منها رائحة الخلافة . فقال الشريف بل رائحة النبوة اعتدادا بنسبه الشريف ، وان الخلافة ليست كل ما يطمح اليه ، بل لجعلها بالمقام الذي يقربها من النبوة . اما لقبه الرضي فقد لقبه به بهاء الدولة بن بويه . وكان يخاطبه بالشريف الاجل ، كما ورد في الدرجات الرفيعة للسيد علي خان الشيرازي . وأورد ذكره ايضا الباخرزي في دمية العصر والثعالبي في يتيمة الدهر ، وابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة .

وذكر ابن ابي الحديد انه كان عفيفا شريف النفس ، عالي الهمة لم يقبل من احد صلة ولا جائزة ، حتى من ابيه .

وكان طموحاً تنازعه نفسه الى امور عظيمة فينظمها في شعره ولا يجد

عليها من الدهر مساعداً حتى مات كمداً دون ان يبلغ غرضه .

ابتدأ ينظم الشعر وهو ابن عشر سنين ، فبز به اهل زمانه . وكان ابوه يتولى نقابة الطالبيين ويحكم فيهم . وكان له النظر في المظالم والحج بالناس . فتخلى الاب عن هذه المناصب لولده الرضي سنة ٣٨٠هـ وابوه حي .

ومن غرر شعره ما كتبه الى الخليفة القادر بالله العباسي ، من قصيدة يقول فيها :

عطفاً امير المؤمنين فإننا	في دوحة العلياء لا نتفرقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	ابداً كلانا في المعالي معرقُ
الا الخلافة ميزتك فإنني	انا عاطل منها وانت مطوقُ

ومن شعره ايضا يخاطب نفسه :

دنت المعالي فامتنعن ولم يزل	ابداً يمانع عاشقاً معشوقُ
وصبرت حتى نلتهن، ولم اقل	ضجراً دواء الفارك التطليقُ

وذكر انه تلقن القرآن بعد ان دخل في السن فحفظه في مدة وجيزة . وصنف كتاباً في معاني القرآن قل نظيره ، كما صنف كتابه هذا في « مجازات القرآن » .

قال ابو الحسن العمري وكان يقدم على الشريف المرتضى ، اخي الشريف الرضي ، والمرتضى اكبر لمحله في نفوس العامة والخاصة ، ان الشريف الرضي بعد ان حفظ القرآن على الكبر ، وهب له معلمه داراً يسكنها فاعتذر الرضي منه وقال: اني لا اقبل عطاء ابي فكيف اقبل عطاءك ؟ فقال المعلم: ان حقي عليك اعظم من حق ابيك . وتوسل اليه فقبل منه الدار .

وذكر ان الشريف المرتضى استأذن للدخول على الوزير ابي محمد المهلبي ، ذات يوم فأذن له ، فلما دخل قام اليه الوزير واكرمه واحله معه في مقامه واقبل عليه يحدثه حتى فرغ من مهمته . ثم قام فقام اليه وودعه وخرج ، فلم تكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي ،

وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة ، فالقاها وقام يستقبل الشريف من دهليز الدار واخذ بيده واجلسه في مقامه ثم جلس بين يديه متواضعا ، فلما خرج الرضي خرج معه وشيعه الى الباب ، ثم رجع . فلما خف المجلس قال الكاتب: ايأذن لي الوزير ان اسأله عن شيء ؟ قال: نعم . وكأني بك تسأل في اعظامي للرضي على المرتضي . فقال: نعم . فقال : اعلم ان الرضي بلغني ذات يوم انه ولد له غلام ، فارسلت اليه بطبق فيه الف دينار ، فرده وقال: قد علم الوزير اني لا اقبل من احد شيئاً ، فرددته اليه وقلت:اني انما ارسلته للقوابل . رده الثانية ، وقال: قد علم الوزير ان القوابل لا يولدن نساءنا ، وانما يتولى ذلك عجائزنا ، ولسن ممن يأخذن اجرة . فرددته اليه وقلت: يفرقه الشريف على طلابه . فلما جاءه الطبق وحوله طلاب العلم قال: ها هم حضور فليأخذ كل احد ما يريد . فقام رجل منهم واخذ ديناراً فصرفه واخذ منه حاجته ورد الباقي الى الطبق . فسأله الشريف عن ذلك فقال الطالب: اني احتجت الى دهن السراج الليلة ولم يكن الخازن حاضرا . فاقترضت من البقال . واخذت هذه القطعة لادفعها اليه . وكان الرضي قد اقام عمارة لطلابه سماها دار العلم وعين لهم ما يحتاجون اليه فلما سمع الرضي ذلك امر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة فيأخذ كل منهم ما يحتاجه ولا ينتظر الخازن . ثم رد الطبق على هذه الصورة ، فكيف لا اعظم مثل هذا الرجل .

وروي ان ابي الحسن النحوي قال : دخلت على الشريف المرتضى يوماً وكان قد نظم ابياتا من الشعر ، فوقف به بحر الشعر ، فقال : يا ابا الحسن خذ هذه الابيات الى اخي الرضي وقل له تممها . وهي هذه :

سرى طيب سلمى طارقاً فاستفزني	سحيراً وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتهينا للخيال الذي سرى	اذا الارض قفرى والمزار بعيد
فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي	لعل خيالاً طارقاً سيعود

قال فأخذتها ومضيت الى الشريف واعطيته القرطاسة ، فلما رآها كتب :

فردت جوابا والدموع بوادر ... وقد آن للشمل المشت ورود
فهيهات من ذكرى حبيب تعرضت ... لنا دون لقياه مهامه بيد

فأدرك المرتضى قرب اجل اخيه . وهكذا حصل .

توفي الشريف الرضي في المحرم من سنة اربع واربعمائة (٤٠٤/هـ)، ومما رثاه به اخوه المرتضى الابيات المشهورة التي هي من جملة مرثيته :

يا للرجال لفجعة جزمت يدي ... وودت لو ذهبت عليّ براسي
ما زلت أصدرُ وِرْدَها حتى أتت ... فحسوتها في بعض ما انا حاسي
ومطلتها زمنا فلما صممت ... لم يثنها مطلي وطولُ مكاسي
لله عمرك من قصير طاهر ... ولرب عمرٍ طال بالادناس

وكان الشريف الرضي قد رثى والده الذي توفي قبله بأربع سنوات عن عمر يناهز سبعا وتسعين سنة بقصيدة اولها هذه الابيات نوردها للدلالة على فخامة افكاره والفاظه :

وسمتك جالية الربيع المرهم ... وسقتك ساقية الغمام المرزم
سبع وتسعون اهتبلن لك العدى ... حتى مضوا، وغبرت غير مذمم
لم يلحقوا فيها بشأوك بعدما ... أمَلوا فعاقهم اعتراض الازلم
الا بقايا من غبارك اصبحت ... غصصا واقذاءً لعينٍ او فم
ان يتبعوا عقبيك في طلب العلى ... فالذئب يعسل في طريق الضيغم

المعاني باختصار :

وسم : سقى . جالية الربيع : الغمامة البيضاء ـ والمرهم : المطر الخفيف الدائم. والمرزم : الذي يلف ويشد . اهتبل الاعداء : اي اخذهم وقضى عليهم بالحيلة . وغبرت : بقيت وتأخرت ، الشأو : المرتبة والمنزلة . عاقهم اخرهم والازلم السهام التي لا ريش لها ، القذاء : قشة او نحوها تدمع العين . وعسل الذئب اضطرب واهتز . والضيغم : الاسد .

الشريف الرضي يجمع أقوال الإمام علي (ع)

يقول الشريف الرضي في مطلع كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : « فاني كنت في عنفوان السن فابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة يشتمل على محاسن اخبارهم . . وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً (ع) وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام . . وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولاً . فجاء فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه (ع) من الكلام القصير . . . دون الخطب . . فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل . . وسألوني . . . ان ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على المختار من كلام امير المؤمنين (ع) . . . اذ كان (ع) مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة . . . فاجبتهم الى الابتداء بذلك . . . ورأيت كلامه يدور على اقطاب ثلاثة : اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . . .

هل مات الشريف الرضي مسموماً ؟

لقد مات الشريف عن خمس واربعين سنة وترك مثل هذه الاثار . وربما مات مسموما تخلصا من طموحه . وهذه الرواية قد توحي بهذا الزعم :

« ذكر ابو الحسين الصابي وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما ان القادر بالله عقد مجلسا احضر فيه الطاهر ابا احمد الموسوي وابنه ابا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وابرز اليهم ابيات الشريف الرضي ابي الحسن التي اولها :

مامقامي على الهوان وعندي ... مِقْوَلٌ صارم وانف حميّ
وأباءٌ محلق بي عن الضيم ... كما زاغ طائرٌ وحشيّ
ايُّ عذرٍ له المجد ان ذلَّ ... غلام في غمده المشرفيّ
احمل الضيم في بلاد الاعادي ... وبمصر الخليفة العلويّ
من ابوه ابي ومولاه مولاي ... اذا ضامني البعيد القصيّ

لف عـرقي بعـرقـه سيـد النـا   س جميـعـاً محـمـد وعـليّ

وقال الحاجب للنقيب ابي احمد قل لـولدك محمد: اي هوان قـد اقام عليـه عندنا واي ضيم لقي من جهتنا . . الم نولّه النقابة الم نوله المظالم الم تستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه امير الحجيج فهل كان يحصل له من صاحب مصر اكثر مِن هذا . .

فقال النقيب ابو احمد : اما هـذا الشعر فلم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه ولا يبعد ان يكون بعض اعدائه نحله وعزاه اليه . فقال القادر : ان كان كذلك فليكتب الآن محضراً يتضمن القدح في انساب « ولاة مصر » ويكتب محمد خطه فيه . فكُتِب محضرٌ بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس ومنهم النقيب ابو احمد وابنه المرتضى . وحمل المحضر الى الرضي ليكتب خطه فيه ، حمله ابوه واخوه فامتنع من تسطير خطه وقال : لا اكتب واخاف دعاة « صاحب مصر » وانكر الشعر وكتب خطه واقسم فيه انه ليس بشعره وانه لا يعرفه . فاجبره ابوه على ان يسطر خطه في المحضر فلم يفعل . وقال أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لي فإنهم معروفون بذلك . فقال أبوه : يا عجباً اتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع . وحلف أن لا يكلمه وكذلك المرتضى ، فعلا ذلك تقية وخوفاً من القادر وتسكيناً له . ولما انتهى الأمر الى القادر سكت على سوءٍ اضمره له . وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة . . . » .

[ثم امر من دس له السم . .]

هذه الرواية تدل على ان الشريف الرضي كان مخشيا لطموحه والدلائل على ذلك كثيرة: ان الشريف المرتضى حين ارسل له ابيات الشعر ليتممها اتمها الرضي فلما جاء الرد الى المرتضى توقع له الموت بعد ايام . والامر الثاني هو ان الابيات التي حوكم من اجلها الرضي تنقسم الى قسمين : الابيات الثلاثة الاولى فيها جزالة وقوة اما الابيات الثلاثة الاخيرة فظاهرة الركاكة ومبتذلة . بل انها تتضمن قولاً « وبمصر الخليفة العلوي » لا يصدر عن الرضي المشهور

بجرأته وعدم نفاقه فلو كان يؤمن ان « ولاة مصر » هم خلفاء علويون لصرح بذلك في غير موضع من شعره وهذا لم يحصل فضلا عن ان الرضي اذا كان يبغي الخلافة في بغداد لنفسه فلا يمكن ان يقر بصحة خلافة العلويين في مصر .

ولكن يبدو ان الرضي كان شخصا محبوبا لكرمه وفهمه وسمو أخلاقه ، وهذا يشكل خطراً لا على الخليفة فقط بل حتى على الطامعين في المناصب . اذ لا يعقل ان تسلم الى الشريف الرضي اربعة مناصب كلها برتبة « وزارة » اولها « نقابة الاشراف » وهي وظيفة لها مخصصات ضخمة ولها هيبة ومكانة ثم ولاية « المظالم » اي رئاسة القضاء العليا . وكانت عند العباسيين اعلى من الوزارة لان المأمون مثل امام قاضي القضاه هو وابنه . اما الامارة على الحرمين مكة والمدينة ثم الحجاز فهي الولاية الاولى في الولايات كلها . واما امارة الحج فان مخصصاتها تعادل خمس ما في ميزانية الخلافة من اموال .

وهكذا تكون النية قد بيّت للتخلص من الشريف الرضي بهذا الاسلوب . وفي تاريخ الخلفاء شواهد على ذلك كثيرة منذ ايام معاوية .

بيروت في اول آب ١٩٨٤
علي مقلد
دكتور في الفلسفة

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإن بعض الأخوان جاراني[١] وذكر ما يشتمل عليه القرآن من عجائب **الاستعارات وغرائب المجازات** التي هي أحسن من الحقائق معرضاً وأنفع[٢] للعلّة معنى ولفظاً وإن اللفظة التي وقعت مستعارة لو أوقعت في موقعها لفظة الحقيقة لكان موضعها نابياً بها ونصابها[٣] قلقاً بمركبها ، إذ كان الحكيم سبحانه ، لم يورد الفاظ المجازات لضيق العبارة عليه ، ولكن لأنها أجلى[٤] في أسماع السامعين ، وأشبه بلغة المخاطبين . وسألني أن أجرّد جميع ما في القرآن في ذلك على ترتيب السور ليكون اجتماعه أجل موقعاً وأعم نفعاً وليكون في ذلك أيضاً فائدة أخرى ، وهو أن الخطيب البليغ والشاعر المطبوع إذا رأى ما في هذا الكتاب العزيز الذي شال ميزان[٥] كل كلام وخرج عن مقدورات الأنام من الاستعارات العجيبة والاشارات اللطيفة شجع على استعمال مثل ذلك فيما يسمعه وجعله سلفاً يتبعه . ومما أسرع [بي][٦] إلى ذلك أنني لم أجد أحداً ممن تقدم رمى إلى هذا الغرض وأجرى

---

(١) لعل الأصل جاراني ذكر . ان النص اعلاه هو الأصح ، بمعنى أن الشريف الرضي هو الذي بدأ بالموضوع وقد جاراه سامعه .

(٢) الأمثل أن تكون العبارة (أنقع للغلة) .

(٣) ونصبها قلقاً بمركبها أي بمكانها .

(٤) لعلها (أحلى) .

(٥) نرجح شال ميزانه كل كلام .

(٦) زيدت (بي) على النص لما يقتضيه السياق .

إلى هذا الأمد بل هو ذروة [ما][1] افترعت[2] وعذره ما اقترعت[3] وقد كنت أوردت في كتابي الكبير الموسوم « **بحقائق التأويل في متشابه[4] التنزيل** » طرفاً كثيراً[5] من هذا الجنس أطلت الكلام والتنبيه على غوامض العجائب التي فيه من غير استقصاء أوانه[6] وأرتب أوضاعه . فعزمت بتوفيق الله على إجابة سؤال السائل وإسعاف طلب الطالب إذ كان خاطر المجيب تكفيه قدحة حتى تتأجج ناره ويطير شرره وعملت على أن أجرّد ذلك تجريداً مختصراً يكثر نفعه ويخف حجمه وأشير إلى ما أورده من ذلك إشارة مخففة تغني عن تطويل الإسهاب وبليغ الاطناب ليكون ذلك مبالغة في الاختصار وغاية في الاقتصار فتكون الرغبة فيه أكثر والقلوب إليه أميل واجتنب بجهدي تكرير اللفظ الواحد إذا ورد مثله مكرراً في السور ومن الله سبحانه أستمد التوفيق واستدل الطريق وهو حسبي ونعم الوكيل .

(الشريف الرضي)

(١) زيدت (ما) على افترعت الأولى .

(٢) افترع الذروة علاها وافترع المرأة افتضها (لسان العرب) .

(٣) لعلها اقترعت أي اخترت .

(٤) في الأصل مشابه التنزيل .

(٥) لعلها (كبيراً) . بل هي طَرَفاً كثيرةً .

(٦) لعل العبارة من غير استقصاء لأبوابه وترتيب لأوضاعه .

سورة الفاتحة

فمما في فاتحة الكتاب من المعنى الذي قصدناه

قوله سبحانه : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾

[الفاتحة ـ الآية ٧]

وهذه استعارة على أحد التأويلين لأن الصراط في أصل اللغة اسم للطريق . . وهو ههنا كناية عن الدين لأن الدين مؤدٍّ إلى استيجاب الثواب واستدفاع العقاب فهو كالنهج المسلوك إلى مظنة[1] النجاة والسلامة ودار الأمن والأقامة . ولما جعل سبحانه الدين ، كالطريق القاصد ، والمنهج الواضح ، أقام إرشاده إليه ودلالته عليه مقام الدليل يدل على السمت[2] والهادي الذي يهدي إلى القصد فقال سبحانه : ﴿ **اهدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ** ﴾ .

والتأويل الثاني في الصراط يخرج الكلام عن حيز الاستعارة وهو أن يكون المراد به المجاز المسلوك الى الجنة والنار على ما جاءت به الأخبار فكأنهم سألوه سبحانه توفيقهم منجاته[3] ومأمنه والعدول بهم عن مشاقه[4] ومخافته .

(١) ربما كان الأصل : (لمنجاته) .

(٢) وجدت غير واضحة في الأصل .

(٣) من ظن : مظنة الشيء : موضعه ومألفه الذي يظنّ فيه وجوده .

(٤) من سمت : لزم السمت : أي الطريق . سار على الطريق بالظن . ومنه قوله : وهن إلى البيت سوامتُ : أي قواصد .

سورة البقرة

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة ـ الآية ٧]

وهذه استعارة لأن الختم الحقيقي لا يتأتى في القلوب وإنما المعنى أنه تعالى وسم قلوبهم بسمة تفرّق بها الملائكة بين الكافر والمؤمن والمصرّ والمقلع فيذمون العاصي لمعصيته ويمدحون الطائع لطاعته ، ولهذا المعنى قال تعالى في صفة المؤمنين : ﴿ أولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ وأَيَّدَهُمْ بِروحٍ منه ﴾[1] ويكون في ذم الملائكة ومدحهم وولايتهم وبراءتهم ، لطف في دوام المؤمن على الإيمان وقرب العاصي من الإقلاع . وقد يجوز أن يكون الكلام ههنا خارجاً عن التشبيه والتمثيل لأنهم لما عموا عن أصل السبيل وصُمُّوا عن دعاء الدليل كانوا بمنزلة من خُتِمَ على قلبه وسمعه ومُنِعَ من استماعه وتبيّنه

ومن ذلك قوله تعالى في هذه السورة :

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ فَهُمْ لا يرجعون ﴾[2] . وقد علمنا ضرورة أنه لا صَمَمَ ولَا بَكَمَ ولا عَمي على الحقيقة . ولكنهم[3] لما يُعْمِلُوا هذه الآلات في مذاهب الاستدلال بها ، كانوا كمن فقد أعيانها ورُمِيَ بالآفات فيها وكذلك قوله تعالى[4] : ﴿ وَطَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ لأن الطبع من الطابع[5] والختم من الخاتم وهما بمعنى واحد وإنما فعل سبحانه ذلك عقوبة لهم على كفرهم .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى أبصارِهم غِشاوَةٌ ﴾[6] [البقرة ـ الآية ٧]

---

(١) م (المجادلة ٢٢) .

(٢) م (البقرة ١٨) .

(٣) تبدأ النسخة الطهرانية من قوله . ولكنهم لم يعملوا والصواب لما لم يعملوا .

(٤) م (التوبة ٩٣)

(٥) في ن لأن الطبع من الطباع .

استعارة أخرى لأنهم كانوا ينظرون على الحقيقة إلى[1] الأشخاص وَيُقَلِّبُونَ الأبصار إلا أنهم لما لم ينتفعوا بالنظر ولم يعتبروا بالعبر وَصَفَ سبحانه أبصارهم بالتغشي[2] وأجراهم مجرى الخوابط[3] . الغواشي ، أو يكون تعالى كنّى ههنا بالأبصار عن البصائر إذ كانوا غير منتفعين بها ولا مهتدين بأدلتها لأن الانسان يهدى ببصيرته إلى طريق نجاته كما يهدى ببصره إلى مواقع[4] خطواته .

٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ الله مَرَضاً ﴾

[البقرة ـ الآية ١٠]

فالمرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة لأنه فساد في القلوب كما أنه فساد في الجسوم[5] وإن اختلفت جهتا الفساد[6] في الموضعين . وقد قيل أيضاً إنما سمي ما في قلوبهم من إعتقاد الكفر مرضاً لخروجهم . عن صحة الدين كما أن المرض يخرج الاجسام عن حال صحتها وينقلها عن سلامة تركيبها وبنيتها)[7]

٥ ـ وقوله سبحانه : ﴿ الله يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُم في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[البقرة ـ الآية ١٥]

وهاتان إستعارتان ، فالأولى منها إطلاق صفة الاستهزاء على الله سبحانه

---

(١) ن على الاشخاص

(٢) ط بالغش .

(٣) من خبط : سار على غير هدى .

(٤) ن موضع خطواته .

(٥) ط كما انه فساد في الحقيقة .

(٦) ط جهة الحقيقة .

(٧) الجملة : من قوله (قد قيل الى قوله عن سلامة تركيبها وبنيتها) لا توجد في النسخة ط .

والمراد بها أنه تعالى يجازيهم على استهزائهم بأرصاد العقوبة لهم فسمي الجزاء على الاستهزاء باسمه إذ كان واقعاً في مقابلته وإنما قلنا إن الوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى لأنه عكس أوصاف الحكيم وضد طرائق الحليم(1) . واستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي يمد لهم كأنه يخليهم ، والامتداد في عمههم والجماح في غيهم إيجاباً للحجة وانتظاراً للمراجعة تشبيهاً بمن أرخى الطول للفرس أو الراحلة ليتنفس خناقها ويتسع مجالها وربما حمل قوله سبحانه ﴿ يخادعون الله والَّذين آمنوا ﴾(2) على أنه استعارة في بعض الأقوال وهو أن يكون المعنى أنهم يمنون أنفسهم أن لا يُعاقَبوا وقد علموا انهم مستحقون للعقاب فقد أقاموا أنفسهم(3) بذلك مقام المخادعين ولذلك قال سبحانه :

﴿ وما يُخْدَعُون إلاّ أنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة ـ الآية ٩]

لأن الله تعالى(4) لا يجوز عليه الخداع ولا تخفى عنه الأسرار وإذا حمل قوله سبحانه : « يخادعون الله » على ان المراد به يخادعون رسول الله ﷺ كان من باب إسقاط المضاف وجرى مجرى قوله : « واسأل القرية » وأراد أهل القرية .

٦ ـ وقوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة ـ الآية ١٦]

وهذه استعارة والمراد(5) انهم استبدلوا الغي بالرشاد والكفر بالإيمان فخسرت صفقتهم ولم تربح تجارتهم وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم

(1) في ط الحكيم .
(2) البقرة (٩) .
(3) في : ن . نفوسهم .
(4) في ط : لم تذكر الجمل من قوله : « لأن الله تعالى لا يجوز الى قوله أراد وأهل القرية » .
(5) في ط . والمعنى .
(6) في . ن . عملهم .

التجارة لما جاء في أول الآية(1) بلفظ الشراء تأليفاً لجواهر النظام وملاءمة بين أعضاء الكلام .

٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾
[البقرة ـ الآية ٢٠] .

وهذه استعارة والمراد يكاد البرق يذهب بأبصارهم من قوة إيماضه وشدة التماعه . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ [النور الآية ٤٣] ومحصّل(2) المعنى تكاد أبصارهم تذهب عند رؤية البرق فجعل تعالى الفعل للبرق دونها لما كان السبب في ذهابها .

٨ ـ وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾
[البقرة ـ الآية ٢٢]

وهذه استعارة لأنه تعالى شبّه الأرض في الامتهاد(3) بالفراش والسماء في الارتفاع بالبناء .
[البقرة ـ الآية ٢٩]

٩ ـ وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ ﴾

أي قصد إلى خلقها كذلك لأن حقيقة(4) الاستواء الذي هو تمام بعد نقصان أو استقامة(5) بعد اعوجاج من صفات الأجسام وعلامات المحدثات .

١٠ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ ﴾ [البقرة ـ الآية ٤٢]

وهذه استعارة والمراد بها ولا تخلطوا الحق بالباطل فتعمى مسالكه

(1) في . ط . في أول الكلام .
(2) في ط . ويحصل المعنى .
(3) في ن . في الامتداد .
(4) في ط . لأن الحقيقة في اسم الاستواء .
(5) في ط . واستقامة .

وتشكل معارفه وذلك مأخوذ من الأمر الملتبس وهو المختلط المشتبه ويقول قد ألبس عليّ هذا الأمر إذا انغلقت أبواب(1) علمه وانسدت مطالع فهمه .

١١ ـ وقوله سبحانه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾[البقرة ـ الآية ٦١]

وهذه استعارة والمراد بها صفة شمول الذلة لهم وإحاطة المسكنة بهم كالخباء المضروب على أهله والرواق المرفوع لمستظله .

١٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِما بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾
[البقرة ـ الآية ٦٦]

أي للأمم التي تشاهدها والأمم التي تكو ن بعدها والقرى(2) التي تكون أمامها والقرى التي تكون خلفها ولقول العرب : كذا بين يدي .كذا وجهان أحدهما أن يكون بمعنى قرب الشيء(4) من الشيء والآخر أن يكون بمعنى تقدم الشيء للشيء(5) . يقول القائل لغيره : أنا بين يديك أي قريب منك وقد مضى فلان بين يديك أي تقدم أمامك .

١٣ ـ وقوله تعالى في وصف الحجارة : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ [البقرة ـ الآية ٧٤]

وهذه استعارة والمراد ظهور الخضوع فيها لتدبير الله(6) تعالى بآثار الصنعة(7) وأعلام الصبغة .

---

(1) في ط . اذا انغلقت أبوابه عليه .
(2) في ط . أو للقرى التي تكون أمامها وللقرى التي .
(3) في ن . كذا بين يدي وجهان .
(4) في . ط . لم ترد فيها جملة . قرب الشيء من الشيء في . ط .
(5) في . ن . تقديم الشيء للشيء .
(6) في . ن . لتدبر .
(7) في . ن . الصنعة الموردين وفي ط الثانية غير منقوطة والمرجح أن تكون صبغة .

١٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾
[البقرة ـ الآية ٨١] .

وهذه استعارة وفيها كناية عجيبة عن عظم الخطيئة لأن الشيء لا يحيط بالشيء من جميع جهاته إلا بعد أن يكون سابغاً غير قالص وزائداً غير ناقص والمراد(1) إحاطة خطيئته بحسناته . وذلك أن تكون أعظم منهافيكون لها تأثير في احاطتها لأن الخطيئة عرض لا يكون محيطاً بالجسم على الحقيقة .

١٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [البقرة الآية ـ ٨٨]

وهذه استعارة على التأويلين جميعاً إما أن يكون غُلفٌ جمع أغلف مثل احمر وحمْر ، أو يكون جمع غلاف مثل حمار وحُمُر ويخفف فيقال حُمْر وكذا(2) يقال في الجمع غُلُف وغُلْف بالتثقيل والتخفيف قال أبو عبيدة : كل شيء في غلاف فهو أغلف ، يقال سيف أغلف وقوس غلفاء ورجل أغلف إذا لم يختتن فمن قرأ غلف على جمع أغلف فالمعنى أن المشركين قالوا قلوبنا في أغطية عما تقوله يريدون النبي (ص) ونظير ذلك قوله سبحانه حاكياً عنهم : ﴿ **وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر** (الآية) ﴾ [فصلت ـ الآية ٥]ومن قرأ(3) قلوبنا غلف على جمع غلاف بالتثقيل والتخفيف فمعنى ذلك أنهم قالوا قلوبنا (4) أوعية فارغة لا شيء فيها فلا تكثر علينا من قولك فإنا لا نعي منه شيئاً . وكان(5) قولهم هذا على طريق الاستعفاء من كلامه والاحتجاز عن دعائه .

١٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾
[البقرة ـ الآية ٩٣]

---

(1) هذه الجملة لم ترد في نسخة ط .
(2) في ط وكذا يجمع غلاف فيقال الخ .
(3) ط ومن قرأ .
(4) ط في أوعية
(5) ط فكان .

وهذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها[1] تشرّبت حبّه فمازجها ممازجة المشروب وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ وحذف حبّ العجل لدلالة الكلام عليه لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرب العجل على الحقيقة .

١٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ بِئْسَما يأمركمْ بِهِ إيمانكم إنْ كُنْتُمْ مُؤمنين ﴾
[البقرة ـ الآية ٩٣]

استعارة أخرى لأن الإيمان على الحقيقة لا يصح عليه النطق والأمر[2] إنما يكون بالقول فالمراد إذاً بذلك والله أعلم أن الإيمان إنما يكون دلالة على ضد الكفر والضلال ، وترغيباً في اتباعه الهدى والرشاد وأنه لا يكون ترغيباً في سفاهة ولا دلالة على ضلالة فأقام تعالى[3] ذكر الأمر هٰهنا مقام ذكر الترغيب والدلالة على طريق المجاز والاستعارة إذ كان[4] المرغّب في الشيء والمدلول عليه قد يفعله كما يفعله المأمور به والمندوب إليه .

١٨ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم لَو كانُوا يَعلمُون ﴾
[البقرة ـ الآية ١٠٢]

وهذه[5] استعارة لأن بيع[6] نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى لهم،والمراد به والله أعلم أنهم لمّا أوبقوا[7] نفوسهم[8] بتعلم السحر[9] واستحقوا العقاب على ما في ذلك من عظيم الوزر كانوا كأنهم رضوا بالسحر ثمناً لنفوسهم إذ عرّضوها بتعلُّمه[10] للهلاك وأبقوها لدائم العقاب فكانت[11] كالأعلاق الخارجة عن أيديهم[12] بأنقص الأثمان وأدون الأعواض .

(١) ط فكأنها
(٢) ط فالأمر .
(٣) ن : تعالى ذكره .
(٤) ن : واذا
(٥) ط : لم ترد الواو .
(٦) ن : مع .
(٧) أوبقوا : أهلكوا . الموبقات : المعاصي ، المهالك .
(٨) ط : انفسهم .
(٩) ن : السحرة .
(١٠) ط : بعمله .
(١١) ط : وكانت .
(١٢) ط : عن ابدانهم .

١٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾
[البقرة ـ الآية ١١٢]

أي أقبل على عبادة الله تعالى سبحانه وجعل توجهه اليه بجملته لا بوجهه دون غيره والوجه هٰهنا استعارة .

٢٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾ [البقرة ـ الآية ١١٥]

أي جهة التقرب إلى الله والطريق الدالة[1] عليه ونواحي[2] مقاصده ومعتمداته الهادية اليه .

٢١ ـ وقوله تعالى : ﴿ إلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة ـ الآية ١٣٠]

والتقدير سفه نفساً على أحد التأويلات وهذه استعارة لأنه تعالى علّق السفه بالنفس وقولنا نفس فلان سفيهة[3] وإنما السفه صفة لصاحب النفس لا للنفس .

٢٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ إذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الموْتُ ﴾ [البقرة ـ الآية ١٣٣]

أي ظهرت له علاماته ووردت عليه مقدماته وهي استعارة لأن الموت لا يصح عليه الحضور على الحقيقة .

٢٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾
[البقرة ـ الآية ١٣٨]

أي دين الله وجعله بمنزلة الصبغ لأن أثره ظاهر ورسمه لائح وهذا محض[4] الاستعارة .

(١) ن : الى الدلالة .
(٢) ن : فنواحي .
(٣) الأنسب أن تكون استعارة .
(٤) ط : من محض الاستعارة .

٢٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ الحرام ﴾

[البقرة ـ الآية ١٤٤]

وهذه استعارة على قول من قال : أن الشطر هٰهنا البعد أي ولِّ وجهك جهة بعده إذ لا يصح أن يولي(١) وجهه بُعد المسجد على الحقيقة .

٢٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ ٱلشَّيطانِ ﴾

[البقرة ـ الآية ١٦٨]

أي لا تنجذبوا (٢)في قياده لأن المنجذب في قياد(٣) غيره تابع لخطواته وهذه من شرائف الاستعارات(٤) وهي أبلغ عبارة عن التحذير من طاعة فيما يأمر به وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله .

٢٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ ما يأكلُونَ في بُطُونِهِمْ إلاَّ ٱلنَّارَ ﴾

[البقرة ـ الآية ١٧٤]

وهذه استعارة كأنهم إذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكول مشبهاً بالأكل من النار وفي قوله(٥) سبحانه في بطونهم زيادة معنى وإن كان(٦) كلّ آكل إنما يأكل في بطنه وذلك أقطع سماعاً وأشد إيجاعاً وليس قول الرجل للآخر إنك تأكل النار مثل قوله إنّك تدخل النار في بطنك .

٢٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ أُولئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ وَٱلْعَذابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ﴾

[البقرة ـ الآية ١٧٥]

وقد مضى نظير ذلك وأمثاله كثيرة في هذه السورة وغيرها .

(١) ط : أن تولي وجهك جهة بعد المسجد .

(٢) ن : لا تنخذوا .

(٣) ط : في قيادة غيره .

(٤) ط : الاستعارة

(٥) ط : خلت من حرف الجر .

(٦) ن : فان كان .

٢٨ ـ وقوله تعالى في ذكر النساء(١) : ﴿ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ ﴾

[البقرة ـ الآية ١٨٧]

واللباس مستعار والمراد به قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام(٢) وعلى هذا المعنى كنّوا عن المرأة بالإزار .

٢٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ ٱللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ ﴾

[البقرة ـ الآية ١٨٧]

وهذه استعارة لأن خيانة الانسان نفسه لا تصح على الحقيقة وإنما المراد أنه سبحانه خفف عنهم التكليف في ليالي القيام بأن أباحهم فيها مع أكل الطعام وشرب الشراب الافضاء إلى النساء ولو منعهم من ذلك لعلم أن كثيراً منهم يخلع عذار الصبر ويضعف عن مغالبة النفس فيواقع المعصية بفعل ما حظر عليه من غشيان النساء فيكون قد كسب نفسه العقاب ونقصها الثواب فكأنه قد خانها في نفي المنافع عنها وجرَّ(٣) المضار اليها وأصل الخيانة في كلامهم النقص فعلى هذا الوجه تحمل خيانة النفس .

٣٠ ـ وقال سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾

[البقرة ـ الآية ١٨٧]

وهذه استعارة عجيبة والمراد بها على أحد التأويلات حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل والخيطان هٰهنا مجاز وإنما شبههما بذلك لأن بياض الصبح(٤) يكون في أول طلوعه مشرقاً خافياً ويكون(٥) سواد الليل منقضياً

(١) ن : خلت من لفظة ذكر .

(٢) ن : كما تشتمل الأجسام على الملابس .

(٣) ط : اوجر المضار .

(٤) ط : لأن خيط الصبح .

(٥) ن : وسواء الليل يكون مولياً منقضياً .

مولياً فهما جميعاً ضعيفان إلا أن هذا يزداد انتشاراً وهذا يزداد استسراراً .

٣١ ـ وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾

[البقرة ـ الآية ٢٤٥]

وهذه استعارة لأن الغني لنفسه[١] لا يجوز عليه الاستقراض على حقيقته ولكن المقرض في المشاهد[٢] لما كان اسماً لمن أعطى غيره مالاً على أن يرد عليه عوضه أقام[٣] وفير العوض مقام رد المعوض .

٣٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ﴾ [البقرة ـ الآية ٢٥٠]

وهذه استعارة كأنهم قالوا أمطرنا صبراً وأسقنا صبراً وفي قوله أفرغ زيادة فائدة على قوله أنزل لأن الإفراغ يفيد سعة الشيء وكثرته وانصبابه وسرعته[٤] .

٣٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥]

[البقرة ـ الآية ٢٥٦]

فذكر العروة ههنا مجاز واستعارة والمراد تشبيه المتمسك بشرائط الإيمان بالمتمسك بالعروة الوثيقة من عرى الحبل لأنه يستعصم بها من المزال المزلقة والمهابط الموبقة ثم قال تعالى : «لا انفصام لها» تبعيداً لها من شبه العرى المعهودة التي ربما انفصمت على طول الحد[٦] أو بليت قواها على مر الدهور .

(١) لعل الأصل بنفسه .

(٢) ط : في الشاهد .

(٣) ط : أقام سبحانه توفية العوض عليه مقام رد القرض .

(٤) ط : وسعته .

(٥) لم ترد هذه الآية ولا شرحها في ط .

(٦) لعل الأصل . الجذب .

٢٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ اللهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾

[البقرة ـ الآية ٢٥٧]

وهذه استعارة والمراد بها إخراج المؤمنين[١] من الكفر إلى الإيمان ومن الغي إلى الرشاد ومن عمى[٢] الجهل إلى بصائر العلم، وكل ما في القرآن من ذكر الإخراج من الظلمات إلى النور فالمراد به ما ذكرناه[٣] وذلك من أحسن التشبيهات لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ويضل القاصد، والإيمان كالنور الذي يؤمه الجائر ويهتدي به الحائر لأن عاقبة[٤] الإيمان مضيئة بالنعيم والثواب، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب وفي لسانهم[٥] وصف الجهل بالعمى والعمه[٦] ووصف العلم بالبصر والجلية[٧] . يقال قد غم عليه أمره وأظلم عليه رأيه إذا كان جاهلاً بما يرتئيه[٨] ويفعله ، ويقال : في نقيض ذلك : هو على الواضحة من أمره والجلية من رأيه إذا كان عالماً بما يورد ويصدر وما يأتي وما يذر .

٣٥ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾

[البقرة ـ الآية ٢٨٣]

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[٩] لأن الآثم والكاسب صاحب القلب دون القلب على ما تقدم[١٠] من القول .

(١) ن . المؤمن .

(٢) ط عميا .

(٣) ط : بدون هاء الضمير .

(٤) ط . لأن عاقبة الايمان مضيئة بالايمان والثواب .

(٥) ن . تشابههم يدل لسانهم .

(٦) ن . الغمة .

(٧) ط . الحلية .

(٨) ن . بايرتيه .

(٩) البقرة ، الآية ٢٢٥ .

(١٠) ن . على ما تقدم القول .

٣٦- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ [البقرة - الآية ١٨٨]

أي(١) لا تجعلوها أسباباً تتوصلون بها إلى استمالة الحكام كما يتوصل المستقي بادلاء دلوه إلى الماء .

٣٧- وقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ ﴾ [البقرة - الآية ١٨٧] .

بياض في الأصل

لا للقلب(٢) ولكن العزوم والاعتقادات لما كان فيها طاعة ومعصية وسيئة وحسنة وهي من أفعال القلوب جاز ان ينسب الكسب اليها على هذا الطريق .

---

(١) لم يرد في ط. شرح هذه الآية .

(٢) هذه العبارة وردت في ن . ولم ترد في . ط . ونظن أن هذا الكلام يتعلق بالآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم ﴾ وقد أشار المؤلف عند ذكره لقوله تعالى : ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ إلى هذه الآية .

سورة آل عمران

ومن السورة التي يذكر فيها آل عمران

٣٨ - قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [آل عمران - الآية ٧]

وهذه إستعارة والمراد بها(١) ان هذه الآيات جماع الكتاب وأصله فهي بمنزلة الأم له(٢) وكأن سائر القرآن يتبعها ويتعلق بها كما يتبع الولد آثار أمه ويفزع اليها في مهمة .

٣٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [آل عمران - الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد بها المتمكنون في العلم تشبيهاً برسوخ الشيء الثقيل في الأرض الخوّارة وهو أبلغ من قوله والثابتون في العلم .

٤٠ - قوله تعالى : ﴿ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران - الآية ١٢]

وهذه استعارة والمعنى(٣) بئس ما يمتهد ويفترش ونظيره قوله تعالى : ﴿ وساءت مرتفقاً ﴾(٤) .

---

(١) ن . خلت من (بها)

(٢) ط . خلت من (له) .

(٣) . ن . والمراد به .

(٤) الكهف ، الآية ٢٩ .

٧٦ ـ وقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾

[النساء ـ الآية ١٥٧]

وليس التشبيه(١) ههنا فعلاً(٢) من غيرهم بهم(٣) وإنما شبهوا هم(٤) على أنفسهم أي تصرفوا مع(٥) الشبهة دون اليقين كما يقال اين يذهب بك والمراد أين يذهب ونظائر ذلك كثيرة .

٧٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾

[النساء ـ الآية ١٤٠]

وهذه استعارةوالمراد بالخوض هٰهنا مناقلة الحديث والضرب في أقطاره والتفسح في أعطانه(٦) استثارة لكرائمه(٧) وبحثاً عن غوامضه تشبيهاً بخصائص الماء الذي يثير قراره ويسبر غماره .

٧٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾

[النساء ـ الآية ١٥٧]

وفي الآية(٨) استعارتان إحداهما : قوله إلا اتباع الظن لأن الظّن ههنا جعل(٩) بمنزلة الداعي الذي يطاع أمره والقائد يتبع أثره مبالغة في صفة الظن

(١) ن . التشبه .
(٢) ط . عملاً .
(٣) ن . لا توجد (بهم) .
(٤) ن . خالية من (هم) .
(٥) ط . خالية من (مع) .
(٦) ن . في أعطانه .
(٧) ن . لكرامته فاثبتا (لكرائمه) ونرجح أن تكون لفظة يثار مكان يثير .
(٨) ط . هذه الآية .
(٩) ط . جعل بطنها .

بشدة الاستيلاء عليهم وقوة الغلبة على عقولهم(١) والاستعارة الأخرى أن يكون قوله تعالى ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ راجعاً إلى الظن لا إلى المسيح عليه السلام ، فكأنه تعالى قال : وما قتلوه الظن يقيناً كما يقول القائل : قد قتلت الخبر علماً .ومن أمثالهم قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها(٢) والمراد بقولهم : قتلت الخبر علماً أي استقصيت معرفته واستخرجت دخيلته(٣) فلم يفتني شيء من علمه فكنت(٤) بذلك(٥) كأني قاتل له أي لم أبق شيئاً يُعلم من كنهه(٦) كما لم يبق القاتل(٧) في المقتول شيئاًمن نفسه . وعلى هذا قولهم أصاب(٨) فلان شاكلة الأمر وطبق مفصل الرأي ، أي أدرك حقيقته وبلغ مصدوقته والشاكلة الخاصرة هٰهنا وهي من مقاتل الحيوان .

٧٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾

[النساء ـ الآية ١٧١]

وقد مضى كلامنا على معنى(٩) تسمية المسيح عليه السلام بكلمة الله وقوله تعالى : ﴿ وروح منه ﴾ هٰهنا استعارة والمراد بذلك أنّ الناس ينتفعون بهداه ويحيون من موت الضلالة برشده كما تحيا الأجسام بأرواحها وتتصرف بحركاتها .

(١) ط . على قلوبهم .
(٢) ط . أهلها .
(٣) ن . دجنته .
(٤) ن . وكنت .
(٥) ن . خلت من (بلك) .
(٦) ن . كتمه .
(٧) ط . من المقتول .
(٨) ط . حساب .
(٩) ن . لم ترد لفظة معنى .

قوله تعالى : ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾[1]

٤١ ـ قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾
[آل عمران ـ الآية ٢٢]

وهذه استعارة والمراد فسدت أعمالهم فبطلت وذلك مأخوذ من الحبط وهو داء ترِمُ[2] له أجواف الإبل فيكون سبب هلاكها وانقطاع آكالها .

٤٢ ـ وقوله تعالى ﴿ تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ ﴾
[آل عمران ـ الآية ٢٧]

وهذه استعارة وهي عبارة عجيبة عن إدخال هذا على هذا وهذا على هذا والمعنى أن ما ينقصه من الليل[3] يزيده في النهار وما ينقصه من النهار يزيده في الليل ولفظ الإيلاج ههنا أبلغ لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر بلطيف الممازجة وشديد الملابسة .

٤٣ ـ قوله تعالى : ﴿ تُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾
[آل عمران ـ الآية ٢٧]

وهذا القول مجاز واستعارة ، على أحد التأويلين ، وهو أن يكون تعالى أراد بالحي ههنا المؤمن وبالميت الكافر ، فكأنه تعالى قال : يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن وإنما شبّه تعالى المؤمن بالحي لأنه ينتفع وينفع وشبه الكافر بالميت لأنه لا ينفع ولا ينتفع وقد يجوز أن يكون إنما شبه المؤمن بالحي لحركة خواطره في طلب الحق ، وإصابته وشبه الكافر بالميت لجمود خواطره عن استنباط الحق ، وإثارته فإن قيل : فما معنى تشبيه المؤمن بالحي وهو حي وليس كذلك الكافر لأنه شبه بالميت وليس بميت وكان المعنى مفيداً

(١) ص الآية : ٦٠ .
(٢) ن . وهو دابة معروفة في أجواف الإبل .
(٣) ط . ما ينقصه من النهار يزيده في الليل .

واللفظ سديداً . وقيل : لأنه سبحانه إنما أراد حياة الأديان لا حياة الأبدان فلذلك صح المعنى واستقام .

٤٤ ـ قوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ـ الآية ٣٩]

وهذه إستعارة لأن المراد بهذا القول عيسى عليه السلام ولعلماء مختلفون في هذه اللفظة وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتاب حقائق التأويل فمن بعض. ما قيل في ذلك أن بشارة الله تعالى سبقت بالمسيح عليه السلام في الكتب المتقدمة والنذارات[1] السالفة فأجرى اسم الكلمة عليه لتقدم البشارة به والبشارة إنما تكون بالكلام .

٤٥ ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾
[آل عمران ـ الآية ٥٤]

وهذه استعارة لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه تعالى والمراد[2] بذلك إنزال العقوبة بهم جزاء على مكرهم وإنما سمي الجزاء على المكر مكراً للمقابلة بين الألفاظ على عادة العرب في ذلك قد استعارها واستعان[3] بها بيانهم .

٤٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ آمِنُوا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾
[آل عمران ـ الآية ٧٢]

وهذه استعارة والمراد أول النهار ولم يكن رأس النهار لأن الوجه ، والرأس وإن اشتركا في كونهما أول الشيء ، فإن في الوجه زيادة فائدة[4] وهي ان به تصح المواجهة ومنه تعرف حقيقة الجملة .

(١) ط . النذرات .
(٢) ن . والمراد انزال العقوبة .
(٣) ط . استعارها بدل استعان بها .
(٤) ن . خلت من لفظة (فائدة) .

٤٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران ـ الآية ٧٣]

وهذه استعارة والمراد بها اما سعة عطائه وعظيم(١) احسانه أو اتساع طرق علمه وانفساح اقطار سلطانه وعزه .

٤٨ ـ قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران ـ الآية ٧٧]

وهذه استعارة وحقيقتها ولا يرحمهم الله يوم القيامة كما يقول القائل لغيره إذا استرحمه انظر إليَّ نظرة لأن حقيقة النظر هو تقليب العين الصحيحة في جهة المرئي التماساً لرؤيته وهذا لا يصح إلا على الأجسام ومن يدرك بالحواس ويوصف بالحدود والأقطار وقد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٤٩ ـ قوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران ـ الآية ١٠٣]

وهذه استعارة ومعناها(٢) : تمسكوا بأمر الله لكم وعهده اليكم والحبال(٣) العهود في كلام العرب ، وإنما سميت بذلك لأن المتعلق بها ينجو مما يخافه كالمتشبث بالحبل إذا وقع في غمرة وارتكس(٤) في هوّة ،فالعهود يستأمن بها من المخاوف والحبال يستنقذ بها من المتالف فلذلك وقع التشابه بينها .

٥٠ وقوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران ـ الآية ١٠٣]

وهذه استعارة لأنه تعالى شبه المشفي لسوء عمله على دخول النار بالمشفي(٥) لزلة قدمه على الوقوع في النار .

٥١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تَرْجِعُ(٦) ٱلْأُمُورُ ﴾ [آل عمران ـ الآية ١٠٩]

(١) ن . وعظم .
(٢) ن . أي تمسكوا .
(٣) الجبال في النسختين .
(٤) ارتكس : وقع في شر نجا منه .
(٥) ن . بزلة .
(٦) الذي في المصاحف « تُرْجَعُ » .

على قراءة من قرأ بفتح التاء وكسر الجيم وهذه استعارة والمراد بها أن الأشياء كلها تنتهي إلى أن تزول عنها أيدي المالكين والمدبرين ويخلص ملكها وتدبيرها لرب العالمين .

٥٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟(١) إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١١٢]

وقد مضى الكلام على مثل ذلك في البقرة فلا معنى لإعادته .

٥٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾(٢)

[آل عمران ـ الآية ١١٨]

وهذه استعارة وأصل البطانة ما يلي بطن الإنسان من ثيابه ومنه بطانة الثوب وبطان البعير فشبه دخلاء الرجل وخواصه بالبطانة لأنهم يستبطنون دخيل أمره ويلازمونه ملازمة شعاره لجسمه فكأنه تعالى قال لا تتخذوا من هذه صفته من غير أهل دينكم فيكون غير مأمون عليكم .

٥٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٢٧]

أي ينقص عدداً من اعدادهم ويوهي(٣) عضداً من أعضادهم وهذا من محض الاستعارة(٤) .

٥٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٤٣]

(١) ثقفوا : من ثقف : ثقفه أي أدركه وصادفه .
(٢) لم ترد هذه الآية وما يتعلق بها من شرح في ط .
(٣) ط . يوهن عضداً .
(٤) ن . وهذا محض الاستعارة .

وهـذه استعـارة لأن المـوت لا يلقى ولا يـرى وإنمـا أراد سبحـانــه رؤيـة أسبـابه من صـدق مصاع[1] وتتـابع قـراع أو رؤيـة آلاتـه كـالـرمـاح المشـرعـة والسيوف المخترطة .

٥٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَو قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٤٤]

وهـذه استعارة والمراد بها الـرجوع عن دينـه والتقاعس عن اتبـاع طريقـه فشبه سبحان الرجوع في الارتياب بالرجوع على الاعقاب .

٥٧ ـ وقـوله تعـالى : ﴿ وَقَالُـوا لإِخْوَانِهِمْ إِذا ضَـرَبُوا فِي ٱلأَرْضِ أَوْ كَـانُوا غُزَّىٰ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٥٦]

وهـذه استعارة لأن للضـرب ههنا عبـارة عن الإبعاد[2] في السـير والإيغال في الأرض تشبيهـاً للخابط في البـر بالسـابح في البحـر لأنه يضـرب بأطرافـه في غمرة الماء شقاً[3] لها واستعانة على قطعها .

٥٨ ـ ـ وقوله تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللهِ وَٱللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٦٣]

وهـذه استعارة لأن الإنسـان غير الـدرجة وإنمـا المراد بـذلـك هم ذوو[4] درجات متفاوتة عند الله فالمؤمن درجته مرتفعة والكافر درجته متضعة .

٥٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٨٥]

---

(١) ن . مضاع . من مَصَعَ : ماصع ومماصعة : قاتل وجالد .

(٢) ط . الانجاد .

(٣) ط . سعاقا .

(٤) ن . هم ذو درجات .

وهـذه استعارة لأن الغرور لا متاع لـه على الحقيقـة[1] وإنما المـراد بذلك أن ما يستمتع به الإنسان من ظل زائل[2] وخضاب ناصل[3] .

٦٠ ـ وقوله تعالى في صدر هـذه الآية : ﴿ كُـلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَـوْتِ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٨٥]

مستعـار أيضـاً لأن حقيقـة الـذوق مـا أدرك بحاسة الذوق وإنما حسن وصف النفس بذلك لما تحس به[4] من كرب الموت وعلزه[5] فكأنها تحسه بذوقه .

٦١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ ﴾

[آل عمران ـ الآية ١٨٦]

وهـذه استعارة لأن الأمـور لا عزم لهـا وإنما العـزم للموطِّن نفسـه عـلى فعلهـا والمراد فـإن[6] ذلـك من قـوة الأمـور لأن العـازم عـلى فعـل الأمـر قـوي عليه .

٦٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران ـ الآية ١٨٧]

وهـذه استعـارة ، والمـراد بهـا أنهم غفلوا عن ذكـره وتشـاغلوا عن فهمـه يعني الكتـاب المنزل عليهم فكـان كـالشيء الملقى خلف ظهـر الانسـان لا يـراه . فيذكره ولا يلتفت إليه فينظره .

٦٣ ـ وقـولـه تعـالى : ﴿ فَـلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَـازَةٍ مِنَ ٱلعَـذَابِ ﴾

[آل عمـران ـ الآية ١٨٨]

---

(١) ن . في الحقيقة .

(٢) ن . باطل زائل . والراجح حذف ان .

(٣) خضاب ناصل من نصلت نصولاً (اللحية) : خرجت من الخضاب فهي ناصل .

(٤) ن . خالية من (به) .

(٥) العلز بالتحريك القلق والهلع .

(٦) ن . بأن ذلك .

وهذه استعارة فلا تحسبنهم ببعد من العذاب وبمنجاة من العقاب والمفازة الأرض البعيدة التي إذا قطعها الانسان فاز بقطعها وأمن من خوفها .

٦٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ . [آل عمران ـ الآية ١٩٦ و ١٩٧] .

وهذه استعارة والمراد بالتقلب ههنا كثرة الاضطراب في البلاد والتقلقل في الأسفار والانتقال من حال إلى حال .

سورة النساء مدنية

ومن السورة التي تذكر فيها النساء

٦٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [النساء ـ الآية ١٠]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها في البقرة والمعنى أنهم لما أكلوا المال المؤدي إلى عذاب النار شبهوا من هذا الوجه بالآكلين من النار .

٦٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾

[النساء ـ الآية ١٥]

وهذه استعارة لأن المتوفي ملك الموت فنقل الفعل إلى الموت على طريق المجاز والاتساع لأن حقيقة التوفي هي[1] قبض الأرواح من الأجسام .

٦٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ [النساء ـ الآية ٣٣]

وهذه إستعارة والمراد[2] بها والله أعلم أن من عقدتم بينكم وبينه عقداً ، فأدوا إليه ما يستحقه بذلك العقد عليكم وإنما نسب[3] المعاقدة إلى الأيمان على عادة العرب في ذلك . يقول قائلهم[4] : أعطاني فلان صفقة يمينه على كذا وأخذت يد فلان مصافحة على كذا وعلى هذا النحو أيضاً إضافة الملك

(١) ط . هو .

(٢) ن . فالمراد .

(٣) ن . وإنما نسبت .

(٤) ط . يقول القائل .

إلى الإيمان في قوله تعالى : ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾[١] لأن الانسان في الأغلب إنما يقبض المال[٢] المستحق بيمينه ويأخذ السلع المملوكة بيده .

٦٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم أنهم يعكسون الكلام عن حقائقه ويزيلونه عن جهة صوابه حملاً له على أهوائهم وعطفاً على آرائهم[٣] .

٦٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي ٱلدِّينِ ﴾ [النساء ـ الآية ٤٦]

استعارة أخرى والمراد بها يميلون بكلامهم إلى جهة الاستهزاء بالمؤمنين والوقيعة في الدين .

٧٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾
[النساء ـ الآية ٤٧]

وهذه استعارة وهي عبارة عن مسخ الوجوه أي يزيل تخاطيطها[٤] ومعارفها تشبيهاً بالصحيفة المطموسة التي عمّيت سطورها وأشكلت حروفها .

٧١ ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ ٱتَّقَى ﴾
[النساء ـ الآية ٧٧]

وهذه استعارة والمراد بها تخسيس[٥] قدر ما يصحب الإنسان في الدنيا[٦] وإن المتعة به قليلة والشوائب له كثيرة[٧] .

٧٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ يا أيها ٱلذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[٨]
[النساء ـ الآية ٧١]

(١) النساء . الآية ـ ٣٦ .
(٢) ط . من المال .
(٣) ط . عن آرائهم .
(٤) ن . تخاطيطها .
(٥) ن . تخصيص .
(٦) ط . من الدنيا .
(٧) ط . والشوائب كثيرة .
(٨) هذه الآية وما يتعلق بها ن الشرح غير موجودة في (ط) .

وهذه استعارة ومجاز لأن الحذر لا يؤخذ على الحقيقة وإنما يصح الأخذ على ما يتأتى إمساكه بالأيدي من الأجسام كالأسلحة المتعاطاة والآلات المستعملات وما يجري مجرى ذلك ، والمراد والله أعلم تمسكوا بالحذر وأديموا إستشعاره كما تتمسكون بالشيء الذي تشتمل عليه أكفكم وتتعلق به أناملكم .

٧٣ ـ وقوله تعالى ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾ [النساء ـ الآية ٩٠]

وهذه استعارة والمراد بها صفة صدورهم بالضيق عن القتال[١] وذلك[٢] مأخوذ من الحصار وهو تضييق المذهب والمنع من التصرف .

٧٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فلم يقاتلوكم وَأَلْقَوا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾
[النساء ـ الآية ٩٠]

وهذه استعارة وحقيقتها إن طلبوا منكم المسالمة وساءلوكم الموادعة وفي قوله تعالى : ﴿ وألقوا اليكم السلم ﴾[٣] عبارة عن طلبهم السلم عن ذل واستكانة وخضوع وضراعة .

٧٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلأَنْفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [النساء ـ الآية ١٢٨] .

وهذه استعارة وليس[٤] المراد أنّ محضراً أحضر الأنفس شحها ولكن الشح لما كان غير مفارق لها ولا متباعداً عنها كان كأنه قد أحضرها وحمل على ملازمتها ومثل ذلك[٥] .

(١) ط . على القتال .
(٢) ن . فذلك .
(٣) ن . والقوا اليكم . فقط .
(٤) ن . ليس (و) .
(٥) ط . ومثل هذا .

سورة المائدة

السورة التي تذكر فيها المائدة

٨٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ ٱللهِ ﴾

[المائدة ـ الآية ٢]

وهذه استعارة والمراد مستعبدات الله التي أشعرها للناس أي بينها لهم من قولهم : أشعرت البدن إذا جرحتها في سنامها ليسيل دمها فيعلم إنها هديٌ لبيت الله سبحانه وهذا الفعل علامة لها ودلالة عليها .

٨١ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ ﴾

[المائدة ـ الآية ١٦]

وهذه إستعارة والسلام هٰهنا جمع سلامة فالمراد[1] أنه تعالى يدل من أطاعة على طريق نجاته وسبيل أمنته لأن طاعته زمامة[2] السلامة فمن اتبع قياده نجا ومن تقاعس عنه ضلّ وغوى .

٨٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾

[المائدة ـ الآية ١٩]

وهذه إستعارة والمراد على انقطاع[3] الارسال إلى الأمم وخلو الزمان من

(١) ن . والمراد .

(٢) ط . أدام ولعل الأصل زمام السلامة .

(٣) ن . اقحمت هنا هذه العبارة على ما في الأصل وهي (وسولت له وقربت عليه ففعل)

مباعث الرسل تشبيهاً بحال[1] إرسال الأنبياء إلى أممهم ثم حال توفيهم بعد أداء شرائعهم بثقوب النار ثم خمودها وأضطرامها ثم فتورها .

٨٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾

[المائدة ـ الآية ٢١] .

وهذه استعارة ونظيرها[2] قوله تعالى: ﴿ انقلبتم على اعقابكم ﴾[3] أي لا تولوا عن دينكم وتشكوا بعد يقينكم فتكونوا كالمقهقر الراجع والمتقاعس الناكص .

٨٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾

[المائدة ـ الآية ٣٠]

وهذه استعارة والمراد : سوّلت له وقرّبت عليه ففعل وطوعت[4] فعلت . من الطوع أي سهلت نفسه عليه ذلك حتى أتاه طوعاً وانقاد اليه[5] سمحاً .

٨٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ﴾

[المائدة ـ الآية ٣٢]

وأحيا هٰهنا استعارة لأن إحياء النفس بعد موتها لا يفعله إلا الله تعالى ، وإنما المراد من أستبقاها وقد استحقت القتل أو استنقذها[6] وقد أشرفت على الموت فجعل سبحانه فاعل ذلك بها كمحييها بعد موتها إذ كان الاستنقاذ من الموت كالإحياء بعد الموت .

(١) كذا في النسختين ولعل الأصل (لحال) .

(٢) ن . نظيره

(٣) آل عمران ، آية ١٤٤ .

(٤) ن . فطوعت .

(٥) ن . له .

(٦) ط . واستنقذها .

٨٦ - وقوله تعالى : ﴿ من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾
[المائدة - الآية ٤١]

وهذه استعارة لأن صفة الإيمان والكفر إنما يوصف بها الإنسان دون القلب والمراد أنهم آمنوا بالظواهر وكفروا بالبواطن .

٨٧ - وقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ [المائدة - الآية ٤٨]

وهذه استعارة وقد تقدم مثلها والمعنى مصدقاً بما سلف قبله من الكتاب الذي هو الإنجيل الصحيح . واستعير ذكر اليدين هٰهنا كما يقول القائل : إذا سأله غيره عن راكب مر به هو بين يديك(١) أي قد سار أمامك ومهيمناً عليه(٢) . أي شاهداً عليه وهذه أيضاً استعارة أخرى والمراد أن ما في الكتاب من وضوح الدلالة يقوم مقام النطق(٣) بصحة الشهادة .

٨٨ - وقوله تعالى ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ [المائدة - الآية ٤٨]

وهذه استعارة والمراد(٤) ولا تطع أمرهم ولا تجب داعيهم فأقام تعالى أهواءهم مقام الدعاة(٥) إلى الردى والهداة إلى العمى .

٨٩ - وقوله تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ [المائدة - الآية ٤٨]

وهذه استعارة عجيبة والمراد(٦) : فبادروا فعل الخيرات إذ كنتم على غير أمان من حضور الأجل وتضييق المهل(٧) وذلك تشبيه(٨) بسباق الخيل لأن كل

---

(١) ن . هو بين يديك قد سار .
(٢) ن . من غير حرف العطف .
(٣) ن . صحة الشهادة .
(٤) ن . خلت من (والمراد)
(٥) ن . (الدعاء) .
(٦) ط . والمعنى .
(٧) ط . الأمل .
(٨) ط . شبيهاً .

واحد من فرسانها يشاح غيره على بلوغ الغاية المقصودة وينافسه في الإسراع إلى البغية المطلوبة .

٩٠ - وقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾
[المائدة - الآية ٥٤]

وهذه استعارة لأن الحب الذي هو ميل الطبائع(١) لا يجوز على القديم تعالى والمعنى يريد إثابتهم(٢) في الآجل وكرامتهم في العاجل ومعنى محبتهم له تعالى أنهم يريدون تعظيمه ويقصدون تمجيده ويقومون بلوازم طاعته ووظائف عبادته .

٩١ - وقوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾
[المائدة - الآية ٦٤]

(وهذه(٣) استعارة ومعناها أن اليهود أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه فكذبهم تعالى بقوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾) .

وليس المراد بذكر اليدين هٰهنا الاثنتين اللتين هما أكثر(٤) من الواحدة وإنما المراد به المبالغة في وصف النعمة كما يقول القائل ليس لي بهذا الأمر يدان وليس يريد به الجارحتين وإنما يريد(٥) به المبالغة في نفي القوة على ذلك الأمر وربما قيل إن المراد بذلك نعمة الدنيا ونعمة الآخرة والله أعلم أي ذلك أصوب وقد أشبعنا الكلام على هذا المعنى في كتابنا الكبير .

---

(١) ط . الطباع .
(٢) ط . على الأجل .
(٣) هذه الجملة التي بين قوسين لا توجد في ن .
(٤) ن . أكبر .
(٥) ط . يريد المبالغة .

٩٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ﴾

[المائدة ـ الآية ٦٤]

وهذه استعارة لأن الحرب لا نار لها على الحقيقة وإنما شبهت بالنار لاحتدام قراعها وحرّ مصاعها(١) وإنها تأكل أهلها كما تأكل النار حطبها .

٩٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

[المائدة ـ الآية ٦٦]

وهذه استعارة لأن التوراة لا يصح عليها القيام ، وإنما المراد ولو أنهم نفذوا(٢) حكمها واتبعوا نهجها وعملوا بما فيها ولم يحرفوا كلمها من قولهم : أقام فلان قناة الدين إذا حكم بالحق وأمر بالعدل .

وقوله تعالى : ﴿ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

وهذه استعارة أخرى على أحد التأويلين وهو أن يكون المراد بهذا القول العبارة عن سعة الرزق ورفاهة العيش كما يقول القائل : فلان مغمور في النعيم والنعمة من قرنه إلى قدمه والتأويل الآخر معناه(٣) لأكلوا من فوقهم من ثمار الشجر الذي يفوت(٤) بسطة اليد ومن تحت أرجلهم أي من نبات الأرض الذي يباشر موطىء(٥) القدم وقيل بل(٦) المراد بذلك ما يكون عن مساقط الغيث من إخصاب منابت الأرض وهذا كقوله تعالى :

﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ ﴾ [الأعراف ـ الآية ٩٦]

---

(١) ن . وحرت مصاعها .
(٢) ط . اتبعوا .
(٣) ط . والتأويل الآخر لأكلوا .
(٤) ن . لعل الأصل لا يفوت .
(٥) ن . تباشر من طي القدم .
(٦) ط . وقيل المراد .

٩٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيْمَانَ ﴾

[المائدة ـ الآية ٨٩]

على قراءة من قرأ : عقَدتم وعقّدتم بالتخفيف والتشديد دون من قرأ عاقدتم وهذه استعارة ، والمراد بها تأكيد الإيمان حتى تكون بمنزلة العقد المؤكد والحبل المحصد ويكون المراد إنكم عقدتموها على شيء خلافاً لليمين اللغو التي ليست معقودة على شيء(١) لأن الفقهاء يسمون اليمين على المستقبل يميناً معقودة وهي التي يتأتى(٢) فيها البر وا الحنث وتجب فيها الكفارة واليمين على الماضي عندهم لغو وغموس فاللغو(٣) كقول القائل : والله ما فعلت كذا في شيء يظن أنه لم يفعله ، ووالله لقد فعلت كذا في شيء يظن أنه فعله فهذه اليمين لا مؤاخذة فيها وأما الغموس فهي(٤) اليمين على الماضي ، إذا وقعت كذباً نحو قول القائل والله ما فعلت وهو يعلم أنه قد فعل(٥) أو والله لقد فعلت وهو يعلم أنه لم يفعل فهذه اليمين كفارتها التوبة والاستغفار لا غير .

٩٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُم ﴾

[المائدة ـ الآية ٩٤]

وهذه استعارة لأن القاتل(٦) هو الذي ينال القنيص(٧) برمحه ولكن الرمح لما كان مباشراً أحسن لهذه الحال أن يسمى نائلاً .

٩٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا ﴾

[المائدة ـ الآية ١٠٨]

---

(١) ن . خلت من . على شيء . الثانية .
(٢) ن . ينافيها . كذا .
(٣) ن . خلت من لفظة (فاللغو) .
(٤) ط . فهو اليمين .
(٥) ط . ووالله .
(٦) ط . لأن الفارس .
(٧) القنص

وهذه استعارة لأن الشهادة لا وجه لها وإنما المراد أن يأتوا بالشهادة على جليتها وحقيقتها وعبر تعالى عن ذلك بالوجه لأن به تعرف حقيقة الجملة ويفهم كنه الصورة كما قلنا فيما تقدم وهذه من الاستعارات البديعة .

٩٧ - وقوله تعالى حاكياً عن المسيح عليه السلام : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾

[المائدة - الآية ١١٦]

وهذه استعارة لأن القديم تعالى لا نفس له والمراد تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك ، وتعلم حقيقتي وذاتي(١) ولا أعلم حقيقتك وذاتك أو تعلم مغيبي ولا أعلم مغيبك فكأن(٢) فحوى ذلك تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقد استوفينا الكلام على ذلك في كتاب حقائق التنزيل .

٩٨ - فأما قوله تعالى في آل عمران : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾(٣) .

[آل عمران - الآية ٢٨]

فالمراد بها ويحذركم عقابه لأنك إذا قلت أحذر فلاناً فإنما تريد به أحذر أن يصيبك منه ضرر أو تنال منه شراً(٤) والتحذير في التحقيق إنما هو من نفس الضرر لا من فاعل الضرر وفي قوله ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ . زيادة فائدة على قوله ويحذركم عقابه كأنه تعالى أراد ما يتولاه هو من العقاب لا ما يوليه بعض العباد فحصلت في هذا اللفظ مزية الاختصاص .

(١) ط . لم ترد فيها . ذاتي . ولا ذاتك .
(٢) ن . وكأن .
(٣) هذه الآية وما يتعلق بها من كلام لم ترد في ط .
(٤) الأقرب الى الأصل أن تكون الجملة هكذا : أو ينالك منه شر .

سورة الأنعام

٩٩ - وقوله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الانعام - الآية ٤٥]

وهذه استعارة لأن الأصل في هذه اللفظة دابرة الفرس وجمعها دوابر وهي ما يلي حافره من خلفه ودابرة الطائر هي الشاخصة التي خلف رجله وتدعى الصيصية أيضاً ، فالمراد بقوله تعالى : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ والله أعلم ، أي قطعت عنهم الأمداد اللاحقة بهم من خلفهم والتالون لهم في غيهم وضلالهم أو قطع خَلفهم من نسلهم فلم تثبت لهم ذرية(١) ولم تبق لهم بقية .

١٠٠ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾

[الانعام - الآية ٤٦]

وهذه استعارة فالمراد بالأخذ ههنا إبطال حواسهم وإذا بطلت فكأنها(٢) قد أخذت منهم وغيبت عنهم .

١٠١ - وقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾

[الانعام - الآية ٥٩]

(١) ن . فلم يثبت لهم دونه .
(٢) ن . فكأنها أخذت .

وهذه استعارة فالمراد[1] وعنده الوصلة إلى علم الغيب فإذا شاء فتحه لأنبيائه وملائكته[2] وإن شاء أغلق عليهم علمه ومنعهم فهمه وعبر عن ذلك بالمفاتح وهي أحسن عبارة وأوقع استعارة لأن كل ما يتوصل به إلى فتح المبهم وبيان المستعجم يسمى بذلك ألا ترى إلى قول الرجل لصاحبه إذا أشكل عليه أمر أو اختل له حفظه : افتح عليَّ أي بيّن لي وفهمني ما عزب عني .

١٠٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الانعام ـ الآية ٦٨]

وهذه استعارة والمراد بها إثارة أحاديث[3] الآيات ليستشفوا بواطنها ويعلموا حقائقها كالخائض[4] في غمرة الماء لأنه يثير قعرها ويسبر غمرها وقد مضى الكلام على نظير[5] ذلك في النساء . .

١٠٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [الانعام ـ الآية ٨٠]

وهذه استعارة لأن صفة الشيء بأنه يسع غيره لا تطلق إلى على الأجسام التي فيها الضيق والاتساع ولها الحدود[6] والأقطار تعالى عن ذلك علواً كبيراً . والمراد[7] أن علمه سبحانه يحيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية ولا تدقّ عنه غامضة .

١٠٤ ـ وقوله تعالى ﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الانعام ـ الآية ٩٢]

وهذه استعارة والمراد بأم القرى مكة وإنما[8] سماها سبحانه بذلك لأنها

(١) ط . والمراد .

(٢) ن . لم ترد ملائكته .

(٣) ن . اثارة الحديث .

(٤) ط . كالخابط .

(٥) ن . وقد مضى نظير ذلك .

(٦) ط . بدون (لها)

(٧) ط . فالمراد .

(٨) ط . كأنما .

كالأصل للقرى وكل قرية كأنما هي طارئة عليها ومضافة اليها . وقد رُوي في تقدم اختطاطها ما لا يحتمل كتابنا هذا[1] ذكره .

١٠٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الانعام ـ الآية ٩٣]

وهذه استعارة عجيبة لأنه سبحانه شبّه الذين تعتورهم كرب الموت وغصصه بالذين تتقاذفهم غمرات الماء ولججه وقد سميت[2] الكربة غمرة لأنها تغمر قلب الانسان آخذة بكظمه وجاثمة على متنفسه والأصل في جميع ذلك غمرة الماء .

١٠٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ ﴾ [الانعام ـ الآية ٩٤]

على قراءة من قرأ برفع النون من بينكم وهذه استعارة لأنه لا وصال[3] هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطع وإنما المراد لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الألفة التي تُشبّه لاستحكامها بالحبال المحصدة والقرائن المؤكدة .

١٠٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [الانعام ـ الآية ٩٥]

وهذه إستعارة على بعض الأقوال وهو أن يكون معناه : أنه سبحانه يشق الحبة الميتة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقاً خضراً ونباتاً ناضراً ، ويخرج الحب اليابس الذاوي من النبات الحي النامي ، وقال بعضهم : يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي موات ويخرج النطفة الموات من الانسان الحي والله أعلم بالصواب .

١٠٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ سَكَناً ﴾ [الانعام ـ الآية ٩٦] .

(١) ن . بدون (هذا) .

(٢) ن . وقد تسمى غمرة .

(٣) ط . لا فضائل وربما كان الأصل : لا أوصال

وهذه استعارة والمعنى شاقّ الصبح ومستخرجه من غسق الليل وقوله سبحانه : ﴿ فالق الأصباح ﴾ . ابلغ من قوله شاق الأصباح إذ كانت قوة الانفلاق أشد من قوة الانشقاق(١) ألا تراهم يقولون انشق الظُفرُ وانفلق الحجر(٢) . وقوله تعالى : ﴿ وجعل الليل سكناً ﴾ . استعارة أخرى ومعناها على أحد القولين أنه سبحانه جعل الليل بمنزلة الشيء المحبوب الذي تسكن إليه النفوس وتَمِقُه القلوب يقال فلان سكنُ فلان(٣) على هذا المعنى والتأويل الآخر يخرج الكلام عن معنى الاستعارة وهو أن يكون المراد انه تعالى جعل الليل مظنة لانقطاع الأعمال والسكون بعد الحركات .

١٠٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

[الانعام ـ الآية ١٠٠]

في قراءة من قرأ وخرقوا بالتخفيف وفي قراءة من قرأ خرّقوا بالتشديد(٤) وهذه استعارة والمراد انهم أدّعوا(٥) له سبحانه بنين وبنات بغير علم وذلك مأخوذ من الخرق وهي الأرض الواسعة وجمعها خروق لأن الريح تنخرق فيها أي تتسع والخرق من الرجال الكثير العطاء فكأنه(٦) ينخرق به والخِرقة جماعة الجراد مثل الخزقة(٧) والخريق الريح الشديدة الهبوب وكأن(٨) معنى قوله تعالى : ﴿ وخرقوا له ﴾ أي اتسعوا في دعوى البنين والبنات له وهم كاذبون في ذلك ومن قرأ وخرّقوا فإنما أراد تكثير الفعل من هذا الجنس والاختراق والاختلاق(٩) والاختراع والابتشاك(١٠) بمعنى واحد وهو الادعاء للشيء على طريق الكذب والزور .

(١) ن . الانفلاق في الموضعين .
(٢) ويقولون انفلق الحجر .
(٣) ن . سكن الدار .
(٤) ط . الثقيل .
(٥) ط . دعوا له .
(٦) ن . كأنه .
(٧) ط . مثل الخرقة .
(٨) ط . وكأن .
(٩) ن . لم ترد لفظة الاختلاق .
(١٠) من بشك ابتشك : كذب . والكلام ارتجله واختلقه .

١١٠ ـ وقوله تعالى ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾

[الانعام ـ الآية ١١٢]

وهذه استعارة لأن الزخرف في لغة العرب الزينة ومن ذلك قولهم دار مزخرفة أي مزيّنة فكأنه تعالى قال : يزيّنون لهم القول ليغتروا به وينخدعوا بظاهره كما يُستغر بظاهر جميل على باطن مدخول .

١١١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

[الانعام ـ الآية ١١٠]

وهذه استعارة لأن تقليب(١) القلوب والأبصار على الحقيقة بازالتها(٢) عن موضعها واقلاقها عن مناصبها لا يصح والبنية صحيحة والجملة حية متصرفة وإنما المراد والله أعلم . إننا نرميها بالحيرة(٣) والمخافة جزاء على الكفر والضلالة فتكون الأفئدة مستوجفة لتعاظم أسباب المخاوف وتكون الأبصار منزعجة لتوقع طلوع المكاره وقد قيل ان المراد بذلك تقليبها على مرامض(٤) الجمر في نار جهنم وذلك يخرج الكلام عن حيّز الاستعارة إلى حيّز الحقيقة .

١١٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾

[الانعام ـ الآية ١١٣]

وهذه استعارة والمعنى ولتميل إليه أفئدة هؤلاء المذكورين يقال صغى فلان إلى فلان إذا(٥) مال إليه وصغوه معه أي ميله ومنه أصغى بسمعه إلى

(١) ن . لأن التقليب للقلوب .
(٢) ط . ازالتها .
(٣) ن . بالحية .
(٤) ط . مرامض .
(٥) ط . أي مال .

الكلام إذا أماله إلى جهته ليقرب من استماعه وميل القلب إلى المعتقدات كميل السمع إلى المسموعات .

١١٣ - وقوله تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾
[الانعام - الآية ١٢٧]

وهي استعارة والمراد لهم محل الأمَنة والسلامة والمنجاة من المخافة وتلك صفة الجنة والسلام ههنا جمع سلامة .

١١٤ - وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾
[الانعام - الآية ١٣٠]

وهذه استعارة لأنهم لما اغتروا بالحياة الدنيا حسن أن يقال أنها غرتهم ولما كان فيها ما تميل إليه شهواتهم جاز أن يقال إنها استمالت شهواتهم .

١١٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾
[الانعام - الآية ١٥٣]

وهذه[1] استعارة والسبل التي هي الطرق لا تتفرق بينهم وإنما[2] هم الذين يفارقون نهجها ويتبعون علومها

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الانعام - الآية ١٦٤]

وهذه استعارة والمعنى ولا تحمل حاملة حمل أخرى ، يريد تعالى في يوم القيامة أي لا يخفف أحد عن أحد ثقلاً ولا يشاطر حملاً لأن كل إنسان في ذلك اليوم مشغول بنفسه ومفدوح[3] بثقله وليس ان هناك على الحقيقة إحمالاً على الظهور[4] وإنما هي أثقال الآثام والذنوب ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾[5] .

(١) ط . وهي
(٢) ن . انما هم .
(٣) ط . مفروح بحمله .
(٤) ن . على ظهورهم .
(٥) البقرة ، الآية - ٤٨ والآية ١٢٣ .

سورة الأعراف

ومن السورة التي يذكر فيها الأعراف

١١٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾
[الاعراف - الآية ٩]

وهذه استعارة لأن الخسران في التعارف إنما هو النقص في أثمان المبيعات ، وذلك يخص الأموال لا النفوس ، إلا انه سبحانه لما جاء بذكر الموازين وثقلها وخفتها جاء بذكر الخسران بعدها ليكون الكلام متفقاً وقصص الحال متطابقاً فكأنه تعالى جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة إذ كانوا يوصفون[1] ، بأنهم يملكون نفوسهم كما يوصفون بأنهم يملكون أموالهم وذكر خسرانهم لها لأنهم عرّضوها[2] للخسارة وأوجبوا لها عذاب النار فصارت في حكم العروض المتلفات وتجاوزوا حدّ الخسران في الإيمان[3] الى حد[4] خسران[5] الأعيان .

١١٨ - وقوله تعالى حاكياً عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾
[الاعراف - الآية ١٦]

(١) ن . اذا كانوا يوصفون بأنهم يملكون اموالهم وذكروا خسرانهم الخ .
(٢) ن . عرضوا .
(٣) ط . في الأثمان .
(٤) ن . خلت من (حد) .
(٥) ط . الخسران في الأعيان .

وهذه استعارة والصراط ههنا كناية عن الدين الذي[1] جعله الله سبحانه طريقاً إلى النجاة[2] ، والمفاز في داري القرار والمجاز وإنما قال : صراطك لما كان الدين الطريق المؤدية الى رضا الله تعالى ومثوبته[3] . والموصلة[4] الى نعيمه وجنته فكأن[5] إبليس لعنه الله إنما توعد[6] بالقعود على طريق الدين ليضلّ عنه كل قاصدٍ ويرد عنه كل وارد بمكره وخدائعه وتلبيسه[7] ووساوسه تشبيهاً بالقاعد على مدرجة بعض السبل ليخوّف السالكين منها ويعدل بالقاصدين عنها والمراد لأقعدن لهم على[8] صراطك المستقيم ، فلما حذف الجار انتصب الصراط والحذف ههنا ابلغ في الفصاحة وأعرف في أصول العربية ونظيره قول الشاعر[9] :

فيه كما عسل الطريق الثعلب

أي عسل في الطريق وكل ما جاء[10] في القرآن من ذكر[11] سبيل الله سبحانه فالمراد به الطريق الى طاعته عاجلاً[12] وإلى جنته آجلاً .

١١٩ـ قوله تعالى ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الاعراف ـ الآية ٢٢]

وهذه استعارة والمراد أنه أوقعهما في أهوية[13] غروره لما وكل واقع في مثل ذلك فإنه نازل من علوّ إلى استفال[14] ومن كرامة إلى إذلال فلذلك قال تعالى : ﴿فدلاهما بغرور﴾ وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير عند القول فيما اختلف العلماء فيه من ذنوب الأنبياء[15] عليهم السلام .

---

(١) ط . خلت من (الذي) .

(٢) ط . للنجاة .

(٣) ط . مصوبة .

(٤) ط . الموصلة بلا حرف العطف .

(٥) ن . وكأن .

(٦) ط . يوعد .

(٧) ط . وتلبيه .

(٨) ط . بدون (على) .

(٩) الشاعر ساعدة بن جؤية وصدر البيت

(لدن بهز الكف يعسل متنه)

(١٠) ط . لم ترد (جاء)

(١١) ن . من ذكره

(١٢) ن . جاعلاً .

(١٣) ط . في أهواية .

(١٤) ن . الى سفال .

(١٥) ن . العلماء .

١٢٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُم وَرِيشاً وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾
[الاعراف ـ الآية ٢٦]

وقد قرىء ورياشاً وهما جميعاً استعارة ههنا لأن المراد بهما اللباس وسمى اللباس ريشاً ورياشاً تشبيهاً بريش الطائر الذي يستر جملته[1] ومن كلام العرب أعطيته رجلاً بريشه[2] أي بكسوته وقال المفسرون معنى[3] لباس التقوى ما كان من الملابس يستر العورة لأن ستر العورة من أسباب التقوى وقرىء ولباس التقوى نصباً بأنزلنا عليكم والرفع فيه على معنى الابتداء ويكون خير خبراً له فيكون المعنى ولباس التقوى المشار اليه خير وهذا أسد القولين في هذا المعنى .

١٢١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾
[الاعراف ـ الآية ٢٩]

وهذه إستعارة لأن الوجه لا يصح عليه القيام والمعنى فوجهوا وجوهكم عند كل مسجد ويجوز أن يكون معنى ذلك فتوجهوا بجملتكم[4] نحو كل مسجد لأن وجه الشيء عبارة عن جملته .

١٢٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُم أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ ﴾
[الاعراف ـ الآية ٤٠]

وهذه إستعارة والمراد لا يصيرون إلى الجنة ولا يتسهل لهم السبيل اليها

---

(١) ن . يستر بجملته .

(٢) ن . بريشته

(٣) ن . يغني

(٤) ن . بجملكم

ولا يستحقون بأعمالهم دخولها[١] ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾[٢] أي سهلنا خروجه من السماء إلى الأرض ورفعنا الحواجز بينه وبين الخلق .

١٢٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾

[الاعراف ـ الآية ٤١]

وهذه إستعارة وقد مضى مثلها[٣] في آل عمران إلا أن الزيادة ههنا قوله سبحانه : ﴿ **ومن فوقهم غواش** ﴾ . فكأنه تعالى جعل لهم من النار أمهدة مفترشة وأغطية[٤] مشتملة فيكون استظلالهم بحرِّها كاستقرارهم على جمرها نعوذ بالله من ذلك .

١٢٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ ﴾

[الاعراف ـ الآية ٤٣]

وهذه استعارة لأنه ليس هناك شيء يتأتى نزعه على الحقيقة والمعنى أزلنا[٥] ما في صدورهم من الغل بإنسائهم إياه وبإحداث[٦] ابدال له تشغل أماكنه من قلوبهم وتقع[٧] مواقعه من صدورهم وقال بعض المفسرين : معنى ذلك أن أهل الجنة لا يحسد بعضهم بعضاً على علو المنزلة فيها والبلوغ إلى مشارف رتبها[٨] والحسد غل[٩] .

١٢٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الاعراف ـ الآية ٤٣]

(١) ط . الدخول اليها
(٢) القمر ـ الآية ١١ .
(٣) ط . بدون مثلها .
(٤) ط . اغشية
(٥) ط . انزلنا .
(٦) ن . باحداث .
(٧) ط . تشفع .
(٨) ن . رتبتها .
(٩) ط : الحسد والغل .

وهذه إستعارة خفيّة واستعارة جليّة وذلك أن حقيقة الميراث في الشرع هو ما انتقل إلى الإنسان عن[١] ملك الغير بعد موته على وجه[٢] الاستحقاق فأما صفة الله سبحانه بأنه الوارث لخلقه كقوله تعالى : ﴿ **وكنا نحن الوارثين** ﴾ . وكقوله : ﴿ **ولله ميراث السموات والأرض** ﴾ فهو مجاز والمراد به[٣] : أنه الباقي بعد فناء خلقه وتقوّض سمائه وأرضه وقد استعمل ذلك أيضاً في نزول قوم ديار قوم بعدهم وأخذ قوم أموال قوم بعد حربهم[٤] واجلالهم فقال سبحانه : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها** ﴾ . وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ **وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها** ﴾ وليس يصح في إيراث الجنة مثل هذه المعاني التي ذكرناها لأن الجنة لا يسكنها قوم بعد سكنى[٥] قوم قد فارقوها وانتقلوا عنها فقوله سبحانه : ﴿ **إن تلكم الجنة أورثتموها** ﴾ . على الأصل الذي قدمناه استعاره ويكون المعنى الذي سوّغ[٦] هذه الاستعارة أن هلاء المؤمنين لما عملوا في دار[٧] الدنيا أعمالاً استحقوا عليها الجزاء والثواب ولم يصح أن يوفر عليهم ذلك[٨] إلا في الجنة وهي[٩] من الدار الآخرة فكأنهم[١٠] استحقوا دخولها فحسن من هذا الوجه أن يوصفوا بأنهم أورثوها

(١) ط . من ملك الغير .
(٢) ط . جهة .
(٣) ط . خلت من (به) .
(٤) ن . بعد حرب .
(٥) ط . بدون (سكنى) .
(٦) ط . يسوغ .
(٧) ط . الدار .
(٨) ن . في ذلك .
(٩) ن . وهم .
(١٠) ن . وكأنهم .

وان[1] ولم يكن سكناهم لها بعد سكنى قوم آخرون انتقلوا عنها وسوغ[2] ذلك أيضاً اختلاف حال[3] الدارين وانتقالهم من الأولى إلى الأخرى وكان[4] ما عملوه[5] في الدار الأولى كان سبباً لما وصلوا إليه في الدار الأخرى كما يستحق الميراث بالنسب[6].

١٢٦ - وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً ﴾
[الاعراف - الآية ٤٥]

وهذه استعارة لأن[7] سبيل الله سبحانه دينه ومعنى يبغونها عوجاً أي يبغون عنها المعادل[8] ويطلبون منها الفسح والمخارج ويوهمون بالشبهات انها معوجة غير قويمة ومضطربة غير مستقيمة

١٢٧ - وقوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[9].
[الأعراف - الآية ٥٣]

وقد مضى نظير ذلك في أول السورة .

١٢٨ - وقوله تعالى : ﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾[10].
[الأعراف - الآية ٥٤]

وهذه استعارة والمراد انه تعالى جعل الليل كالغشاء المسبل على ضوء النهار وهذه قراءة من قرأ يُغشِّي بالتشديد ، فأما من قرأ يُغشِي بالتخفيف فتحتمل معنى آخر ، وهو أن يكون المراد انه سبحانه يهجم[11] بالليل على النهار وأرهقه إياه وتقحمه عليه ، كما يقول القائل : قد غشيت الفارس إذا لحقه

(١) ن . فإن لم .
(٢) وسوغ . حوز .
(٣) ن . لم ترد لفظة « حال » .
(٤) ط . فكأن .
(٥) ن . (ما عملوا) بغير عائد .
(٦) ط . بالسبب .
(٧) ط . بان .
(٨) ط . المتحاول .
(٩) لم يرد أي تعليق على هذه الآية .
(١٠) خلت (ط) مما يختص بالآية الكريمة من كلام الشريف واستمر النقص فيها عن (ن) بما استغرق ١٨ صفحة من (ن) .
(١١) نرجح أن تكون عبارة الأصل : هجم بالليل . واقحمه عليه .

وهو طالب له ومما يقوي ذلك قوله تعالى : ﴿ يطلبه حثيثاً ﴾ وهذه استعارة اخرى كأن يغشى النهار أي أدرك عن طلب له واتباع لأمره ولم يقل تعالى يغشّي النهار الليل في قراءة من قرأ بالتشديد ، لأن هذه الصفة لا تتأتى في النهار مع الليل ، كما تتأتى لليل مع النهار ، لأن لا يشبه بالغشاء لليل كما يصح هذا التشبيه في الليل مع النهار ومثل ذلك في قراءة من قرأ بالتخفيف أيضاً ، بأن صفة الليل ما به يغشى النهار بمعنى مرهقه[1]. وهجم عليه أوقع من صفة النهار بذلك مع الليل ، لأن الليل في المشهور من كلامهم يوصف بالهجوم على النهار لهول مناظره وجهامة مطالعه وكثرة المخاوف المتصلة به . ألا ترى الى قول شاعرهم :[2]

فإنك كالليل الذي هو مدركي

ولولا أن وصف الليل بذلك أولى لما كان بين قوله . فإنك كالليل الذي هو مدركي . وبين قوله كالنهار[3] الذي هو مدركي فرق إن كان يريد الاتيان عليه فقط دون الصفة الزائدة التي أومأنا إليه[4] وأشرنا نحوها فبان وجه ما ذكرنا بحمد الله .

١٢٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾
[الاعراف - الآية ٥٧]

وقرىء ميّت بالتشديد وقرىء نشراً وبشراً بالباء وههنا استعارتان إحداهما وقد مضى مثلها فيما تقدم وهي قوله سبحانه ﴿ بين يدي رحمته ﴾ وقد ذكرنا ان معنى ذلك تقدم الشيء أمام الشيء والرحمة ههنا كناية عن المطر

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل رهقه .
(٢) الشاعر هو النابغة الذبياني وعجز البيت (وإن خلت أن المنتأى عنك واسع)
(٣) في النسخة كالليل وهو سهو من الناسخ .
(٤) كذا في النسخة ولعل الأصل اليها .

فكأنه تعالى جعل الرياح متقدمة أمام الأمطار لتؤذن بها وتبشر بورودها وهي أيضاً أحد أسباب تلفق متقطعها واجتماع متفرقها إذا كانت رياحاً مخصوصة والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿لبلد ميت﴾ . ولتسميته وجهان احدهما أنه بمنزلة الميت الذي لا رطوبة فيه لبعد عهده بالأبد[1] وانقطاعه عن الماء والوجه الآخر ان ، ما فيه من الشجر والنبات لما أماته تأخر الأمطار عنه ، جاز ان يوصف البلد بأنه ميت لموت ما كان فيه من نباته ، كما يقال : ليل نائم ونهار صائم أي ينام الناس في هذا ويصومون في هذا وعلى هذه الطريقة يحمل كل ما ورد في القرآن من ذكر الأحياء للأرض بعد موتها ومعنى أحيائها أن تعود اليها الرطوبة بعد يبسها أو يستأنف أعشابها اشجارها بعد ذبولها وجفوفها .

١٣٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً ﴾

[الأعراف ـ الآية٥٨] .

ووصف البلد بالطيب والخبث استعارة والمراد به نماء الزرع وزكاؤه ونقصه وفساده وذلك إنما يكون باختلاف تربة وتفاضل منابته من كون التربة سبخة ملحة أو كونها زاكية عذبة .

١٣١ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

[الاعراف ـ الآية ٧٨]

وهذه استعارة والمراد بها إهلاكهم بالرجفة كما يقال : أخذه الله من مأمنه بمعنى عاقبه الله وأهلكه وذلك أن المعاقب في الشاهد يكون مأخوذاً مدفعاً ومزلزلاً متعتعاً .

---

(١) ربما كان محلها في الأصل البلل .

ربما كانت الأَبَلُ والإِبَلُ : الرطب أو اليبس أو الإِبلُ : وهو السحاب حمل ماء المطر .

١٣٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا ﴾

[الاعراف ـ الآية ٩٥]

وهذه استعارة لأن عفواً هنا بمعنى كثروا وكثرت أموالهم ، وذلك مأخوذ من عفا الشعر إذا ترك حتى يكثر فشبه تعالى تكاثرهم بتكاثر الشعر وهو أبلغ ما يشبّه به العدد الكثير لتكاثف نباته وشدة التفافه .

١٣٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[ألاعراف ـ الآية ٩٩]

وهذه استعارة لأن حقيقة المكر عندهم اظهار خلاف الأضمار على طريق الغيلة والاحتيال وهذا لا يجوز على الله سبحانه فإذا المراد به ارسال العقوبة على المستحق من حيث لا يشعر أو من حيث يأمن ولا يحذر .

١٣٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴾

[الاعراف ـ الآية ١٠٠]

وهذه استعارة وهي كقوله سبحانه : ﴿ختم الله على قلوبهم ﴾ وقد مضى الكلام على ذلك في البقرة إلا أن في الطبع زيادة معنى فكأنه أشد تأثيراً من الختم لقولهم طبع الضارب الدرهم إذا أثر فيه النقش مع صلابته ويقول القائل ختمت الطين أو الشمع إذا أثر فيه ذلك مع رخاوته وبين الموضعين فرق لطيف .

١٣٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾

[الاعراف ـ الآية ١٠٨]

وهذه استعارة لأن حقيقة النزع هي إزالة الشيء عن مكانه المتمكن فيه فالمراد انه لما اخرج يده من جيبه مسرعاً بإخراجها كأنه كان نازعاً لها من موضع استقرارها وقد يجوز أن يكون مأخوذاً من قولهم نزع فلان عن وطنه إذا بعد عنه ونزع بالسهم إذا أبعد مرماه فكأنه أخرج يده مبالغاً في بسطها واظهارها لتمكن العيون من رؤ يتها فبعدت المسافة بينها وبين اختها .

١٣٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾
[الاعراف ـ الآية ١٣١]

وهذه استعارة والأصل فيها ان مذهب العرب أن يغتاب(١) الطير ومرجيها تتشاءم بالبارح وتتبرك بالسانح والبارح الذي يجيء من جهة الشمال والسانح الذي يجيء من جهة اليمين ، فيكون معنى ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾ أي ما يحذرونه من الضر ويرجونه من النفع إنما يأتي من قبل الله تعالى ، فليُستَنزل النفع بطاعته وليُستَصرف الضر بترك معصيته .

١٣٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾
[الاعراف ـ الآية ١٣٧]

وهذه استعارة لأنه لا نقص هناك يحتاج الى التمام ، وإنما المراد انجاز الوعد المتقدم لبني اسرائيل باهلاك عدوهم واعلاء أمرهم ، وإنما سمي الاعجاز تماماً لأن به تمام النعمة وكمال المتوقع .

١٣٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾
[الاعراف ـ الآية ١٤٣]

وهذه استعارة على أحد وجهي التأويل : وهو أن يكون المعنى فلما حقق تعالى بمعرفته لحاضري الجبل بالآيات التي أحدثها في الجبل زالت عنهم في العلم بحقيقته عوارض الشبه وخوالج الريب وكأن معرفته سبحانه تجلت لهم من غطاء أو برزت لهم من حجاب . وأما التأويل الآخر وهو أن يقدر في

(١) وردت هكذا . ولعل الأصل تعتاف الطير ومجيئها .

الكلام محذوف هو سلطانه أو أمره سبحانه ويكون تقدير الكلام فلما تجلى أمر ربه أو سلطان ربه للجبل ويكون ذلك قوله ﴿ جاء ربك ﴾ أي جاء ملائكة ربك أو أمر ربك أو عقاب ربك وهذه استعارة من وجه آخر وهو من حيث وصف الأمر أو السلطان بالتجلي وإنما المتجلي حاملها والوارد بها .

١٣٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾
[الاعراف ـ الآية ١٤٦]

وهذه استعارة والمراد بها النفور عن اتباع الرشد واتباع(١) الغي وليس هناك على الحقيقة طريق يقصد ولا فج يسلك .

١٤٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾
[الاعراف ـ الآية ١٤٩]

وهذه استعارة ولا شيء على الحقيقة هناك سقط في أيديهم ، ويقال أسقط في يديه وسقط في يديه بمعنى واحد وذلك عندما يصيب الانسان من الإبلاس لطروق البلاء وغلبة الأعداء ، وربما قيل ذلك للنادم على فعل الشيء إذا وجد غبّ مضرته ووخيم عاقبته والمعنى أن الأمر المخوف حصل في أيديهم من مجني ثمرة معاصيهم فوجدوه وجدان من هو في يده إذ كانت أيديهم في مكروهة .

١٤١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ ﴾
[الاعراف ـ الآية ١٥٤]

وهذه من جليات الاستعارة لأن الغضب لا يوصف بالسكوت وإنما المعنى لما فتر عن موسى الغضب وخبت جمرته وكسرت شوكته وإنما قيل سكت لأن الغضبان أبداً يكثر خصامه ويعلو كلامه وإذا سكن غضبه زال(٢) عنه

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل ـ باتباع الغي ـ
(٢) كذا في النسخة والصحيح الحاق تاء التأنيث الساكنة بالفعل .

تلك الصفة فحسن أن يقال سكت عنه الغضب لأن سكوت غضبه كان السبب في انقطاع ضجاجه وشغبه فلما كان الغضب سبب كلام موسى لهارون عليهما السلام وعتابه له ومراجعة القول بينه وبينه وبان له من عذر أخيه ما سكن به غضبه وانقطع منه عتبه جاز أن يوصف الغضب بالسكوت عنه وإن كان هو الساكت لا الغضب على الحقيقة .

١٤٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[الاعراف ـ الآية ١٥٦]

وهذه استعارة وقد بينا في ما تقدم أن السعة لا توصف بها إلا الأجسام والرحمة عرض من الأعراض والمراد أن رحمتي لا تضيق عمن استرحمني بأنابة بعد معصية وتوبة بعد خطيئة وإنما قال سبحانه ذلك لئلا يقنط الجارم أو ييأس المذنب فيحجم عن التوبة ويذهل عن الاستقالة .

١٤٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

[الاعراف ـ الآية ١٥٧]

وهذه استعارةوهذه استعارة والمراد بها وضع التكاليف الشاقة عنهم لتحريم التصرف في السبوت والأكل من اللحم المتصل بالعروق وما يجري هذا المجرى مما وردت شريعة نبينا صلى الله عليه وآله بطرح كله وتخفيف ثقله لأن ذلك مشبّه بالأثقال الباهظة والأغلال اللازمة .

١٤٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾

[الاعراف ـ الآية ١٧٥]

وهذه استعارة والمراد بها نزع ما ألبسناه من فخرها وطوقناه من ذكرها وكان كالمنسلخ من ثيابه والمتعري من جلبابه لأن تلك الآيات لما كانت بمنزلة الكرامات المفاضلة عليه فأغفل شكرها ولم يعرف قدرها حتى ابتز ملابسها وحرم نفائسها جاز لهذه العلة أن يقال انسلخ منها .

١٤٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾

[الأعراف ـ الآية ١٨٢]

وهذه استعارة مركّبة لأن الاستدراج استفعال من الدرج وهو الطي وطيهم لا يتأتى على الحقيقة فأتى الكلام مستعاراً والمراد به أننا ندفع بهم منزلة بعد منزلة بالاجلاء لهم والاستيناء هم حتى ينتهي بهم إلى حال العقوبة وذلك مأخوذة من الدرج الذي يطوي فيكون الفافاً كثيرة شيئاً بعد شيء حتى ينهي إلى آخره وقيل إن ذلك مأخوذ من الدرجة فكأنهم ينحطون درجة بعد درجة حتى ينتهوا إلى أحوال الهلاك ومنازل العقاب .

١٤٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

[الاعراف ـ الآية ١٨٣]

وهذه استعارة والمراد بالمتين ههنا القوي الشديد الذي لا يدفع وارده ولا تحل معاقده وذلك مأخوذ من المتن وهو ما غلظ من اللحم المكتنف جانبي الصلب وهما متنان ومتنتان .

١٤٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ﴾

[الاعراف ـ الآية ١٨٧]

وفي هذه الآية استعارات ثلاث : إحداها قوله سبحانه : ﴿ أيان مرساها ﴾ والمرسى إنما يكون للأجسام الثقيلة ولكن الساعة لما كانت ثقيلة الحلول ومكروهة النزول على العصاة والمذنبين جاز أن توصف بما يوصف به ثقال الأجسام والدليل على ذلك قوله سبحانه في هذه اية : ﴿ ثقلت في السموات والأرض ﴾ . وهذه الاستعارة التي أومأنا اليها لأن وصفها بالثقل مجاز على الوجه الذي ذكرناه والاستعارة الثالثة قوله تعالى : ﴿ لا يجلّيها لوقتها إلا هو ﴾ . والتجلي لا يصح إلا على الأجسام وإنما المراد لا يظهر آياتها ولا يكشف مغيباتها غيره سبحانه .

١٤٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ . [الاعراف ـ الآية ٢٠٢]

وهذه استعارة والمراد بيمدونهم ههنا يطولون لهم أسباب الإغواء فيمضون على غيِّهم ويستمرون على ضلالهم فكأنهم يمنونهم البقاء فيصرون على المعصية ويماطلون بالتوبة وقد يجوز أن يكون معنى ذلك يستتبعونهم في الغي كأنهم يجذبونهم اليه ليتبعوهم فيه كما يقال القرينة بشطنها[1] والمجن برسنها .

١٤٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الاعراف ـ الآية ٢٠٣]

وهذه استعارة لأن المراد بها القرآن وواحد البصائر بصيرة وهو ما يبصر به الانسان رشده من غيّه ويعرف به باطله من حقه تشبيهاً بالعين البصيرة التي يرى بها الانسان مواطيء قدمه ومناهج طرقه وإنما قال تعالى بصائر والمراد القرآن وهو واحد كما[2] يشتمل عليه من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

(١) من شَطَنَ : شَطِنَهُ : خالفه عن نيته ووجهه . شطن الرجل أي بَعُدَ عن الحق ومنها شيطن أي فعل فعل الشيطان .

(٢) لعل الأصل لما يشتمل عليه .

سورة الأنفال

ومن السورة التي تذكر فيها الأنفال

١٥٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ . [الأنفال ـ الآية ٧]

وهذه استعارة عجيبة لأن ذات الشوكة ههنا إحدى الطائفتين التي فيها سلاح الأبطال وآلة النزال ، وذلك ان النبي (ص) خرج بالمسلمين يطلب عير قريش المقبلة من الشام مع أبي سفيان بن حرب وفيها أموالها وذخائرها وعرفت قريش خروجه عليه السلام لذلك فخرجت لتمنع عيرها وتقاتل دونها فلما عرف المسلمون خبر خروج قريش للقتال كانوا يتمنون أن يخالفوهم إلى العير فيغنموها ويكون ظفرهم بالطائفة التي فيها الغنم لا الطائفة التي فيها الجد والحد فجمع الله بينهم وبين قريش على بدر ، وكانت الحرب المشهورة التي قتل فيها صناديد المشركين واشتدت أعضاد المؤمنين والكناية بذات الشوكة عن ذات السلاح والعدة من أشرف البلاغة وأوقع الاستعارة تشبيهاً بالشوكة[1] تخز[2] والمدية التي تخز .

١٥١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال ـ الآية ٢٤]

وهذه استعارة على بعض التأويلات المذكورة في هذه الآية ، والمعنى ان

(١) سياق الكلام يقتضي أن يكون : بالشوكة التي تخز ولعل لفظة « التي » سها عنها الناسخ

(٢) من خَزَّ : خزه بالرمح أي طعنه .

الله تعالى أقرب الى العبد من قلبه فكأنه حائل بينه وبينه من هذا الوجه ، أو يكون المعنى أنه تعالى قادر على تبديل قلب المرء من حال الى حال إذا كان سبحانه موصوفاً بأنه مقلب القلوب والمعنى انه يتقلبها من حال الأمن الى حال الخوف ومن حال الخوف الى حال الأمن ، ومن حال المساءة الى حال السرور ومن حال المحبوب الى حال المكروه .

١٥٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾

[الأنفال ـ الآية ٣٧]

وهذه استعارة والمراد بها العمل الخبيث وهو ما يستحق العقاب ولا يصح فيه ان يركم بعضه على بعض ، وإنما يصح ذلك في الأجسام والأجرام فالمراد اذا وصفت العمل الخبيث بالكثرة كثرة فاعله ومن صفات الكثرة تراكم الشيء بعضه على بعض كالرمل الهيام والسحاب الركام ، ومعنى جعله في جهنم العقاب ينزل عليه بنار جهنم ، وقد قيل في ذلك وجه آخر يُخرج الكلام من باب الاستعارة وهو أن يكون المراد بالخبيث ههنا المال الذي أخذ من غير حل وأنفق في غير حقه فإن الله سبحانه يجعله في نار جهنم مع آخذيه من الوجوه المحرمة ومنفقيه في الوجوه المذمومة على طريق العقوبة لهم والتجديد لخسرانهم كلما كثر اليه نظرهم ، كما قال سبحانه في صفة الأموال المكنوزة الممنوعة من اخراج الزكاة : **﴿ يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهورُهُمْ هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾**[١] .

١٥٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

[الأنفال ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأنه لا ريح هناك على الحقيقة وإنما ذلك على مخرج قول العرب ، قد هبت ريح فلان إذا تجددت له دولة أو ظهرت له نعمة ويقولون

(١) التوبة ـ الآية ٣٥ .

الريح مع فلان أي الإقبال معه والاقدار تساعده وأصل ذلك أن الريح في الحرب إذا كان مجراها مع إحدى الطائفتين كان عوناً لها على أعدائها في تفريق جموعهم وتقويض صفوفهم وإثارة القتام[١] والغبرة في عيونهم ووجوههم وهذه الأحوال كلها أعوان عليها مع عدوهم فمما جاء في هذا المعنى قول ضرار بن الخطاب الفهري : « **قد أيقنوا يوم لاقونا بأن لنا ريح القتال وأصلاب الذين لقوا** » أراد لنا دولة القتال وقوة الاستظهار . ومما جاء في هذا المعنى :

أتنتظران قليلاً ريث غفلتهم   أم تعدوان فإن الريح للعادي

وهذا قول بعض حراب[٢] العرب يخاطب صاحبه[٣] كأنه قد تنتظران[٤] غفلة الحي مراقبة أم تقدمان على استلاب إبلهم[٥] مزالبة فإن الدولة للمقدم والغنيمة للمصمم والعدو في الأصل هو السلوك بالظلم والبغي يقال : عدو وعدوان وعلى ذلك قوله تعالى : **﴿ فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً ﴾** وقال بعضهم قول الشاعر : « ههنا تعدوان » إنما أراد به عدو الاقدام فكأنه قال أن تنجوا سالمين ولا تعرضا لشوكة الحي محاصرين فإن الإقبال للناجي بحشاشته والرابح بسلامته إذ كانت السلامة هي الغنيمة التي حازها والطريدة التي استقاها والقول الأول هو المعتمد وهو بغرض الشاعر أليق ألا ترى إلى البيت الأول كيف حقر فيه شأن علوف[٦] الحي إطماعاً لصاحبيه فيهم واعتداداً[٧] كنا أما عليهم وذلك حيث يقول :

(١) القتام : الغبار الأسود ، غبار الحرب .

(٢) كذا في النسخة ولعل الأصل خراب جمع خارب وهم سراق الإبل .

(٣) ربما كانت العبارة في الأصل صاحبيه لأن السياق يقتضي ذلك .

(٤) لعل الأصل (كأنه قال) .

(٥) كذا في النسخة ولعلها مذائبة أخذاً من فعل الذئب .ورد في اللسان (مادة زلب) : زلب الصبي بامه لزمها ولم يفارقها عن الجرشي والليث : أزدلب في معنى استلب . قال : وهي لغة رديئة .

(٦) كذا في النسخة وقد تكون في الأصل خلوف .

(٧) كذا جاء في النص .

يـا صاحبي ألا لا حي بـالـوادي   إلا عبيـداً[1] وإماء بـين أوتـادي

١٥٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾

[الأنفال ـ الآية ٦١]

وهذه استعارة والمراد بها : فإن مالوا إلى السلم ميل ثبات عليه وركون اليه لا ميل مكر ومخادعة وإدهان ومواربة ، فسالمهم على هذا الوجه الذي طلبوا السلم عليه ، وأنثَ تعالى السلم لأنه بمعنى المسالمة والمخادعة وما يجري مجرى ذلك .

١٥٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾

[الأنفال ـ الآية ٦٧]

وهذه استعارة والمراد بها تغليظ الحال وكثرة القتل وذلك مأخوذ من قول القائل قد اثخنني هذا الأمر أي بلغ أقصى المبالغ في الثقل عليَّ والإيلام لقلبي .

(١) البيتان لأعشى طرود كما في ديوان الأعشين وقد جاء عجز ثانيهما الذي هو الأول « سوى عبيد وآم بين أذواد » والآم : جمع أمة .

سورة التوبة

ومن السورة التي تذكر فيها التوبة

١٥٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾

[التوبة ـ الآية ٥]

وهذه إستعارة لأن حقيقة السلخ هي اخراج الشيء مما لابسه وخالطه ألا ترى أنك تقول سلخت الشاة إذا جردتها من جلدها ، ولا تقول سلخت القميص إذا نزعته عنك لما لم يكن بينه وبين جسدك ممازجة ولا مخالطة فيجوز أن يكون بمعنى[1] انسلاخ الأشهر الحرم ههنا تجردها من بقية الشهور بانقضائها مجرداً[2] مشهوراً على خلاف بعض بقية الشهور لتتابعه[3] الأشهر الحرم في مباديها وخواتمها واشتهارها في هواديها وروادفها فيكون انقضاؤها مشهوراً كما كان ابتداؤها مشهوراً فلفضل شهرتها على بقية الأشهر وصفت بصفة مخالفة لها وزائدة عليها فقيل انسلخت ولم يقل انقضت .

١٥٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾

[التوبة ـ الآية ١٢]

وهاتان استعارتان لأن النكث نقض الحبل المفتول في الأصل وهي النكيثة وجمعها نكائث ولكن الايمان لما كانت بمنزلة العقود المؤكدة والحبال

(١) الظاهر أن حرف الجر زائد .

(٢) لعل الأصل تجرداً .

(٣) كذا في النسخة ولعل الأصل (لتتابع) .

المحصدة لقوله سبحانه : ﴿ يؤاخذكم بما عقدتم عليه الأيمان ﴾[1] . حسن أن يسمى الفسخ[2] لها والرجوع عنها نكثاً ونقضاً والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ وطعنوا في دينكم ﴾ وأصل الطعن وخز الشيء بالرمح أو ما يجري مجراه من الآلات الحديدة لنقض بنيته وأفساد جملته ليكون[3] بمعنى طعنهم في الدين والله أعلم ينقسم إلى قسمين أحدهما يراد به حربهم المؤمنين لينقضوا دينهم ويميتوا شريعتهم والوجه الثاني أن يكون المراد به بسط ألسنتهم في ذم الدين ورميه بالوصوب[4] والعيوب وذلك يسمى طعناً على الاتساع والمجاز .

١٥٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾

[التوبة ـ الآية ١٦]

وهذه استعارة لأن الوليجة والدخيلة والبطانة بمعنى واحد وهي عبارة عمن يتخذه الانسان موضعاً يسره[5] ومستروحاً لنفثه ومستشاراً لأمره وأصله الدخيل في القوم من كأنه ولج فيهم والتصق بهم وذلك كقوله تعالى في آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ﴾[6] أي لا تتخذوا من الكفار قوماً تستبطنونهم دون أمثالكم من المؤمنين وتستعينون بهم على أموركم فإن المؤمنين بعضهم أحق ببعض في هذا المعنى .

١٥٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

[التوبة ـ الآية ٢٩]

(١) سورة المائدة الآية ٨٩ .
(٢) في النسخة (القبيح) وهو سهو من الناسخ .
(٣) لعل الأصل (فيكون معنى) .
(٤) من وصب : بمعنى المرض والخلل .
(٥) لعل الأصل (موضعاً لسره) .
(٦) آل عمران الآية ١١٨ .

وهذه استعارة لأن المراد فيها حتى يعطوا الجزية عن خشوع وضراعة وذل واستكانة ، كما تقول أعطى فلان بيده إذا سلّم واستسلم وقيل في ذلك أيضاً حتى يعطوها عن يدٍ منكم أي عن نعمة منكم عليهم في حق[1] دمائهم وقبول الجزية فأمّا حمل ذلك على ما رواه بعضهم من أن المراد به تسليم الذمي الجزية بيده إلى قابضها منه فيخرج الكلام عن حد الاستعارة .

١٦٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

[التوبة ـ الآية ٣٢]

وهذه استعارة والمراد بها تشبيه القرآن الذي هو كلام بالنور الذي يستضاء به ويعشى إلى لمعة وقد قيل ان المراد بنور الله ههنا الإسلام ، لأنه أضاء ظلمة الكفر المسدفة وجلي غواشي الغي المغدفة ، وتشبيهه سبحانه المجلب على الإسلام والمطاعن[2] في القرآن بمطفىء النور من لطائف الاستعارات وشرائف البلاغة وفي قوله تعالى : ﴿ بأفواههم ﴾ سر عجيب ومعنى لطيف وهو أنه تعالى أخبر عن مقدار ضعف مكرهم ووهون كيدهم وإن ما يبغونه للإسلام من الغوائل[3] لا يزيد على فعل من يروم اطفاء النور الساطع والشهاب اللامع بنفخ فيه وليس له قدرة على أن يستعمل في إطفاء ذلك النور ما جرت العادة[4] استعماله في إطفاء النار المتوقدة من إخمادها بقوة يد أو اعتماد قدم أو الاستعانة بما هو أبلغ في إطفائها من نفخ الأفواه عليها مثل دفق المياه وهدم الجدران وما جرى مجرى ذلك فأعلمنا سبحانه أن هذا المقدار الأضعف من كيدهم الاسلام لا ينتقض بنيانه ولا يخمد نيرانه .

١٦١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ﴾

[التوبة ـ الآية ٤٠]

(١) ويجوز ان يكون الأصل (في حقن دمائهم) .
(٢) لعل الأصل (والطاعن)
(٣) من الغائلة : جمع غوائل : الداهية . المهلكة ، الشر والفساد .
(٤) لعل الأصل (باستعماله) .

وهذه استعارة لأن الكلمة ههنا كناية عن نحلة المشركين ونحلة المؤمنين وإنما سميت النحلة كلمة لأن المعتقد لها لا بد أن يظهر قولاً يستدل به على اعتقادها يكون الشعار لها والعلامة ومعنى علو كلمة الله سبحانه على كلمة الكفار ظهور دينه على دينهم واستعلاء رسوله (ص) على جماعتهم وهذا كما يقول القائل في الخصمين يتناظران قد علا فلان على فلان وإن كان صوته خفيضاً وصوت خصمه رفيعاً وإنما المراد علوّ الحجة ووضوح الدلالة وظهور المقالة وارفع[1] كلمة الله سبحانه ههنا وقطعها على[2] عامل الجعل وفي[3] قوله سبحانه :﴿ **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** ﴾ سر لطيف وهو أن كلمته تعالى التي هي بمعنى دينه لم تزل عالية على من ناوأها وقاهرة لمن عاداها ولم يضركك[4] آخراً بعد ان كانت على غير هذه الصفة أولاً فلذلك حسن الاستئناف في قوله تعالى : ﴿ **وكلمة الله هي العليا** ﴾ .

١٦٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ** ﴾

[التوبة ـ الآية ٦١]

وهذه استعارة لأن النبي عليه السلام ليس بأذنٍ على الحقيقة وإنما المراد بذلك معنيان أحدهما : أن يكون على معنى قول القائل : إذا وصف غيره بكثرة الصلاة والصيام و الأكل والنوم ما فلان إلا صلاة وصوم أو كل ونوم فيكون معنى ذلك وصفه عليه الكثرة بكثرة الأصغاء إلى الأقوال والأذن إلى الكلام والمعنى الآخر أن يكون قولهم هو اذن أي بمعنى الأذن السليمة الحاسة لا يخفى عليه شيء من القول المسموع فكأنهم وصفوه عليه السلام بأن قول كل قائل يتصل إلى سمعه ويقرّ في قلبه وأخرجوا ذلك مخرج الذم له (ص) فحاشى له من عيب العائب وطعن الثالب والقولان يرجعان إلى معنى واحد .

---

(١) الظاهر أن الأصل (ولرفع)

(٢) الأنسب أن تكون (وقطعها من عامل الجمل) ولعل الأصل كذلك .

(٣) الظاهر أن حرف العطف من زيادات النساخ .

(٤) الظاهر ان العبارة هكذا (ولم تصر كذلك) .

١٦٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا** ﴾

[التوبة ـ الآية ٦٣]

وهذه استعارة لأن المحادّة على الحقيقة[1] هي التقارب[2] بالحدود مثل المسامتة وهي المماثلة ، في السمت الذي هو الجهة وذلك من صفات الأجسام ذوات الحدود والأقطار فالمراد إذاً بالمحادة ههنا كون الانسان في غير الحد الذي فيه أولياء الله سبحانه فكأنه[3] في حد وأولياء الله في حد وكذلك الكلام في مشاقة الله تعالى على احد التأويلين وهو أن يكون الانسان في شق اعداء الله وحزبهم لا في شق أولياء الله وحزبه وحقيقة الكلام أن يكون المراد به محادة أولياء الله على الصفة التي ذكرناها فقال تعالى : ﴿ **يحادد الله** ﴾ كما قال في موضع آخر[4] : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله** ﴾ [5] أي يؤذون رسوله لأن الأذى لا يجوز على من لا تلحقه المنافع والمضار والمساءة والمسار .

١٦٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ **يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾

[التوبة ـ الآية ٦٤]

وهذه استعارة لأن السورة نطقها من جهة البرهان لا من جهة اللسان فكأنه تعالى أراد أن الناس يعلمون بهذه السورة النازلة في المنافقين كوامن[6] نفوسهم وعقائد قلوبهم ويعرفون بهم حق معرفتهم بما أعطاه الله تعالى من أوصافهم وذم من أخلاقهم .

---

(١) هنا انتهت الزيادة الموجودة في نسخة النجف .

(٢) ط . هي القارب .

(٣) ط . فكأنهم .

(٤) لا توجد في ط . عبارة (في موضع آخر) .

(٥) الأحزاب ، الآية ـ ٥٧ .

(٦) ط . بواطن نفوسهم .

١٦٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾
[التوبة ـ الآية ٨٧]

وهذه استعارة عجيبة التركيب لأن الخوالف ههنا النساء المقيمات في دار الحي بعد رحيل الرجال وإنما سمّى النساء الخوالف تشبيهاً بهن بالخوالف التي واحدتها(١) خالفة وهي الأعمدة تكون في أواخر بيوت الحي المضروبة فشبههن لكثرة لزوم البيوت بالخوالف التي تكون في البيوت وقد قيل إن الخوالف أيضاً زوايا البيوت وواحدتها خالفة والمعنى واحد . وقد يجوز ان يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ حقيقة الخوالف التي هي أعمدة البيوت أي رضوا بأن يقعدوا في بيوتهم فيكونوا في الملازمة لها كخوالفها وأعمدتها . وقد يجوز أيضاً أن يكون الخوالف ههنا جمع فرقة خالفة وهي الجماعة التي تقعد عن الغزو كالشيوخ والنساء وذوي العاهات والولدان ومما يقوي ذلك قوله تعالى أمام هذا الكلام : ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾(٢) وكنت أسمع شيخنا أبا الفتح عثمان بن جني النحوي رحمه الله يقول ذلك ويذهب إلى مثله أيضاً في قوله تعالى : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾(٣) ويقول هي جمع فرقة كافرة إلّا أن الكلام يكون على القول الأول استعارة ويكون على هذا القول حقيقة .

١٦٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَتَرَبَّصُ(٤) بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾
[التوبة ـ الآية ٩٨]

وهذه استعارة لأنه لا شيء هناك يوصف بالدوران وإنما المراد به الحال المتقلبة عن النعمة إلى البليّة وعن المسرّة إلى المساءة ويجوز أن يكون المعنى أيضاً عليهم أيام السوء لأن الأيام والشهور قد تسمى دوائر على طريق

(١) في ط . التي واحدتهن خالفة .
(٢) التوبة ، الآية ٨٣ .
(٣) الممتحنة ، الآية ١٠ .
(٤) في ط . بياض الى قوله (عليهم أيام السوء) .

الاستعارة ليس(١) لأنها ترجع بأعيانها وإنما يعود أمثالها وأشباهها فشهر كشهر ويوم كيوم وساعة كساعة وسنة كسنة يقال دارت السنون(٢) ودارت الشهور على هذا المعنى إلّا أن هذه اللفظة أعني الدائرة والدوائر قد اختص ذكرها بالمواضع المكروهة فيقال دارت عليهم الدائرة إذا أهلكتهم(٣) الأيام وأفنتهم الأعوام وقد يقال دارت لهم الدنيا إذا وصفوا بمواتاة الإقبال وانتظام الأحوال فكأن التمييز في الخير والشر إنما يقع بقولنا دارت عليهم وبقولنا(٤) دارت لهم .

١٦٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾
[التوبة ـ الآية ١٠٩]

وهذه استعارة والمراد بها ذكر ما بناه المنافقون من مسجد الضرار بعدما بناه المؤمنون من المسجد المعروف بقبا ، لأن المؤمنين وضعوا هذا البناء وهم مؤمنون متقون وعارفون موقنون فكأنهم وضعوه على قواعد من الإيمان وأساس من الرضوان والمنافقون إنما وضعوا ذلك البناء كيداً للمؤمنين وارصاداً للمسلمين فكأنهم وضعوه على جرف هارٍ منقوض وأساس واهٍ منتقض ، فكأنما انهار بهم في نار جهنم أي أسقطهم ذلك الفعل في عذاب النار ودائم العقاب وهذه من محاسن(٥) الاستعارات .

١٦٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾
[التوبة ـ الآية ١١٠]

(١) ط . فليس .
(٢) ن . السموم ولا معنى لها .
(٣) ن . أهلكهم .
(٤) ط . بقولنا دارت لهم ودارت عليهم .
(٥) ط . من أحسن الاستعارات .

وهذه استعارة ومعناها أن ذكر البنيان الذي بنوه لا يزال ريبة في قلوبهم يخافون معها انزال الله سبحانه بهم ضروب العقاب أو بسط المؤمنين عليهم لما ظاهروهم به من العناد والشقاق فهم أبداً بنفوسهم مستريبون وعليها خائفون مشفقون فلا يزالون على ذلك إلى[١] أن تقطع قلوبهم حسرة وتزهق[٢] نفوسهم خيفة وقد قيل[٣] : أيضاً المراد إلا أن يتوبوا من ذلك ويندموا ندماً تتقطع منه قلوبهم على طريق المبالغة في صفة الندم . وقيل أيضاً المعنى إلا أن يتوبوا فتتقطع قلوبهم التي اعتقدوا بها ذلك الغي وتبلى أجسادهم وتنتقص رممهم .

١٦٩ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾

[التوبة - الآية ١١١]

وهذه استعارة وذلك أنه سبحانه لما[٤] أمرهم ببذل نفوسهم وأموالهم في الجهاد عن دينه والمنافخة[٥]. عن رسوله (ص) وضمن لهم على ذلك الخلود في النعيم والأمان من الجحيم كانت نفوسهم وأموالهم بمنزلة العروض المبيعة[٦] وكانت الأعواض المضمونة عنها بمنزلة الأثمان المعقودة وكانت الصفقة رابحة لزيادة الأثمان على السلع واضعاف الأعواض على القيم . وجملة هذا الباب أن[٧] العبادات كلها كالتجارات في أنها طلب للمنافع إلَّا أن[٨] بالعبادات طلباً لمنافع الآخرة والتجارات طلباً لمنافع الدنيا .

---

(١) ط . الا .

(٢) ن . ترهق .

(٣) ط . خلت من تتمة هذا البحث .

(٤) ن . كما .

(٥) نافح عن فلان : دافع عنه .

(٦) ن . المتبعة .

(٧) ن . خلت من (أن) .

(٨) ن . العبادات طلب الآخرة .

١٧٠ - وقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾

[التوبة - الآية ١١٧]

وهذه استعارة لأن حقيقة الزيغ الاعوجاج والميل والمراد من بعد ما كادت قلوبهم تزول من عظيم الخيبة وتقنط من نزول الرحمة فتكون بذلك كالشيء الزائغ بعد الاستقامة والمستمال بع الثبات والرصانة ومن الدليل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية .

١٧١ - وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾

[التوبة - الآية ١١٨]

وهذه ايضاً استعارة لان النفس في الحقيقة لا توصف بالضيق والاتساع وإنما المراد[١] بذلك انضغاط القلوب بشدة الكرب وبلوغها منقطع الصبر .

١٧٢ - وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ ٱللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾

[التوبة - الآية ١٢٠]

وهذه استعارة والمراد بها انهم لا ينبغي لهم ان[٢] يكرموا انفسهم[٣] عما يبذل النبي (ص) فيه نفسه ولا يحفظوا[٤] مهجهم في المواطن[٥] التي تخطر فيها مهجته اقتداء به واتباعاً لأثره فهذه لفظة يستعملها اهل اللسان كثيراً فيقولون رغبت بنفسي عن الضيم وأرغب بك يا فلان عن القتل أي أضن بنفسي عن

---

(١) ط . وإنما المراد بالقول الأول من أنه عبارة عن انضغاط القلوب .

(٢) ن . خلت من (لهم) .

(٣) ن . نفوسهم .

(٤) ن . يحفظ .

(٥) ن . المواضع .

ان تذل له(1) وانفس بمثلك عن القتل(2) والظاهر يدل على انهم رغبوا بنفوسهم عن نفس النبي (ص) والمراد ما كان لهم ان يرغبوا بالنفوس عن المنازل التي ينزلها نفسه ويعرض فيها مهجته .

١٧٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

[التوبة ـ الآية ١٢٤ـ ١٢٥]

وهذه استعارة ظاهرة وذلك ان السورة لا تزيد الأرجاس رجساً ولا القلوب مرضاً بل هي شفاء للصدور وجلاء للقلوب ولكن المنافقين لما ازدادوا عند نزولها عمى وعمها وازدادت قلوبهم ارتياباً ومرضاً حسن ان يضاف ذلك الى السورة على طريقة(3) لأهل اللسان معروفة وقد استقصينا الكلام على ذلك في عدة مواضع من كتابنا الكبير فمن اراد بلوغ اقاصي هذه الطريقة والضرب في أقطارها والتفسح في اعطانها فليتتبع منها(4) مواضعها من ذلك الكتاب بمشيئة الله .

١٧٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾

[التوبة ـ الآية ١٢٨]

وهذه استعارة والمراد بأنفسكم ههنا والله اعلم أي من جنس انفسكم وخلقكم لتكونوا اليه اسكن والى القبول منه اقرب ويجوز أن يكون من

(١) ط . لم ترد فيها لفظة (له) .

(٢) ط . على أن يقتل .

(٣) ط . على طريق .

(٤) ط . خلت من الجار والمجرور .

انفسكم اي من قبيلتكم(1) وعشيرتكم كما يقول القائل فلان من أنفس بني فلان أي من صميم انسابهم وليس من وشائظهم(2) وملاصقيهم وقد يجوز أن يكون المراد برسول من انفسكم اي من اشقائكم وأعزائكم كما يقول القائل للذي وده والقريب من قلبه:أنت من نفسي وأنت من قلبي أي أنت شقيق النفس وقسيم القلب ومما يقوي ذلك قوله سبحانه . ﴿ **عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ . اي لحبه وميله لكم يعز عليه ان تعنتوا وتعاندوا فتحرموا(3) الثواب وتستحقوا العقاب وهو حريص على إيمانكم رأفة بكم واشفاقاً عليكم .

(١) ط . قبيلكم .

(٢) كذا في النسختين والظاهر ان المقصود وشائظهم : وهم الاحلاف .

(٣) ن : فتحرم الثواب وتستحق العقاب .

سورة يونس

ومن السورة التي يذكر فيها يونس عليه السلام

١٧٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾

[يونس ـ الآية ٢]

وهذه استعارة لأن المراد بالقدم ههنا السابقة في الايمان والتقدم في الاخلاص والعبارة عن ذلك بلفظ القدم غاية في البلاغة لأن بالقدم يكون السبق والتقدم فسميت قدماً لذلك وإن كان التأخر أيضاً يكون بها كما يكون التقدم بخطوها وإنما[١] سميت بأشرف حالاتها وأنبه متصرفاتها وقال بعضهم ايمانهم في الدنيا هو قدمهم في الأخرة لأن معنى[٢] القدم في العربية الشيء تقدمه أمامك ليكون عدّة لك حتى تقدم عليه وقال بعضهم ذكر القدم ههنا على طريق التمثيل والتشبيه كما تقول العرب قد وضع فلان رجله في الباطل وتخطّى الى غير الواجب ومعناه انه انتقل الى فعل ذلك كما ينتقل[٣] الماشي وإن[٤] لم يحرك قدمه ولم ينقل خطاه .

١٧٦ ـ وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يونس ـ الآية ٣]

وهذه استعارة لأن حقيقة الاستواء انما توصف بها الأجسام التي تعلو[٥]

---

(١) ط . فإنما .
(٢) ن . لأن المعنى القدم .
(٣) ن . كما ينقل .
(٤) ن . ولم يحرك ولم ينقل خطوة .
(٥) ط . التي تعلو البساط .

وتهبط وتميل وتعتدل[١] والمراد بالاستواء ههنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان لا بحلول القرار والمكان كما يقال استوى فلان الملك على سرير ملكه بمعنى استولى على تدبير الملك وملَكَ معقدَ الأمر والنهي ويحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد[٢] عليه ولا مكان عالٍ يشار اليه وإنما المراد نفاذ أمره في مملكته واستيلاء سلطانه على رعيته فإن قيل : فالله سبحانه مستولٍ على كل شيء بقهره وغلبته ونفاذ أمره وقدرته فما معنى اختصاص العرش بالذكر ههنا . قيل كما ثبت انه تعالى رب لكل شيء وقد قال في صفة نفسه ﴿ رب العرش العظيم ﴾ وقال ﴿ رب العرش الكريم ﴾ فان قيل : فما معنى قولنا عرش الله إن لم يرد بذلك كونه عليه قيل كما يقال[٣] بيت الله وإن لم يرد[٤] كونه فيه والعرش في السماء تطوف به الملائكة تعبداً كما ان البيت في الارض تطوف به الخلائق تعبداً .

١٧٧ ـ وقوله تعالى ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ . [يونس ـ الآية ١٠]

وهذه استعارة على بعض الأقوال كأن المعنى ان بشراهم بالسلام[٥] من المخاوف عند دخول الجنة فجعل مكان التحية لهم لأن لكل داخل داراً تحية يلقى بها ويؤنس بسماعها والسلام ههنا من السلامة لا من التسليم .

١٧٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾

[يونس ـ الآية ٢٤]

---

(١) ن . وتعدل .
(٢) ط . مقعد .
(٣) ن . خلت من (يقال)
(٤) ط . وإن لم يكن .
(٥) ط . بالسلامة .

وهذه(١) من أحسن الاستعارات لأن الزخرف في كلامهم اسم للزينة واختلاف الألوان المونقة وقوله سبحانه ﴿ أخذت الأرض زخرفها ﴾ أي لبست زينتها بالوان الأزهار وأصابيغ(٢) الرياض كما يقال أخذت المرأة قناعها اذا لبسته ويقال(٣) لها خذي عليك ثوبك أي البسيه ومنه قوله تعالى ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مسجدٍ ﴾(٤) . أي البسوا ثيابكم .

١٧٩ - وقوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ﴾ [يونس - الآية ٢٤]

استعارة أخرى لأن الحصيد من صفة النبات لا من صفة الارض والمعنى فجعلنا نباتها كذلك فاكتفى بذكر الارض من ذكر النبات لان النبات فيها ومنشؤه منها .

١٨٠ - وقوله تعالى ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ﴾

[يونس - الآية ٢٧]

على قراءة من قرأ بتحريك الطاء وهذه استعارة لأن الليل على الحقيقة لا يوصف بأن له قطعاً متفرقة وأجزاء متبعضة وإنما المراد والله أعلم ان الليل لو كان مما يتبعض وينفصل لاشبه سواد وجوههم ابعاضه وقطعه ونصب سبحانه مظلماً على انه حال من الليل(٥) وفيه زيادة معنى لان الليل يسمى ليلا(٦) وإن كان مقمراً فلما(٧) قال سبحانه مظلماً علم ان التشبيه انما وقع به أسود ما يكون جلبابا وأبهم أثواباً .

(١) ط . وهذه استعارة حسنة .
(٢) ن . أصابع .
(٣) ط . تقول .
(٤) سورة الأعراف الآية ٣١ .
(٥) ن . لم ترد لفظة (الليل) .
(٦) ط . قد سمي ليلاً .
(٧) ط . فإنما قال سبحانه مظلماً على أن التشبيه الخ .

١٨١ - وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾

[يونس - الآية ٦٧]

وهذه استعارة عجيبة أومأنا الى نظيرها فيما تقدم وذلك انه سبحانه انما سمى النهار مبصراً لان الناس يبصرون فيه فكان ذلك صفة الشيء بما هو سبب له على طريق المبالغة كما قالوا ليل أعمى وليلة عمياء إذا لم يبصر الناس فيها شيئاً لشدة اظلامها وسقوط اكنافها(١) .

١٨٢ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾

[يونس - الآية ٧١]

على قراءة من قرأ فأجمعوا من الأجماع وهذه استعارة والمعنى اشتوروا في امركم وأجمعوا له بالكم وبالغوا في قدح الرأي بينكم حتى لا يكون أمركم غمة عليكم أي مغطى تغطية حيرة ومبهما ابهام جهالة فيكون عليكم كالغمة العمياء والطخبة (٢) الظلماء(٣) وذلك مأخوذ من قولهم غم الهلال إذا تغطى ببعض الموانع التي تمنع من رؤيته « ثم افعلوا بي ما انت فاعلون » وهذه حكاية لقول نوح عليه السلام لقومه ومخرج الكلام منه على الاستقلال لكيدهم وقلة الحفل باجتماعهم(٤) واحتشادهم .

١٨٣ - وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾

[يونس - الآية ٨٨]

(١) ط . خلت من (أكنافها) .
(٢) الطخية : الظلمة .
(٣) ن . الطخياء .
(٤) باستجماعهم .

وهـذه استعارة لأن حقيقـة الطمس محـو الأثر من قولهم : طمست الكتـاب إذا محوت سطوره.وطمست الريح ربع الحي اذا محت رسومـه فكأنّ مـوسى عليه السلام إنما دعـا الله سبحانـه بأن يمحـو معارف أمـوالهم بالمسح[١] لهـا حتى لا يعـرفوهـا ولا يهتدوا اليهـا وتكون منقلبـة[٢] عن حال الانتفـاع بها لان الـطمس يغـير حال الشيء الى الـدثور والـدروس وقولـه تعالى ﴿ واشـدد على قلوبهم ﴾ استعـارة اخرى امـا ان يكون المـراد بالختم والـطبع لان معنى الشـد يـرجـع الى ذلك أو يكون المراد بها تثقيـل العقاب عـلى القلوب بالايـلام لها ومضـاعفة الغم والكـرب عليها ويكـون ذلك عـلى معنى قـول النبي صـلى الله عليـه وآلـه :اللهم اشدد وطأتك على مضر أي اغلظ عليهم عقابك وضاعف عليهم لأواءك[٣].

١٨٤ ـ وقـولـه تعـالى : ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

[يونس ـ الآية ١٠٥]

فهـذه[٤] استعارة وقـد أومأنـا الى مثلها فيـما تقدم والمـراد بهـا استقم عـلى دينك واثبت على طريقك وخص الوجه بالذكر لأن به يعـرف توجـه الجملة نحو الجهـة المقصودة وقـد يجوز ان يكـون المـراد بـذلـك والله اعلم اقم وجهـك اي قـومـه نحـو القبلة التي هي الكعبـة مستمـراً عـلى لـزومهـا وغـير منحـرف عن جهتها .

(١) ن . بالمسخ .

(٢) ن . منتقلة .

(٣) ط . عقابك .

(٤) ط . وهذه .

سورة هود

ومن السورة التي يـذكر فيهـا هودٌ عليه السلام

١٨٥ ـ وقـوله تعـالى : ﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُـهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾

[هود ـ الآية ١]

وهـذه استعـارة لان آيـات القـرآن لمـا ورد[١] في بعضهـا[٢] ذكـر الثـواب والعقاب وفي بعضها ذكـر الحلال والحـرام واستمرت عـلى ذلك بـين وعد مقـدم ووعيـد مؤخر ونـذارة مبتدأ بهـا وبشـارة معقب بـذكـرهـا شبه القـرآن لـذلـك بالنظائم المفصلة التي يوافق فيها بين الاشكال تـارة ويؤلف بين الاضـداد مرة[٣] ليكون ذلـك أحسن في التنضيـد[٤] وأبلغ في الترصيف[٥] وهـذه من بـدائـع الاستعارات .

١٨٦ ـ وقـولـه تعـالى ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُـدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْـهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

[هود ـ الآية ٥]

(١) ن . لما وردت .

(٢) ط . لم تذكر جملة (في بعضها ذكر الثواب والعقاب .) .

(٣) ط . تارة .

(٤) من نَضَدَ :المتاع :ضم بعضه إلى بعض متسقاً أو مركوماً ، فالمتاع منضود .

(٥) . من رَصَفَ الحجارة : ضم بعضها الى بعض بانتظام . يقال : « هذا أمر لا يرصُف بك » أي لا يليق .

وهذه استعارة لأن حقيقة الثني لا تتأتى في الصدور والمراد بذلك والله اعلم انهم يثنون صدورهم على عداوة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وذلك كما يقول القائل هذا الأمر في طي ضميري اي قد اشتمل عليه قلبي فيكون قوله تعالى « يثنون صدورهم » بمنزلة قوله:يطوون صدورهم ولفظ يثنون اعذب استماعاً[1] وأحسن مجازاًوقيل :[2]معنى ذلك ان المنافقين كانوا اذا اجتمعوا تخافتوابينهم في الكلام وحنوا ظهورهم تطامناً عند الحوار[3] خوفاً من مرامق[4] العيون ومراجم الظنون ووقوع[5] ما يتفاوضونه في اسماع المسلمين. فإذا انحنت ظهورهم انثنت[6] صدورهم. فأعلمنا الله سبحانه انهم وإن اغلقوا أبوابهم واسدلوا ستورهم واستغشوا ثيابهم بمعنى اشتملوا بها أو بمعنى أدخلوا رؤوسهم فيها على ما قاله بعضهم فانه تعالى يعلم غيب صدورهم ودخائل قلوبهم ومرامز اعينهم ومحارف السنتهم .

١٨٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ ﴾

[هود ـ الآية ٩]

وهذه استعارة لأن اذاقة الرحمة ونزعها ليس بحقيقة ههنا وانما المراد بذلك انا اذا رحمنا الانسان بعد توبته من مواقعة بعض[7] الذنوب فقبلنا متابه واسقطنا عقابه ثم واقع بعد ذلك ذنباً آخر واستحق[8] ان نعاقبه وأن نزيل رحمتنا عنه يئس من الرحمة وقنط من المغفرة وليس الأمر كذلك لأنه اذا عاود

(١) ن . سماعاً .

(٢) ط . وقيل أيضاً بل معنى ذلك .

(٣) ن . عند الجواب .

(٤) ط . من رمق .

(٥) ط . لوقوع .

(٦) ن . وانثنت .

(٧) ط . لم ترد (بعض) .

(٨) ن . فاستحق .

الاقلاع أمن الايقاع[1] وقد اخرج سبحانه هذا الكلام مخرج الذم لمن يواقع المعصية فيقنط من قبول التوبة فمعنى أذقنا الانسان منا رحمة أي عرفناه أنا قد رحمناه إذ قد أوجبنا قبول التوبة إذا اخلص العبد فيها وأتى بها على شروطها وحدودها ومعنى ثم نزعناها منه أي أزلنا عنه رحمتنا لاجل اقترافه المعصية التي اقترفها في الثاني وقد يجوز ان يكون المراد بالحرمة ههنا والله اعلم النعمة والسراء ويكون انتزاعها منه بمعنى ابداله بها الشدة والضراء اجراءً له في مضمار الابتلاء والاختبار أو مصلحة يكون معها اقرب الى الصلاح[2] والرشاد ومما يقوي ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ **ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنّي انه لفرح فخور** ﴾

١٨٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾

[هود ـ الآية ٢٨]

وهذه استعارة لأن الرحمة لا توصف له بالعمى وإنما يوصف الناس بالعمى عن تمييز[3] مواقعها وادراك مواضعها فلما وصفوا بالعمى عنها حسن أن توصف هي[4] بذلك على القلب كما يقال ادخلت الخاتم في اصبعي والمغفر في رأسي وإنما الاصبع دخلت في الخاتم والرأس دخل في المغفر وقد يجوز أيضاً[5] ان قوله سبحانه ﴿ **فعميت عليكم** ﴾ بمعنى خفيت عليكم كما يقول القائل « عمي عليّ[6] خبرهم » وعمي عليّ[7] أثرهم أي خفي عني الخبر والاثر .

(١) ن . أمن العقاب .

(٢) ط . إلى الاصلاح .

(٣) ن . عن تبين .

(٤) ط . حسن أن يوصف بذلك في القلب .

(٥) ط . خلت من (أيضاً) .

(٦) ط . وقد عمي على خبري.

(٧) ن . وعمي على أمرهم .

١٨٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾
[هود - الآية ٣١]

وهذه استعارة كما يقول القائل اقتحمت فلانا عيني واحتقره طرفي اذا قبح في منظر عينيه خلقةً وصغر دمامةً ليس ان العين على الحقيقة يكون منها الاحتقار أو يجوز عليها الاستصغار .

١٩٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾
[هود - الآية ٣٤]

وذكر الاغواء ههنا من قبيل الاستعارة وان لم يكن من صريحها وكذلك لفظ المكر والاستهزاء وما يجري هذا المجرى لان المراد بمعاني هذه الالفاظ غير المراد بظواهرها[١] والمتعارف[٢] من الاغواء هو الدعاء الى الغي والضلال وذلك غير جائز على الله سبحانه لقبحه وورود أمره بضده فالمراد إذاً بالاغواء ههنا تجنيبه سبحانه لهم من رحمته لكفرهم[٣] به وذهابهم عن أمره من الشاهد على ذلك قوله تعالى ﴿ **فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً** ﴾[٤] أي خيبة من الرحمة وارتكاساً في النقمة وقد جاء لفظ الاغواء والمراد به التخييب في كثير من منثور كلامهم ومنظوم أشعارهم ويجوز أن يكون الاغواء ههنا بمعنى الاهلاك لهم ويجوز أن يكون[٥] بمعنى الحكم بالغواية عليهم .

(١) ن . بظاهرها .
(٢) ط . فالتعارف .
(٣) ط . خلت من الجار والمجرور .
(٤) سورة مريم الآية ٥٩ .
(٥) ن . خلت من (أن يكون)

١٩١ - وقوله تعالى ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود - الآية ٣٧]

وهذه استعارة ومعناها واصنع الفلك بأمرنا ونحن نرعاك ونحفظك ليس ان هناك عيناً تلحظ ولا لساناً يلفظ وذلك كما يقول القائل « انا بعين الله » أي بمكان من حفظ الله ومن كلامهم للظاعن[١] المشيع والحميم المودع صحبتك عين الله أي رعايته وحفظه .

١٩٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾
[هود - الآية ٤٤]

وهذه استعارة لان الارض والسماء لا يصح أن تؤمرا أو تخاطبا لان الامر والخطاب لا يكونان إلا لمن يعقل ولا يتوجهان إلا لمن[٢] يعي ويفهم فالمراد إذاً بذلك الاخبار عن عظيم قدرة الله سبحانه وسرعة مضي أمره ونفاذ تدبيره نحو قوله سبحانه ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾[٣] وهذا اخبار عن وقوع أوامره سبحانه من غير معاناة ولا كلفة ولالغوب[٤] ولا مشقة وفي[٥] هذا الكلام ايضاً فائدة أخرى لطيفة وهو ان قوله تعالى ﴿ **يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي** ﴾ ابلغ من قوله « يا أرض اذهبي بمائك » لان في الابتلاع دليلا على اذهاب الماء بسرعة[٦] ألا ترى ان قولك لغيرك ابلع هذا الطعام ابلغ من قولك له[٧] كل هذا الطعام إذا أردت منه ايصاله الى جوفه

(١) من ظَعَنَ : سار ورحل .
(٢) ن . الى من .
(٣) سورة النحل الآية ٤٠ .
(٤) من لَغَبَ : تعب واعيا أشد الإعياء .
(٥) ن . ففي
(٦) ن . (سرعة) . من غير حرف جر .
(٧) ن . خلت من (له) .

بسرعة وكذلك الكلام في قوله تعالى ﴿ ويا سماء اقلعي ﴾ لان لفظ الاقلاع ههنا[1] ابلغ من لفظ الانجلاء لان في الاقلاع[2] ايضا معنى الاسراع بازالة السحاب كما قلنا في الابتلاع وذلك ادل على نفاذ القدرة وطواعية الامور من غير وقفة ولا لبثة هذا الى ما في المزاوجة بين اللفظتين من البلاغة العجيبة والفصاحة الشريفة إذ يقول ﴿يا ارض ابلعي﴾ ﴿ويا سماء أقلعي﴾ ومثل هذا في القرآن اكثر من ان يشار اليه ويدل عليه[3] .

١٩٣ - وقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود - الآية ٥٨]

وهذه استعارة لان العذاب في الحقيقة لا يوصف بالغلظ[4] ولا بالدقة لانه الألم[5] الذي يلحق الحي في قلبه أو جسمه وإنما وصفه سبحانه تعالى بالغلظ على طريقة كلام العرب لأنهم[6] يصفون الامر الهين بالضؤولة[7] والدقة كما يصفون الامر[8] الشاق بالغلظ والشدة حملا لذلك على عرفهم في المراعاة للشيء الغليظ الكثيف وقلة الحفل بالشيء الدقيق الضئيل الا ترى الى قولهم عرض فلان دقيق وقدره ضئيل والى قولهم في مقابلة ذلك لقي فلان فلانا بكلام غليظ وقول ثقيل وقد يجوز والله اعلم ان يكون المراد بعذاب غليظ ههنا الصفة لعذاب الآخرة وعذاب[9] الآخرة إنما يقع بالآلات المستعظمة

(١) ن . ايضاً . مكان ههنا .
(٢) ن . لأن الاقلاع ايضاً بمعنى الاسراع .
(٣) ط . خلت من (ويدل عليه) .
(٤) ن . بالغلظ .
(٥) ن . الايلام القي .
(٦) ن . كما يصفون .
(٧) من ضؤل : صغر ، ضعف .
(٨) ن . كما يصفون الشاق .
(٩) ط . والعذاب .

والاعيان[1] المستفظعة مثل مقامع الحديد والحجارة المحماة[2] فوصف سبحانه العذاب بالغلظ لأنه واقع بالاشياء الغليظة والآلات الثقيلة فيكون ذلك مجازاً من هذا الوجه . ومما يقوى ان المراد بقوله تعالى ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ عذاب الآخرة قوله سبحانه ، ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ وهذه النجاة من عذاب الدنيا ثم قال تعالى ﴿ ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ فدل على ان النجاة من العذاب الاول غير النجاة من العذاب الآخر وان الاول عذاب الدنيا والثاني عذاب الآخرة وإلا كان وجه الكلام « ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا برحمة منا من عذاب غليظ » ولم يكن لقوله تعالى ﴿ ونجيناهم ﴾ ثانياً معنى .

١٩٤ - وقوله تعالى حاكياً عن لوط عليه السلام ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود - الآية ٨٠]

وهذه استعارة والمراد بها لو كنت آوي الى كثرة من قومي وعدد من أهلي وجعلهم ركنا له لان الانسان يلجأ الى قبيلته ويستند الى اعوانه ومنعته كما يستند الى ركن البناء الرصين والنضد الامين وجاء جواب لو ههنا محذوفاً والمعنى لو انني على هذه الصفة لحلت بينكم وبين ما هممتم به من الفساد وأردتموه من ركوب[3] الفحشاء والحذف ههنا ابلغ لانه يوهم المتوعد بعظيم الجزاء وبغليظ النكال ويصرف وهمه الى ضروب العقاب ولا يقف به عند جنس من اجناس[4] المخوفات المتوقعات وليس مخرج[5] هذا الكلام من لوط عليه السلام على ما ظنه[6] من لا معرفة له وقدح فيه بأن قال: ألم يكن يأوي

(١) ط . كالأعيان .
(٢) ط . والحجارة المحماة بالجحيم .
(٣) ط . من ذنوب .
(٤) ن . عند حس من احساس .
(٥) ن . وليس يخرج
(٦) ن . عن ظن .

الى الله تعالى فما معنى هذا القول الذي قاله؟ وذلك ان لوط عليه السلام على ما ذكرنا إنما اراد الاعوان من قومه والاركان المستند اليها من قبيلته وهو يعلم ان له من معونة(١) الله سبحانه أشد الاركان واعز الاعوان الا ان من تمام ازاحة العلة في التكليف حضور الناصر وقرب المعاضد المرافد .

١٩٥ ـ وقوله تعالى في صفة الحجارة المرسلة على قوم لوط : ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾

[هود ـ الآية ٨٣]

وهذه استعارة لان حقيقة التسويم هي العلامات التي يعلم بها الفرسان والافراس في الحرب للتمييز بين الشعارات والتفريق بين الجماعات قال الله سبحانه ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين ﴾(٢) وقرىء «مسوَّمين» بفتح الواو. وقال سبحانه: ﴿والخيل المسومة﴾ (٣) والمعنى انه سبحانه لما جعل تلك الحجارة حرباً لهم واعواناً عليهم وصفها بوصف رجال الحرب وخيولهم فكأنها مرسلة من عند الله اي من عند ملائكة الله الذين تولوا الرمي بها ارسال الخيول المسومة على اعدائها وان لم يكن هناك تسويم(٤) على الحقيقة وقد قال بعضهم ان تلك الحجارة كانت على الحقيقة معلمة بعلامات تدل على انها اعدت للعذاب وافردت للعقاب وذلك املأ للقلوب واعظم في الصدور .

١٩٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾

[هود ـ الآية ٨٤]

وهذه استعارة من وجهين احدهما وصف اليوم بالاحاطة وليس بجسم فيصح وصفه بذلك والوجه الآخر ان لفظ محيط ههنا كان يجب ان يكون من

(١) ن . ان له معونة من الله

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٥ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤ .

(٤) من سام : الخيل المسومة : المرعيّة والمرسلة مطلقة .

نعت العذاب فيكون منصوبا فجعله سبحانه من نعت اليوم فجاء مجروراً . فأما وصف اليوم بالاحاطة وإن لم يتأت فيه ذلك فالمراد به والله اعلم ان العذاب لما كان يعم المستحقين له في يوم القيامة حسن وصف ذلك اليوم بأنه محيط(١) اي انه كالسياج المضروب بينهم وبين الخلاص من العذاب والافلات من العقاب، واما نقل نعت العذاب الى نعت اليوم فالوجه فيه ان العذاب لما كان واقعاً في ذلك اليوم كان ذلك اليوم كالمحيط به لانه ظرف لحلوله ووقت لنزوله ونعوذ بالله(٢) منه .

١٩٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[هود ـ الآية ٨٦]

وهذه استعارة لأن حقيقة(٣) البقية ترك(٤) شيء من شيء قد مضى ولا يجوز(٥) اطلاق ذلك على الله سبحانه فإذاً يجب أن يكون المراد غير هذه الحقيقة وقد قيل في معنى ذلك وجوه احدها بقية الله من نعمه(٦) خير لكم وقد قيل: بقية الله طاعته. وذلك لانها تبقي رضاه وثوابه ابداً ما بقيت وقد قيل(٧): بقية الله اي عفو الله عنكم ورحمته لكم بعد استحقاقكم العذاب كما يقول العرب المتحاربون بعضهم لبعض اذا استحرّ فيهم القتل وأعضلهم(٨) الخطب البقية البقية اي نسألكم البقية علينا والمكافاة(٩) لنا والبقية ههنا والابقاء بمعنى واحد .

١٩٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾

[هود ـ الآية ٨٧]

(١) ط . يحيط بهم .

(٢) ط . جملة نعوذ بالله منه لم ترد .

(٣) ن . صفة مكان حقيقة .

(٤) ط . تركه .

(٥) ط . فلا يجوز اطلاق .

(٦) ط . من نعمته .

(٧) ط . وقيل .

(٨) من عَضَلَ : عَضَّلَ عليه : ضيق عليه ومنعه أعضلَ الأمر : اشتد واستغلق .

(٩) كذا في النسختين ويجوز ان يكون الأصل (المكافاة عنا)

وهذه استعارة لان الصلاة لا يصح منها الأمر على الحقيقة وإنما اطلق عليها ذلك لانها بمنزلة الأمر بالخير والناهي عن الشر وقد قيل: المراد بذلك ادينك يأمرك بهذا اي في(1) شريعتك ودينك الأمر بهذا فاذا كان ذلك في عقد الدين حسن أن يضاف الأمر به الى الدين وفي هذا الكلام أيضاً مجاز آخر وهو انه تعالى قال ﴿ أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ وليس يصح على ظاهر الكلام ان يؤمر شعيب بأن يترك قومه شيئاً هم عليه وانما المعنى والله اعلم أصلاتك تأمرك أن تأمرنا بترك ما يعبد اباؤنا فاكتفى بذكر الامر الاول عن ذكر الامر الثاني لانه كالمعلوم من فحوى الكلام وهذا من غوامض اسرار القرآن .

١٩٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ أرهطي(2) أعزُّ عَلَيْكُم مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً ﴾

[هود ـ الآية ٩٢]

وهذه استعارة لان الله سبحانه لا يجوز عليه ان يجعل ظهرياً على الحقيقة فالمراد انكم جعلتم امر الله سبحانه وراء ظهوركم وهذا معروف في لسان العرب ان يقول الرجل منهم لمن اغفل قضاء حاجته أو ثني عطفاً عن عذله وعتابه جعلت(3) حاجتي وراء ظهرك وتركت مقالي دبر اذنك(4) أي لم تعن بحاجتي ولم تصغ الى معاتبتي .

٢٠٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾

[هود ـ الآية ٩٤]

وهذه استعارة لان حقيقة الأخذ انما توصف بها الأجسام والصيحة

(1) التي مكان أي .

(2) من الرهط : القوم المجتمعون .

(3) ن . خلت من (جعلت) .

(4) ن . مرادك .

عرض من الأعراض لانها بعض الأصوات إلا انها اقوى للاسماع صكا وقرعاً(1) وأبلغ في القلوب وجلا وروعاً والمراد ان اهلاكهم(2) لما كان عن الصيحة حسن ان يقال انها اخذتهم بمعنى ذهبت(3) بنفوسهم وأتت على جميعهم .

٢٠١ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾

[هود ـ الآية ٩٨ و٩٩]

فقوله تعالى وبئس الورد المرود وبئس الرفد المرفود استعارتان لانه تعالى جعل فرعون في تقدمه قومه الى النار بمنزلة الفارط المتقدم للوارد الى المورود كما كان في الدنيا متقدمهم الى الضلالة وقائدهم الى الغواية وجعل النار بمنزلة الماء الذي يورد ثم قال تعالى ﴿ وبئس الورد المورود ﴾ لانه لا يجيز(4) الغصة ولا ينقع الغلة وقد اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ وبئس الورد المورود ﴾ وهل ذلك ذم لنار جهنم على الحقيقة أو المجاز فقال ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ذلك على طريق المجاز والمعنى بئس وارد النار. وقال ابو القاسم البلخي بل ذلك على طريق الحقيقة فأما قوله سبحانه ﴿ واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾ فانما قلنا انه استعارة لأن حقيقة الرفد العطية يقال رفده يرفده رَفداً و رِفداً بفتح الراء وكسرها ولكن اللعنة لما جعلت بدلاً من الرفد لهم عند انتقالهم من دار الى دار على عادة المنتجع المسترفد والراحل(5) المتزود(6) جاز ان يسمى رفداً على طريق المجاز كما قال تعالى ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾

(1) ن . وقزعا .

(2) ط . هلاكهم .

(3) ط . ذهب .

(4) . لا يجد . كذا .

(5) ط . الرجل المتزود .

(6) ن . المردود بدل المتزود .

والبشارة في الاعم الاغلب إنما تكون بالخير لا بالشر ولكن لما جعل اخبارهم باستحقاق العذاب في موضع البشارة لغيرهم باستحقاق الثواب جاز ان يسمى ذلك بشارة .

٢٠٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾

[هود ـ الآية ١٠٠]

وهذه استعارة والمعنى منها قائم البناء خال من الاهل ومنها منقوض الابنية ملحق بالارض تشبيهاً بالزرع المحصود والى هذا يومىء قوله تعالى ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾(١) وقوله تعالى ﴿وهي خاوية على عروشها﴾(٢) والعروش الابنية أي خالية من أهلها على ما فيها من بواقي ابنيتها.وقد يجوز ان يكون أيضاً ذلك كناية عن أهل القرى فكأنه سبحانه شبه الاحياء الباقين بالزرع النامي وشبه الاموات الهالكين بالزرع الذاوي وذلك احسن تمثيل وأوقع تشبيه .

٢٠٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

[هود ـ الآية ١١٩]

وهذه استعارة والمراد ههنا بتمام كلمة الله سبحانه صدق وعيده الذي تقدم الخبر به وتمامه وقوع مخبره مطابقاً لخبره(٣) .

---

(١) سورة الحج الآية ٤٥ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩ . وسورة الكهف الآية ٤٢ .
(٣) ط . وتمام وقوع مخبره مطابقاً لخبره .

سورة يوسف

ومن السورة التي يذكر فيها يوسف عليه السلام

٢٠٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[يوسف ـ الآية ٤]

وهذه استعارة لأن الكواكب والشمس والقمر مما(١) لا يعقل فكان الوجه ان يقال ساجدة ولكنها لما اطلق عليها فعل من(٢) يعقل جاز ان توصف بصفة من يعقل لان السجود من فعل العقلاء وهذا كقوله سبحانه ﴿ **يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم**﴾(٣) فلما كانت النمل في هذا القول مأمورة أمر من يعقل جرى الخطاب عليها جريه(٤) على من يعقل ومثل ذلك قوله تعالى ﴿**وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا**﴾(٥) لانها لما شهدت عليهم شهادة العقلاء المخاطبين اجروها في الخطاب مجرى العقلاء المخاطبين ومن الشاهد على ذلك قول عبدة ابن الطبيب :

---

(١) ن . خلت من (مما)
(٢) ن . ما يدل من .
(٣) سورة النمل الآية ١٨ .
(٤) ن . لم ترد فيها (على) .
(٥) سورة فصلت الآية ٢١ .

إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته   لدى الصباح وهم قوم معازيل

فلما جعله(1) الداعي جعل الديكة بمنزلة القوم المدعوين وجعلهم اسرة له واسرة الرجل قومه ورهطه والمعازيل الذين لا سلاح معهم فكأنه جعله مستنصراً من لا نصرة(2) له ولا غناء عنده وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾(3) على احد القولين فكأنه سبحانه رد خاضعين الى اصحاب الاعناق لا إلى الاعناق لأن الخضوع منهم يكون على الحقيقة وقد يجوز أيضاً ان يكون قوله تعالى في ذكر الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين إنما حسن على تأويل تلك الرؤ يا وتأويلها يتناول من يعقل من أخوة يوسف وأبويه فجرى الوصف على تأويل الرؤ يا ومصير العقبى وهذا موضع حسن ولم يمض بي لمن تقدم(4) .

٢٠٥ ـ وقوله تعالى ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف ـ الآية ١٨]

وهذه استعارة لان الدم لا يوصف بالكذب على الحقيقة والمراد بذلك والله اعلم بدم مكذوب فيه والتقدير بدم ذي كذب وإنما وصف(5) الدم بالمصدر الذي هو الكذب(6) على طريق المبالغة لان الدعوى التي علقت بذلك الدم كانت(7) غاية في الكذب وقال بعضهم وقد يجوز أيضاً ان يكون كذب ههنا صفة لقول محذوف يدل عليه الحال وكأن التقدير وجاءوا على قميصه بدم وجاءوا بقول كذب اذ (8) كانت اشارتهم الى آثار الدم في القميص قد صحبها

(1) ن . فلما جعلهم بمنزلة الداعين .
(2) ن . من لا يضره .
(3) سورة الشعراء الآية ٤ .
(4) ط . ولم يمض لي كمن تقدم والظاهر أن المقصود ولم يسبق به قول للمتقدمين .
(5) ط . يوصف .
(6) ط . كذب .
(7) ن . كان .
(8) ن . أي بدل اذ .

قول منهم يؤكد تلك الحال(1) وهو قولهم ﴿إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب﴾(2) والقول الأول اصوب ومن غرائب التفسير ما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال سمعت بعض الرواة يقرأ بدمٍ كدبٍ بالاضافة والدال(3) وقال (الجدي)(4) في كلام الكنعانيين وأنشد لبعضهم :

طلت(5) دماء بني عوف كأنهم   عند الهياج رعاث بين أكداب

وقيل انهم لطخوا قميص يوسف عليه السلام بدم جدي ذبحوه .

٢٠٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف ـ الآية ١٨]

وهذه استعارة وحقيقة التسويل تزيين الانسان لغيره أمراً غير جميل فجعل تعالى أنفسهم لما قوي فيها الأقدام على ذلك الأمر المذموم بمنزلة الغير الذي يحسن لهم فعل القبيح ويحملهم على ركوب العظيم .

٢٠٧ ـ وقوله تعالى ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾ [يوسف ـ الآية ، ٣٠]

وهذه استعارة والمراد بها ان حبه تغلغل اليها حتى اصاب شغافها وهو غشاء قلبها كما تقول(6) بطنت الرجل إذا اصبت بطنه ويقال معنى شغفها أي صلب شغاف قلبها على طريق المبالغة في وصف حبها له كما تقول سلبت الرجل إذا أخذت سلبه .

(1) ن . يؤكد بذلك الخلف .
(2) سورة يوسف الآية ١٧ .
(3) ط . من الدال.
(4) ن . خلت من « قال » .
(5) ن . طل الدماء .
(6) ن . خلت من « تقول »

٢٠٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴾

[يوسف ـ الآية ٤٤]

وهذه أبلغ استعارة وأحسن عبارة لان واحد الاضغاث ضغث وهو الخليط[1] من الحشيش المضموم[2] بعضه الى بعض كالحزمة وما يجري مجراها فشبه سبحانه اختلاط الاحلام وما يراه الانسان من المحبوب والمكروه والمساءة والسرور باختلاط الحشيش المجموع من اخياف[3] عدة واصناف كثيرة .

٢٠٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴾

[يوسف ـ الآية ٤٨]

وهذه استعارة والمراد بالسبع الشداد السنون المجدبة ومعنى يأكلن ما قدمتم لهن أي ينفد فيهن ما ادخرتموه لهن من السنين المخصبة وجرى ذلك على عادة العرب في قولهم أكلت آل فلان السنة يريدون مسهم الضر في حال[4] الجدب وزمان الازل حتى انهم[5] يسمون السنة المجدبة الضبع فيقولون اكلتهم الضبع اي نهكتهم سنة الجدب وقال بعضهم إنما نسب تعالى الاكل اليهن لان الناس يأكلون فيهن ما ادخروه ويستنفدون ما اعدوه كما يقال يوم آمن وليل خائف أي يأمن الناس في هذا ويخافون في هذا .

٢١٠ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ [يوسف ـ الآية٥٢]

---

(١) ن . وهو خلط .

(٢) ن . المضمون .

(٣) ن . أصناف .

(٤) ط . عام .

(٥) ط . كأنهم ليسمون .

وهذه استعارة لانه تعالى أقام كيد[1] الخائنين مقام الخابط في طريق ليصل الى مضرة المكيد وهو غافل عنه فاعلمنا سبحانه أنه لا يهديه بمعنى لا يوفقه لاصابة الغرض ولا يسدده لبلوغ المقصد بل يدعه يخبط في ضلالة ويتسكع في متاهة لانه كالساري في غير طاعة الله فلا يستحق ان يهدى لرشد ولا يسدد[2] لقصد .

٢١١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾

[يوسف ـ الآية ٥٣]

وهذه استعارة لأن النفس لا يصح أن تأمر على الحقيقة ولكن الانسان لما كان يتبع دواعيها الى الشهوات وينقاد بأزمّتها الى المقبحات كانت بمنزلة الآمر المطاع وكان الانسان بمنزلة السامع المطيع وإنما قال سبحانه لامارة ولم يقل لآمرة مبالغة في صفتها بكثرة الدفع في المهاوي والقود[3] الى المغاوي لأن فعالا من امثلة التكثير كما ان فاعلا من امثلة التقليل .

٢١٢ ـ وقوله تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ﴾ [يوسف ـ الآية ٧٦]

وهذه استعارة لانه ليس هناك على الحقيقة بناء يوطد ولا درجات تشيد وإنما المراد به تعلية معالم الذكر في الدنيا ورفع منازل الثواب في الآخرة .

٢١٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾

[يوسف ـ الآية ٨٢]

---

(١) ط . تكررت هذه العبارة ثلاثاً .

(٢) ط . ولا يتسدد .

(٣) ن . والعقود .

وهـذه من مشاهـير الاستعارات والمـراد وأسأل أهـل القريـة التي كنا فيهـا واصحاب العير التي اقبلنا فيها ومما يكشف عن ذلك قـوله تعـالى في السورة التي يذكر فيها الأنبياء عليهم السلام ﴿ **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين** ﴾(١) والقرية هي الابنية المعروشـة والخطط المسكونة لا يصـح منها عمـل الخبائث فعلم ان المـراد بـذلـك اهلها لانفسهـا(٢) ومن الشـاهد(٣) عـلى ذلك أيضاً قولـه سبحانـه في القصص ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها** ﴾(٤) ثم قـال ﴿ **فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الـوارثين** ﴾ وقـال بعضهم ان القريـة الجماعـة المجتمعة لا الابنيـة المشيـدة وذلك مأخـوذ من قولهم قـرى الماء في الحـوض إذا جمعه والعـير هي الابل وفيهـا اصحابها وإنما أنَّث سبحانه ضمير القـرية بقـوله(٥) ﴿ **التي كنا فيها** ﴾ عـلى اللفظ كـما يقول القـائـل قـامت تلك الـطائفـة(٦) وتفـرقت تلك الجـمـاعـة عـلى اللفظ ويحسن منه أن يقول عقيب هـذا الكلام « وأكلوا وشـربوا وركبـوا وذهبوا » حمـلا عـلى المعنى دون اللفظ كما قـال تعالى ﴿ **من القرية التي كانت تعمل الخبائث** ﴾ ثم قال سبحانه ﴿ **إنهم كانوا قوم سوء** ﴾ على المعنى وكـذلك القـول في العير فـانما انث ضميـرها عـلى اللفظ لأن العير مؤنثـة وقـال تعـالى في هـذه السـورة ﴿ **ولما فصلت العـيـر** ﴾ (٧)

٢١٤ ـ وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف ـ الآية ٨٧]

وهذه استعارة والمـراد لا تيأسـوا من فرج الله والـروح هو نسيم الريح التي

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ٧٤ .
(٢) ن . (لانفسها) زيادة على ما في ط .
(٣) ن . من قوله (ومن الشاهد الى قوله تعالى وكنا نحن الوارثين) زيادة لم ترد في ط .
(٤) سورة القصص الآية ٥٨ .
(٥) ن . خلت من (بقوله) .
(٦) ن . الطوائف .
(٧) الآية ٩٤

يلذ(١) شميمهـا ويطيب نسيمهـا فشبه تعـالى الفرج الـذي يأتي بعـد الكـربـة(٢) ويطرق بعداللزبة(٣) بنسيم الريـح الذي(٤) تـرتاح القلوب لـه وتثلج الصدور بـه ومثل ذلك ما جاء في الخبر .الريـح من نفس الله .أي من تنفيسه عن خلقـه يريـد بـه ان القلوب تستروح اليهـا كـما يستـروح المكـروب الى نفسـه وذو الخنـاق الى لتنفيسه .

٢١٥ ـ وقوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾

[يوسف ـ الآية ١٠٧]

وهـذه استعـارة والمـراد بـذلـك المبـالغـة في صفـة العـذاب بـالعمـوم لهم والاطبـاق عليهم كالغـاشية التي تشتمـل عـلى الشيء فتجلله من جميع جنبـاتـه وتستره عن العيون من كل جهاته(٥).

(١) ن . يلتذ .
(٢) ن . الكرب .
(٣) من لَزَب : الشدة ، القحط .
(٤) ن . التي .
(٥) ن . وجهاته .

سورة الرعد

السورة التي يذكر فيها الرعد

٢١٦ ـ وقوله تعالى ﴿ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد ـ الآية ٥]

وجديد ههنا استعارة لأن اصله مأخوذ من الجد وهو القطع يقال قد جد الثوب فهو جديد بمعنى مجدود إذا قطع من منسجه أو قطع لاستعمال لابسه والمراد والله اعلم «أإنا لفي خلق جديد» أي قد فرغ من استئنافه وأعيد الى موضع ثوابه وعقابه فصار كالثوب الذي قطع من[1] منسجه بعد الفراغ من عمله .

٢١٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾
[الرعد ـ الآية ٦]

وهذه استعارة والمراد بها مضي المثلات وهي العقوبات للامم السالفة قبلهم وتقدمها امامهم وقولهم خلت الدار أي مضى سكانها عنها وخلوا هم اي مضوا عن الدار[2] وتركوها وقولهم القرون الخالية اي الماضية والعقوبات على الحقيقة لم تمض وإنما مضى المعاقبون بها والمصابون بمكروهها[3] فكأنهم

(١) ط . لم ترد فيها لفظة (من) .
(٢) ن . الديار في الموضعين .
(٣) ن . (والمصابون بمكروهها) زيادة على ما في ط .

ذكروا بالعقوبات الواقعة قبلهم ليعتبروا بها ويحذروا[1] من وقوع مثلها .

٢١٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾
[الرعد ـ الآية ٨]

وهذه استعارة عجيبة لأن حقيقة الغيض انما يوصف بها الماء دون غيره يقال غاض الماء وغضته ولكن النطفة لما كانت تسمى ماء جاز أن توصف الأرحام بأنها تغيض في قرارها وتشتمل على نقاعاتها فيكون ما غاضته من ذلك الماء سبباً لزيادته بأن يصير علقة ثم مضغة ثم خلقة مصورة فذلك معنى قوله ﴿ وما تزداد ﴾ وقيل : أيضاً معنى تغيض الارحام أي ما تنقص باسقاط العلق واخراج الخلق ومعنى ما تزداد أي ما تلده لتمام وتؤدي خلقه على كمال فيكون الغيض ههنا عبارة عن النقصان والازدياد عبارة عن التمام .

٢١٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾
[الرعد ـ الآية١٣]

وهذه استعارة لأن التسبيح[2] في الاصل تنزيه الله سبحانه عن شبه المخلوقات وتبرئته من مدانس الاعمال وقبائح الافعال وهذا لا يتأتى من الرعد الذي هو اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض والمراد والله اعلم ان أصوات الرعود تقوى بها الدلالة على عظيم قدرة الله سبحانه وبعده عن شبه الخليقة المقدرة وصفات البرية المدبرة إذ كان الرعد كما قلنا إنما تغلظ اصواته وتعظم هدّاته على[3] حسب تعاظم صفحات[4] السحاب الممتدة وتراكم الغيوم المطبقة وهي من هذه الاحوال من ثقل اجرامها وتكاثف غمامها معلقة

(١) ن . ويحذروا من وقوع مثلها ، زيادة على ما في ط .
(٢) ن . لأن أصل التسبيح .
(٣) ن . خلت من (على) .
(٤) ن . صحائف .

بمناطات الهواء الرقيق الذي(1) لولا دعائم القدرة وسماكها وعلائق الجبرية ومساكها لما حل عشر معشارها ولا استقل ببعض اجزائها ومن عجيب أحواله أيضاً ما ذكرناه من تثاقل أردافه وتعاظل التفافه ينفش انفشاش الهباء المتداعي والغثاء المتلاشي ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾(2) ومعنى تسبيح الرعد بحمد الله سبحانه دلالته على افعاله التي يستحق بها الحمد كما يقول القائل هذه الدار تنطق بفناء أهلها أي تدل على ذلك بخلاء ربوعها وتهدم(3) عروشها وقد يجوز أن يكون معنى ﴿ ويسبح الرعد بحمده ﴾ ان الرعد يضطر الناس الى تسبيح الله تعالى عند سماعه فحسن وصفه بالتسبيح لأجل ذلك إذ كان هو السبب فيه وهذا معروف في كلامهم .

٢٢٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾

[الرعد ـ الآية ١٥]

وهذه استعارة لان السجود في اللغة الخضوع والتذلل إمّا باللسان الناطق عن الجملة أو بآثار الصنعة وعجائب الخلقة ثم نقل فصار اسما لهذا العمل المخصوص الذي هو من أركان الصلاة لانه يدل على تذلل الساجد لخالقه بتطامن شخصه وانحناء ظهره وقد ذكر في بعض الاخبار ان جدنا جعفر ابن محمد عليه السلام سئل عن العلة فيما كلفنا الله تعالى من أعمال الصلاة وسائر العبادات فقال: أراد الله سبحانه بذلك إذلال الجبارين فاذا تمهد ما ذكرنا(4) كان في ذكر سجود الظلال فائدة حسنة وهي ان الظل الذي هو في الشخص(5) وهو غير قائم بنفسه اذا ظهرت فيه اعلام الخضوع للخالق بما فيه

(1) ط . خلت من (الذي) .

(2) سورة آل عمران الآية ١٣ وسورة النور الآية ٤٤ .

(3) ن . وهدم عروشها .

(4) ن . خلت من (كان) وط . خلت من السجود .

(5) ط . في سجود الشخص .

من دلائل الحكمة وعجائب الصنعة كان ذلك أعجب من ظهور هذه الحال في البنية القائمة بنفسها والمعرفة بشخصها .

٢٢١ ـ وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾

[الرعد ـ الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد بضرب الأمثال والله اعلم معنيان : احدهما أن يكون تعالى أراد يضربها تسييرها في البلاد وادارتها على ألسنة الناس من قولهم ضرب فلان في الأرض اذا توغل(1) فيها وأبعد في أقاصيها ويقوم قوله تعالى ﴿يضرب الله الأمثال﴾ مقام(2) قوله ضرب به في البلاد والمعنى الآخر في ضرب المثل أن يكون المراد به نصبه(3) للناس بالشهرة تستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم وذلك مأخوذ من قولهم : ضربت الخباء إذا نصبته(4) وثبت طنبه(5) واقمت عمره ، ويكون قوله تعالى : ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ على(6) هذا الوجه أي(7) ينصب منارهما ويوضح أعلامها ليعرف المكلفون الحق بعلاماته فيقصدوه ويعرفوا الباطل بسماته(8)

٢٢٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾

[الرعد ـ الآية ٣٣]

(1) ن . إذا وغل .

(2) ن . ويقوم قوله تعالى ضرب الأمثال في البلاد مقام قوله ضرب بها .

(3) ن . بصفة .

(4) ن . بتأنيث ضمائر المفعولات .

(5) من طنّب الخيمة : شدها بالاطناب .

(6) ط . إلى هذا الوجه .

(7) ن . خلت من (أي) .

(8) ط . خلت من سماته .

وهذه استعارة والمراد بها انه تعالى محص[1] على كل نفس ما[2] كسبت ليجازيها به[3]. وشاهد ذلك قوله سبحانه ﴿ **ومنهم من إن تأمنه بدينارٍ لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً** ﴾[4] أي ما دمت له مطالباً ولأمره مراقباً[5] لا تمهله للحيلة ولا تنظره للعيلة وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير واذا لم يصح اطلاق صفة[6] القيام على الله سبحانه حقيقة كان المراد[7] بها قيام احصائه على كل نفس بما كسبت ليطالبها به ويجازيها بحسبه والقيام والدوام ههنا بمعنى واحد والماء الدائم هو القائم الذي لا يجري .

٢٢٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾

[الرعد ـ الآية ٤١]

وهذه استعارة وقد اختلف الناس في المراد بها فقال قوم معنى ذلك نقصان ارض المشركين بفتحها على المسلمين وقال آخرون المراد بنقصانها موت أهلها وقيل: موت علمائها وعندي في ذلك قول آخر وهو ان يكون المراد بنقص الارض والله أعلم موت كرامها وتكون الأطراف ههنا جمع طِرْف لا جمع طَرَف والطِرْف هو الشيء الكريم ومنه[8] سمي الفرس طِرفاً اذا كان كريماً وعلى ذلك قول أبي الهندي[9] الرياحي :

شربنا شربة من ذات عرق ... بأطراف الزجاج من العصير

أي بكرائم الزجاج ولم يمض في هذا قول لأحد من العلماء .

(١) ن . يحص

(٢) ن . بما .

(٣) ن . بها .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

(٥) ط . راعياً .

(٦) ن . بدون (صفة)

(٧) ط . فإن المراد .

(٨) ن . ومثله .

(٩) ن . العبدي وفي ط . الهند والصحيح ما ذكر .

(سورة ابراهيم)

ومن السورة التي يذكر فيها ابراهيم عليه السلام

٢٢٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ٥]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم التذكير[1] بأيام نقم الله التي أوقعها بالماضين من أعدائه والمستحقين لعقابه[2] كعاد وثمود ومن جرى مجراهم وهذا كقولنا أيام العرب وإنما نريد به الايام التي كانت فيها الوقائع المشهورة والملاحم العظيمة وقد يجوز أن تكون الأيام ههنا عبارة عن أيام النعم كما قلنا انها عبارة عن ايام النقم فيكون المعنى وذكرهم بالايام التي أنعم الله فيها عليهم وعلى الماضين من آبائهم بوقم[3] الاعداء وكشف اللأواء[4] واسباغ النعماء ألا ترى ان ايام العرب التي هي عبارة عن الوقائع والملاحم[5] يكون فيها لبعضهم الظهور والغلبة[6] وتلك من النعم وعلى بعضهم السوء والدائرة وتلك من النقم فالأيام إذاً تذكرة لمن أراد التذكرة[7] بالانعام والانتقام[8].

(١) ن . التذكرة .

(٢) ن . (والمستحقين لعقابه) زيادة على ما في ط .

(٣) ن . وتوثيم الأعداء .

وَقَمَ : قهر . وقم الرجل : رده عن حاجته أقبح الرد

(٤) اللأواء : الشدة والمحنة .

(٥) ط . لم ترد فيها (الملاحم)

(٦) ط . خلت من (الغلبة) .

(٧) ن . التذكرة .

(٨) ن . بالانتقام .

٢٢٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبيِّنات فردُّوا أيْدِيَهُمْ في أفواهِهِمْ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ٩]

وهذه استعارة على وجه واحد من وجوه التأويلات التي حملت عليها هذه الآية وذلك أن يكون المعنى ما ذهب اليه بعضهم من أن الأيدي هنا عبارة عن حجج الرسل عليهم السلام والبينات التي جاءوا بها قومهم وأكدوا بها شرعهم لان بذلك يتم لهم السلطان عليهم والتدبير لهم وقد سمي السلطان يداً في كثير من المواضع فقالوا ما لفلان على فلان يد أي ما له[١] عليه سلطان ولا أمر ويقولون زالت يد فلان الامير إذا عزل عن ولايته بمعنى زال سلطانه عن رعيته ويقولون أخذت هذا الامر باليد أي بالسلطان.والحجج التي جاء بها الانبياء أممهم قد تسمى ايدياً على ما ذكرنا فلما وصف الكفار على هذا التأويل بأنهم ردوا ايدي الانبياء في أفواههم كان المراد بذلك رد حججهم من حيث جاءت وطريق مجيئها أفواههم[٢] فكأنهم ردوا عليهم أقوالهم وكذبوا دعواهم وفي هذا التأويل بعد وتعسف إلا اننا ذكرناه لحاجتنا اليه[٣] لما ذهبنا مذهب من حمل قوله تعالى . ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ على الاستعارة لا على الحقيقة وإذا حملت الآية على حقيقة الأيدي التي هي الجوارح كان المراد بها مختلفاً فيه فمنهم من قال المراد بذلك أنهم كانوا يعضون أناملهم تغيظاً على الرسل كما يفعل المتغيظ المحنق أو الواجم المفكر وقال بعضهم:بل[٤] المراد ان المشركين أومأوا الى أفواه الانبياء بالتسكيت لهم والقطع لكلامهم وقال بعضهم: المراد بذلك ضرب من الهزء يفعله المجّان والسفهاء إذا أرادوا الاستهزاء ببعض الناس وقصدوا الوضع[٥] منه والازراء عليه يجعلون اصابعهم في أفواههم[٦] ويتبعون

(١) ط . خلت من (ما له) .

(٢) ن . أفواهها .

(٣) ن . لم ترد فيها (اليه) .

(٤) ط . المراد .

(٥) ن . الموضع .

(٦) ن . في آذانهم .

هذا الفعل بأصوات تشبهه وتجانسه[١] يستدل[٢] بها على قصد السخف وتعمد الفحش وهذا القول[٣] عندي بعيد من السداد وغيره من الاقوال اولى منه بالاعتماد وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك ان الكفار كانوا إذا بدأ الرسل عليهم السلام بكلامهم سددوا بأيديهم اسماعهم دفعة وأفواههم دفعة اظهاراً منهم لقلة الرغبة في سماع كلامهم وجواب مقالهم ليدلوّهم بذلك[٤] الفعل على انهم لا يصغون لهم الى مقال ولا يجيبونهم عن سؤال إذ قد أبهموا طريقي السماع والجواب وهما الآذان والافواه وشاهد ذلك قوله سبحانه حاكياً عن نوح عليه السلام ويعني قومه **﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوْا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكباراً ﴾**[٥] فيكون معنى ردِّ[٦] ايديهم في أفواههم على القول الذي قلناه أن يمسكوا أفواههم بأكفهم كما يفعل المظهر للامتناع من الكلام ويكون إنما ذكر تعالى ردَّ الأيدي ههنا وهو يفيد فعل الشيء ثانياً بعد أن فعل أولاً لأنهم كانوا يكثرون هذا الفعل عند كلام الرسل عليهم السلام فوصفوا في هذه الآية بما قد سبق لهم مثله وأُلِف منهم فعله فحسن ذكر الأيدي بالرد على الوجه الذي أومأنا إليه فقد يقول القائل لغيره اردد يدك إليك بمعنى اقبضها وكفها لا يريد غير ذلك .

٢٢٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ ذٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ١٤]

وهذه استعارة لأن المقام لا يضاف إلا الى من يجوز عليه القيام وذلك مستحيل على الله سبحانه فاذاً المراد به يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه

(١) ن . خلت من (تشبهه وتجانسه) .

(٢) ن . تدل .

(٣) ط . خلت من (القول) .

(٤) ط . بهذا .

(٥) سورة نوح الآية ٧ .

(٦) ن . خلت من (رد) .

للحساب وعرض الاعمال على الثواب وعلى[1] العقاب فقال سبحانه في صفة ذلك اليوم ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[2] وإنما أضاف تعالى هذا المقام الى نفسه في هذا الموضع وفي قوله ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾[3] لأن الحكم في ذلك اليوم له خالصاً لا يشاركه فيه حكم حاكم[4] ولا يحاده أمر آمر وقد يجوز[5] ان يكون المقام ههنا بمعنى آخر وهو ان العرب تسمي المجامع التي تجتمع فيها لتدارس مفاخرها وتذاكر مآثرها مقامات ومقاوم فيجوز أن يكون المراد بالمقام ههنا الموضع الذي يحصي[6] الله تعالى فيه على بريته محاسن اعمالهم ومقابح أفعالهم لاستحقاق ثوابه وعقابه واستيجاب رحمته وعذابه وقد[7] يقولون هذا مقام[8] فلان ومقامته على هذا الوجه وان لم يكن الانسان المذكور في ذلك المكان قائماً بل كان قاعداً أو مضطجعاً ومن الشاهد على ذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾[9] أي من مجلسك[10] وإنما[11] سماه مقاماً مع ذكره ان سليمان عليه السلام كان جالساً فيه[12] لانه قال قبل أن تقوم من مقامك لأن القاعد إذا قام بعد قعوده ففيه يكون قيامه وهذا من غرائب القرآن الكريم وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .

(١) ط . خلت من (على) .

(٢) سورة المطففين الآية ٦ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٤٦ .

(٤) ط . خلت من (حاكم) .

(٥) ن . وهو أن يكون .

(٦) ط . يقص .

(٧) ن . خلت من (وقد) .

(٨) ن . هذا فلان .

(٩) سورة النمل الآية ٣٩ .

(١٠) ط . (أي من مجلسك) زيادة على ما في ن .

(١١) ط . خلت من (انما)

(١٢) ن . خلت من (فيه) .

٢٢٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد بها[1] لو كان الموت الحقيقي لم يكن سبحانه ليقول وما هو بميت وانما المعنى[2] ان غواشي الكروب وحوازب[3] الامور تطرقه من كل مطرق وتطلع عليه من كل مطلع وقد يوصف المغمور[4] بالكرب والمضغوط[5] بالخطب بأنه في غمرات الموت مبالغة في عظيم ما يغشاه وأليم ما يلقاه .

٢٢٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ١٨]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله تعالى ﴿ اشتدت به الريح ﴾ وأصل[6] الاشتداد عندهم العدو والاسراع يقولون اشتد القوم إذا عدوا مسرعين فشبه سبحانه اسراع الريح في تذرية الرماد باسراع العادي الذي بعد شأوه[7] وامتدت غلواؤه[8] والاستعارة الأخرى قوله تعالى: ﴿ في يوم عاصف ﴾ وانما

(١) ط . لأن المراد بذلك .

(٢) ن . والمعنى .

(٣) من حَزَبَ الأمر الشديد يقال : « نزلت به حوازب الخطوب » . أي الشدائد . « وهذا أمر حزيب » أي شديد وقعه

(٤) ط . المغموم .

(٥) ن . مضغوب .

(٦) شأوه : الشأو : الأمد : « اعدا شأواً » أي وشوطاً .

(٧) علواؤه : الغلو والغلوان : أول الشباب ونشاطه .

(٨) ن . فيها زيادة على ما في ط . من قوله (وأصل الاشتداد) الى قوله (وحسن أن تقول له ذلك في آخر كلامه عن قوله تعالى : ﴿ واجنبني وبني أن نعبد ﴾ الآية) .

الريح هي العاصفة لاشتدادها وقوتها ولكن عصوف الريح لما كان واقعاً في اليوم جاز على طريق الاتساع ان يوصف اليوم بالعصوف كما تقدم قولنا في النهار الصائم والليل القائم .

٢٢٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ـ إلى قوله ـ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾

[ابراهيم - الآيات ٢٤ ـ إلى ٢٦]

وهاتان استعارتان لأنه وصف احد الكلمتين بالطيب ووصف الاخرى بالخبث على طريق المجاز لا على الحقيقة فالمراد بالكلمة الطيبة ههنا دعوة الايمان والاخلاص والمراد بالكلمة الخبيثة الكفر والضلال ومعنى طيبة انها زاكية نامية كالشجرة الزاكية النامية التي يرجى ايراقها واثمارها ويؤمن اخلافها وايباسها فنفعها مأمول وضيرها مأمون والكلمة الخبيثة التي هي دعوة الكفر كالشجرة الخبيثة المقتلعة لا أصل لها ثابت ولا فرع نابت وهي مخلفة الأثمار وشيكة الانقلاع وهذان فعلان[1] عجيبتان في نماء الايمان وزيادته ودوامه وثبات كلمته وفي تقويض الكفر وتداعيه وسرعة انهدام منابته[2] والمراد بطيب الكلمة أن معناها زكي طيّب وبالخبث نقيضها أن[3] معناها خبيث فاسد .

(١) كذا في النسخة ونظن أن الأصل : وهاتان استعارتان عجيبتان .
(٢) ربما تكون في الأصل (مبانيه)
(٣) ربما كان الأصل (وهو أن) .

٢٣٠ ـ وقوله تعالى ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [ابراهيم ـ الآية ٢٨]

وهذه استعارة والمراد بها أن أئمة الكفر وقادة الشرك لما كانوا كالأزمّة المتبعة والرؤوس المتقدمة وكان قومهم يعشون الى نارهم ويصغون الى اقوالهم قادوهم الى الضلال واوردوهم موارد الخسار وشبهوا بقادة الجموع وجرار[1] الجيوش إذ أنزلوا من اتبعهم منازل الهلاك واقحموهم مضايق البلاء فهلكوا وأهلكوا وأوردوا ولم يصدروا « ودار البوار » هي في الحقيقة نار جهنم نعوذ بالله منها .

٢٣١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن الدائب على الحقيقة هو الانسان الكادح في مشغله والدائم على عمله فلما كان هذان النيّران مسخرين في طريقهما دائبين على مسيرهما حسن أن يوصفا بالدأب وان لم يوصفا بالنصب .

٢٣٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ٣٥ ـ ٣٦]

وهذه استعارة لأن الاصنام على الحقيقة لا تضل أحداً وإنما يضل بها الناس لنقص العقول وغلبة الشكوك ولكن الضلال لما كان من أجلها جاز أن يكون منسوباً اليها كما يقول القائل : فتنني جمال فلان وإنما هو المفتن به وحسن أن يقال ذلك لما كانت الفتنة من أجله .

(١) كذا في النسخة ونظن أن الأصل (وجراري الجيوش) واحدهم : جرار وهو قائد الألف .

٢٣٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ٣٧]

وهذه من أحسن الاستعارات[١] وحقيقة الهوى من علوّ الى[٢] انخفاض كالهبوط والمراد به ههنا البلاغة في صفة[٣] الافئدة بالنزوع الى المقيمين بذلك المكان ولو قال سبحانه تحنُّ اليهم لم يكن فيه[٤] من الفائدة ما في قوله سبحانه ﴿ تهوي اليهم ﴾ لأن الحنين قد يوصف به من هو مقيم في مكان والهُوِيّ يفيد انزعاج الهاوي من مستقره .

٢٣٤ وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ[٥] يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [ابراهيم ـ الآية ٤١]

وهذه استعارة لأن الحساب لا يصح فيه القيام على الحقيقة وإنما المراد يوم يتكامل فيه الحساب ويقع الثواب والعقاب من قولهم: قام النهار اذا انتهت غايته وتكاملت زيادته ومن قولهم: قامت السوق اذا اجتمع أهلها واستمر بيعها وقد يجوز أن يكون المراد يوم يقوم أهل الحساب فجاء به تعالى على اسقاط المضاف ويقوي ذلك قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[٦] .

٢٣٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ٤٣]

وهذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالخلو من عزائم[٧] الصبر والجلد

(١) ط . وهذه من محاسن الاستعارات .
(٢) ن . خلت من (الى)
(٣) ن . في وصف الأفئدة .
(٤) ن . لم يكن منه .
(٥) ط . خلت من هذه الآية وما يتعلق بها .
(٦) المطففين ، الآية ٦ .
(٧) ن . من عزمهم .

لعظيم الاشفاق والوجل ومن عادة العرب أن يسموا الجبان يراعة جوفاء أي ليس بين جوانحه قلب وعلى ذلك قول جرير يهجو قوماً ويصفهم[١] بالجبن :

قل لخفيف القصبات الجوفان   جيئوا بمثل عامر والعلهان

وإنما وصف الجبان بأنه لا قلب له لأن القلب محل الشجاعة واذا نفي المحل فأولى ان ينتفي الحالّ فيه وهذا على المبالغة في صفته بالجبن[٢] ويسمون الشيء اذا كان خالياً هواء أي ليس فيه ما يشغله إلا الهواء وعلى هذا قول الله سبحانه ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ﴾[٣] أي خالياً من التجلد وعاطلاً من التصبر وقيل ايضاً[٤] في ذلك أن أفئدتهم منحرفة[٥] لا تعي شيئاً للرعب الذي دخلها والهول[٦] الذي استولى عليها فهي كالهواء الرقيق في الانحراف وبطلان الضبط والامتساك .

٢٣٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾

[ابراهيم ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة على احد القراءتين وهما لِتزولَ بكسر اللام الأولى وفتح اللام الثانية ولَتزولُ بفتح اللام الأولى وضم اللام الثانية وقرأنا بهذه القراءة[٧] للكسائي وحده وقرأنا لبقية القراء[٨] بالقراءة الأولى فمعنى القراءة الأولى أن يكون موضع إنْ فيها موضع نعم لأنها قد ترد بهذا المعنى مثقلة[٩] كقوله إنَّ وراكبها[١٠] ويجوز أن ترد مخففة لأن إن على أصلها قد تأتي مخففة ومثقلة ويكون المعنى واحد وكذلك أن المفتوحة قال الشاعر :

(١) ن . وصفهم .
(٢) ن . في صفة الجبن .
(٣) سورة القصص الآية ١٠ .
(٤) ط . وقيل أن معنى ذلك .
(٥) ط . مستحرفة .
(٦) ط . القول .
(٧) ن . وقرأنا بهذه للكسائي .
(٨) لبقية السبعة .
(٩) ن . مثله .
(١٠) ن . ان قد أكدتها .

أكاشره وأعلم أنْ كلانا   على ما ساء صاحبه حريص

وأراد أنَّ كلانا فخفف فإذا تقرر ذلك صار تقدير الكلام في الآية«ونعم كان مكرهم لتزول منه الجبال» وقد وردت هذه اللام في موضع ليس لأن المخففة فيه عمل قال الفرَّاء سمعت العرب تقول الكراء حينئذ لرخيص ولم تقل ان الكراء(١) لرخيص فيكون المعنى(٢) ان الجبال تزول من مكرهم استعظاماً واستفظاعاً لو كانت مما تعقل الجبال وتقدر على الزوال وهذه اللام ههنا تومىء الى معنى تكاد فكأنه سبحانه قال لتكاد الجبال من مكرهم(٣) على المبالغة في وصف ذلك المكر بازالة الجبال وتحريك الجماد وقال بعضهم هذا مثل قوله تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ﴾(٤) فمعنى قوله سبحانه ﴿لتزول منه الجبال﴾أي من سكن الجبال من الملائكة والانس والجن استعظاماً للمكر برسول الله صلى الله عليه وآله ودين الله سبحانه وهذا كقول القائل ورد علي من فلان ما حرَّكني وأراكني (٥) وأقامني وأقعدني يريد استعظام الحال الوارد عليه من قبله وأما من جعل إن ههنا بمعنى ما فقدَّر اللام على قوله تعالى « وما كان مكرهم لتزول منه الجبال » فان الكلام يخرج بذلك عن حد الاستعارة لأن فيه وصف كيدهم بالهوان وحقير الشأن .

٢٣٧ - وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾

[إبراهيم - الآية ٤٨]

وهذه استعارة لأن المراد بها على بعض الأقوال تغيير هيئة الأرض والسماء إلى هيئة غيرها وصورة مخالفة لصورتها وإن كانتا جميعاً باقيتي الاعيان ثابتتي الأوضاع وهذا معروف في كلامهم أن يقولوا للرجل اذا قبح بعد شارته أو شحب بعد نضارته قد جئتنا بغير الوجه الذي نعرفه وليس أنت الرجل الذي كنا نشاهده فالمراد أن الاعراض تغايرت والهيئات تغيرت والعين قائمة بحالها وداعية الى نفسها .

(٢) ن . ان الكراء رخيص .
(٣) فيكون المراد .
(٤) كذا في النسخة ولعل لفظة تزول ساقطة
(٥) سورة الأحزاب
(٦) من ركا : اقام واركي اركاء حال .

سورة الحجر

ومن السورة التي يذكر فيها الحجر

٢٣٨ - وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

[الحجر - الآية ١٢]

وهذه استعارة وأصل السلك ادخال الشيء في الشيء باستكراه على الدخول فيه أو ادخال أحد الشيئين في الآخر وفي أحدهما ضيق عن صاحبه وعلى المعنى الاول قوله تعالى﴿ما سلككم في سقر ﴾(١) أي ما ادخلكم فيها على كراهة لدخولها وعليه قول الشاعر :

وكنتُ لزاز خصمك لم اعرِّد   وقد سلكوك في يوم عصيب

أي ادخلوك فيه كارهاً ومثله قول الآخر :

حتى اذا سلكوهم في قتائدةٍ   شَلا كما تطرد الجمالة الشردا

ومنه سمي السلك وهو الخليط الذي ينظم عليه اللؤلؤ لأن ثقوب اللؤلؤ في الأغلب تكون متضايقة فيه فاذا تقرر ذلك كان المراد بالآية إنا نوصل القول الى قلوب(٢) المجرمين باسماعهم اياه وحوشهم اليه وقلوبهم له

(١) المدثر ، الآية ٤٢ . سقر : علم لجهنم والكلمة ممنوعة من الصرف : السقرة : شدة وقع الشمس
(٢) في النسخة قبول المجرمين وكذا قوله وقبولهم لها كارهة عوض قلوبهم (وهو سهو من الناسخ) .

كارهة وصدورهم به ضائقة ليس أن هناك على الحقيقة إدخال شيء في شيء وإنما المراد أن أسماعهم تؤديه إلى قلوبهم على كره منهم فكأنه سلك فيها بغير مرادهم ولا اختيارهم .

٢٣٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾

[الحجر ـ الآية ١٤ ـ ١٥]

وهذه استعارة في القراءتين جميعاً على قراءة من قرأ سكرت بالتشديد وقراءة من قرأ سكرت بالتخفيف وقرأت بهذه القراءة لابن كثير وحده على أبي حفص عمر بن ابراهيم الكناني وعلى أبي الفرج المعافى بن زكريا القاضي وقال أبو حفص الكناني في بعض الروايات عن ابن كثير انه قرأ سَكرت بفتح السين وقرأت بالقراءة الأولى لبقية القراء السبعة والمعنيان واحد لأن القراءة بالتشديد تدل على تكثير الفعل مثل ضرب وضرّب وقتل وقتّل وما في معنى ذلك واصل السكر مأخوذ من قولهم سكرت الشيء أي قطعته عن سننه الذي يجري عليه ومنه قولهم سكرت الماء اذا رددته عن مشيته في الجرية وسكرت الريح اذا سكن هبوبها فيكون معنى سكرت أبصارنا . ههنا بالتخفيف والتثقيل أي : اعترض بين منافذ الألحاظ عارض منع عيوننا من أن تدرك الاشياء على حقائقها وتتمثلها على صورها وهيئاتها يشيرون بذلك إلى أن أبصارهم سكرت فمنعت من أن ترى الأشياء على حقائقها كما تسكر المياه . أي تمنع من مجاريها ومنافذها وقال ابو عبيدة معنى سكرت أبصارنا أي غشيت والمعنى واحد لأن الأغشية تمنعها من أن تنفذ أنوارها ويُسرح الحاظها(١) .

٢٤٠ـ وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر ـ الآية ٢١]

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل وتسرح .

وهذه استعارة على التأويلين جميعاً أما أن يكون لواقح جمع لاقحة فتكون الريح مشبهة لحملها السحاب الممطر بالناقة اللاقحة التي حملت ماء الفحل وذلك من أحسن التمثيلات وأوقع التشبيهات لان نبات الأرض الذي يكون عن قطر السحاب بمنزلة نتاج الرياح المنشئة للسحاب وكذلك أكثر الشعراء في اشعارهم من صفة العشب في أول طلوعه بالطفل فقالوا أطفال النبات وطفل الروض ووصفوا السحاب بأنها مرضعة فكافلة به وإن كانت لواقح ههنا في موضع ملاقح على قول من قال ذلك ففيها قولان أحدهما ان تكون في معنى ذات لقاح كقولهم همّ ناصب أي ذو نصب وقد جاء في الشعر فواعل بمعنى مفاعل قال نهشل بن حري وهو من أبيات الكتاب :

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومختبط مما تطيح الطوائح

أي المطاوح والقول الثاني أن تكون الواحد ملقحة كأنها تلقح السحاب(١) الماء فتكون الرياح للسحاب بمنزلة الفحول للنجائب(٢) وهذا واضح بحمد الله .

٢٤١ ـ وقوله تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[الحجر ـ الآية ٧٢]

وهذه استعارة والمراد بها صفتهم بالتردد في غيهم والتسكع في ضلالهم فشبه تعالى المتلدد في غمرات الغيّ بالمتردد(٣) في غمرات الكسر .

٢٤٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الحجر ـ الآية ٨٨]

(١) الى هنا تنتهي الزيادة التي في ن .

(٢) من نَجُبَ : الفاضل النفيس في نوعه .

(٣) ن . المتردد بغير حرف الجر .

وهذه استعارة والمراد بها ألن كنفك لهم ودم على لطفك بهم

٢٤٣ - وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون المعنى أنهم جعلوا القرآن أقساماً مجزأة كالأعضاء المعضاة فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل جعلوه أقساماً بأن قالوا هو[١] سحر وكهانة وكذب وإحالة وأما التأويل الآخر في معنى عضين فيخرج[٢] بهذه اللفظة عن أن تكون مستعارة وذلك أن يكون معناها على ما قاله بعض المفسرين مغنى الكذب قال وهو جمع عضة كما كان في القول الأول إلا أن العضة ههنا معناها الكذب والزور وفي القول الأول معناها التجزئة والتقسيم وقد ذكر ثقات أهل اللغة في العضة وجوهاً فقالوا العضة النميمة والعضة الكذب وجمعه عضون مثل عزة وعزين والعضة السحر والعاضة الساحر وقد يجوز ان يكون جعلوا القرآن عضين جمع عضة من السحر أي جعلوه سحرا وكهانة كما قال سبحانه حاكياً عنهم : ﴿إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ .

٢٤٤ - وقوله تعالى : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

وهذه استعارة لأن الصدع على الحقيقة إنما يصح في الأجسام لا في الخطاب والكلام والفرق والصدع والفصل في كلامهم بمعنى واحد ومن ذلك قولهم للمصيب في كلامه قد طبق المفصل ويقولون فلان يفصل الخطاب أي يصيب حقائقه ويوضح غوامضه فكأن المعنى في قوله سبحانه : ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أي أظهر القول وبينه في الفرق بين الحق والباطل من قولهم صدع الرداء إذا شقه شقاً بيناً ظاهراً ومن ذلك صدع الزجاجة إذا استطار بها الشق واستبان الكسر وإنما قال سبحانه : ﴿فأصدع بما تؤمر﴾ ولم يقل فبلغ ما تؤمر لأن الصدع ههنا أعم ظهوراً وأشد تأثيراً وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك والله أعلم أي بالغ في اظهار امرك والدعاء الى ربك حتى يكون الدين في وضوح الصبح لا يشكل نهجه ولا يظلم فجه مأخوذاً ذلك من الصديع وهو الصبح[٣] وإنما سمي بذلك لبيانه ووضوح اعلانه[٤]

(١) الى هنا تنتهي الزيادة التي في . ن .
(٢) بأن الكنف
(٣) ط . خلت من (وهو الصبح وإنما سمي بذلك)
(٤) ن . أعلامه .

سورة النحل

ومن السورة التي يذكر فيها النحل

٢٤٥ - وقوله تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

[النحل - الآية ٢]

وهذه استعارة لأن المراد بالروح ههنا الوحي الذي يتضمن احياء الخلق والبيان عن الحق ومثل ذلك قوله سبحانه ﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا﴾[١] ومثله قوله تعالى في المسيح عليه السلام ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه﴾[٢] فسماه الله تعالى روحاً على هذا المعنى لان به حياة أمته[٣] وبقاء شريعته وقد مضى معنى ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب فأما قوله تعالى ﴿ونفخ فيه من روحه﴾[٤] فانما أراد تعالى بذلك الروح التي خلقها ليحيي عباده بها واضافها الى نفسه كما أضاف الارض الى نفسه إذ يقول تعالى ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[٥] وكان شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني رحمه الله يقول معنى قولهم في القسم[٦] لعمر الله ما

(١) سورة الشورى الآية ٥٢ .
(٢) سورة النساء الآية ١٧١ .
(٣) ن . حياة أمره .
(٤) سورة السجدة الآية ٩ .
(٥) سورة النساء الآية ٩٧ .
(٦) ن . خلت من (في القسم) .

فعلت ذلك أو لأفعلن ذلك إنما يريدون به القسم بحياة يُحيي الله بها لا بحياة يحيى بها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فكأن المقسم[1] إذا اقسم بهذه الحياة دخل ما يخصه منها في جملة قسمه وجرى ذلك مجرى قوله: لعمري، فيعبر مقسماً بحياته التي أحياه الله بها والعمر[2] ههنا هو العُمُر ومعناه الحياة فكنت أستحسن هذا القول منه جداً وله نظائر كنت أسمعها منه عند قراءتي عليه وكان عفا الله عنه كثير الاستنباط للخبايا والاستطلاع للخفايا .

٢٤٦ ـ وقوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾

[النحل ـ الآية ٧]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو وأن يكون المعنى انكم[3] لا تبلغون هذا البلد إلا بأنصاف أنفسكم من المشقة وبعد الشقة لان الشقّ أحد قسمي الشيء ومنه قولهم شقيق النفس أي قسيمها فكأنه من الامتزاج بها شق منها وعلى ذلك قال الشاعر[4]:

من بني عامر لها شق قلبي قسمة مثلما يشق الرداء

فأما من حمل قوله تعالى ﴿ إلا بشق الأنفس ﴾ على ان معناه المشقة والنصب والكد والدأب كان الكلام على قوله حقيقة وخرج عن حد الاستعارة فكأنه سبحانه قال « لم تكونوا بالغيه » إلا بمشقة الانفس[5] .

٢٤٧ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ﴾[6] .

[النحل ـ الآية ٩]

(١) ن . القسم .
(٢) ن . والعمرة .
(٣) ن . خلت من (أنكم) .
(٤) الشاعر هو بشار بن برد .
(٥) ن . بشق .
(٦) هذه الآية وما يتعلق بها غير موجودة في (ن) ومثبتة في نسخة ط .

وهذه استعارة لان الجائر هو الضال نفسه يقال جار عن الطريق إذا ضل عن نهجه وخرج عن سمته ولكنهم لما قالوا طريق قاصد أي يقصد فيه جاز ان يقولوا طريق جائر أي يجار فيه .

٢٤٨ ـ وقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[النحل ـ الآية ٢٥]

وهذه استعارة لأن الأوزار هي الاثقال[1] على الحقيقة وواحدها وزر والمراد بها ههنا الخطايا والآثام لانها تجري مجرى الاثقال التي تقطع المتون وتنقض الظهور وفي معنى[2] ذلك قولهم فلان خفيف الظهر إذا وصفوه بقلة العدد والعيال أو بقلة الذنوب والآثام .

٢٤٩ ـ وقوله تعالى: ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل ـ الآية ٢٦]

وهذه استعارة لأن الاتيان ههنا ليس يراد به الحضور عن غيبة والقرب بعد تباعد[3] مسافة وإنما ذلك كقول القائل: أتيت من جهة فلان . أي جاءني المكروه من قبله وأتي فلان من مأمنه . أي ورد عليه الخوف[4] من طريق الأمن والضر من مكان النفع .

٢٥٠ ـ وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ﴾ [النحل ـ الآية ٢٨]

وهذه استعارة وليس هناك شيء يلقى على الحقيقة وإنما المراد بذلك

(١) ط . على الحقيقة هي الأثقال .
(٢) يظهر أن كلمة (ضد) ساقطة لأن السياق يقتضيها .
(٣) ط : خلت من (تباعد) .
(٤) ن . الحق .

طلب المسالمة عن ذل واستكانة والتماس وشفاعة لأن من كلامهم أن يقول القائل : ألقى إليَّ فلان بيده أي خضع لي وسلم لأمري وقد يجوز ايضاً أن يكون معنى فألقوا السلم أي استسلموا وسلَّموا فكانوا كمن طرح آلة المقارعة ونزع شكة[1] المحاربة وفي[2] معنى ذلك قوله سبحانه ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** ﴾[3] أي لا تستسلموا لها وتوقعوا نفوسكم فيها .

٢٥١ ـ وقوله تعالى : ﴿ **إنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾

[النحل ـ الآية ٤٠]

وهذه استعارة لأنه ليس هناك على الحقيقة شيء يؤمر ولا قول يسمع[4] وإنما هذا القول عبارة عن تحقيق الارادة وسرعة وجود[5] المراد من غير معاناة ولا مشقة فهو إخبار عن نفاذ قدرته تعالى فاذا أراد أمراً كان لوقته من غير أن يبطيء ايجاده أو يتقاعس انفاذه . وذلك بمنزلة قول أحدنا في خفة اللفظ به وسرعة التعبير عنه من غير كلفة تلحقه ولا مشقة تعترضه وعلى[6] هذا المعنى يحمل قوله تعالى في أصح التأويلين ﴿ **قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم** ﴾[7] والمراد أنا قلبنا حرارتها إلى البرودة في أسرع وقت من غير مشقة متكلفة ولا آلة مستعملة وقيل إن معنى قوله سبحانه ﴿ **كن** ﴾ علامة للملائكة يدلهم بها عند سماعهم لها على انه تعالى سيحدث كذا ويفعل كذا من محكمات التقدير ومبرمات التدبير .

---

(١) ن . خلت من (في) .

(٢) الشكة : النوع من شك السلاح .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

(٥) ن . فيسمع .

(٦) ن . وجوب .

(٧) ط . خلت من قوله وعلى هذا المعنى الى قوله ولا آلة مستعملة .

٢٥٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ **أوَ لَمْ يَرَوا إلى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُوا ظِلالُهُ مِنَ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ** ﴾

[النحل ـ الآية ٤٨]

وهذه استعارة لان المراد بها رجوع الظلال من موضع الى موضع والظلال على الحقيقة لا تتفيأ ولا تنتقل وإنما ترد الشمس عليها ثم ترجع الى ما كانت عليه بعد ان تزول الشمس عنها فالشمس[1] هي المنتقلة عليها والظلال قائمة بحالها .

٢٥٣ ـ وقوله تعالى في صفة النحل العسالة : ﴿ **ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ** ﴾

[النحل ـ الآية ٦٩]

وفي هذه الآية استعارتان احداهما قوله تعالى ﴿ **فاسلكي سبل ربك ذللاً** ﴾ على قول من جعل ذللا حالا للسبل[2] لا حالا للنحل والذلل جمع ذلول وهي الطرق الموطأة السهلة على الحافر والمنسم تشبيهاً لها بالابل الذلل وهي التي قد عودت الترحيل[3] وألفت المسير والاستعارة الأخرى قوله سبحانه ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه** ﴾ والمراد بذلك العسل والعسل عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل وإنما تنقله بأفواهها من مساقطه ومواقعه من اوراق الأشجار واضعاف[4] النبات لانه يسقط كسقوط الندى في أماكن مخصوصة وعلى أوصاف معلومة والنحل ملهمة[5] تتبع تلك المساقط وتعهد تلك المواضع فتنقل العسل بأفواهها الى كواراتها والمواضع المعدة

---

(١) ط . والشمس

(٢) ن . حالا للنحل والذلل جمع ذلول .

(٣) ن . الرحيل .

(٤) ط . اضغاث .

(٥) ن . مثلهم .

لها فقال سبحانه ﴿ يخرج من بطونها ﴾ والمراد من جهة بطونها وجهة بطونها أفواهها وهذا من غوامض البيان وشرائف هذا الكلام وقد قال[1] بعضهم ان العسل يتولد في اعماق الأنوار [من[2]] منّ لطيف عند النبات فاذا انتهى الى النضج عذب وحلا والنحل مدلولة على تتبع ذلك من مظانه فتقع عليه وتغمس ألسنتها فيه وترشف تلك الحلاوة منه في افواهها وتنقلها الى خلاياها ومغاراتها .

٢٥٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

[النحل ـ الآية ٨٦]

وهذه استعارة والمراد بالقاء القول والله اعلم إخراج الكلام مع ضرب من الخضوع والاستكانة او الاسرار والخفية كما قال سبحانه ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة**﴾[3] وفي هذا الكلام مفعول محذوف فكأنه تعالى قال « تلقون اليهم الأخبار بالمودة» وهذا القول نزل في قوم من المؤمنين كانوا يجتمعون مع قوم من الكافرين والمنافقين[4] بأرحام تلفهم وحلل تؤلف[5] بينهم فيتسقطونهم ليعرفوا منهم أخبار النبي (ص) والمؤمنين فنهوا عن مشافنتهم[6] والاجتماع معهم فكأن المعنى تلقون اليهم الأسرار بالمودة التي بينكم[7] على سبيل الاسرار والاخفاء وقد قيل إن المراد تلقون اليهم المودة فقال تعالى بالمودة كما قال سبحانه تنبت بالدهن أي تنبت الدهن على أحد التأويلين ونظير التأويل الثاني[8] قوله سبحانه في ذكر الشياطين

(١) لم يرد في ط . قوله (وقد قال بعضهم) الى آخر المبحث .

(٢) زيد حرف الجر على ما في النسخة لاقتضاء الكلام ذلك .

(٣) سورة الممتحنة الآية ١ .

(٤) ط . مع قوم من المنافقين .

(٥) ط . وخلل تولد عنهم .

(٦) من ثفن : ثفن الشيء : لزمه ، ثافنه : جالسه والثفنة هي الجماعة من الناس .

(٧) ن . نهيكم .

(٨) ط . الأول .

﴿**يلقون السمع وأكثرهم كاذبون** ﴾[1] أي يطلبون سماع الاخبار على وجه الاستخفاء[2] والاستسرار وهذا الوجه لا يصح من قوله تعالى ﴿**فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون**﴾ لأن الحال التي أخبر سبحانه بأن هذا الكلام[3] يجري فيها هي حال القيامة وتلك حال لا يجوز فيه الاستسرار بقول ولا الكتمان لسر لأن السرائر مظهرة والضمائر مصحرة وإنما المراد بهذا الكلام ما يقوله المعبودون لمن عبدهم من الأمة إذ يقول سبحانه ﴿ **وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك** ﴾ ، فقال المعبودون لهم في الجواب عن ذلك إنكم لكاذبون في أنا دعوناكم الى العبادة أو في قولكم إننا آلهة وقد يجوز أيضاً أن يكون التكذيب من العابدين للمعبودين فكأنهم قالوا لهم كذبتم في ادعائكم أنكم تستحقون العبادة من[4] دون الله فلم يبق إذاً إلا الوجه الأول في معنى القاء القول وهو أن يكون على وجه الخضوع والضراعة ويكون سبب هذه الاستكانة الخوف من الله لا خوف بعض الشركاء من بعض ومثل ذلك قوله تعالى عقيب هذه الآية ﴿**وألقوا إلى الله يومئذ السلم** ﴾ أي استسلموا له عن ضرع وذلة انقطاع حيلة ومن ذلك قولهم ألقى فلان يد العاني أي ذل ذل الأسير وخضع خضوع المقهور .

٢٥٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾

[النحل ـ الآية ٩٤]

وهذه استعارة لأن المراد بالقدم ههنا الثبات في الدين ولما كان اصل الثبات في الشيء والاستقرار إنما يكون بالقدم حسن أن يعبّر عن هذا المعنى بلفظ القدم وكأن المراد بقوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها أي يضعف دينكم ويضطرب يقينكم فيكون كالقدم الزالة والقائمة المائلة .

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٣ .

(٢) ن . الاخفاء .

(٣) ط . لم ترد لفظة (الكلام) .

(٤) تستحقون العبادة دون الله .

٢٥٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾
[النحل ـ الآية ١٠٢]

وهذه استعارة لأن المراد بذلك جبرائيل عليه السلام والقدس[١] الطهارة وإنما سمّيَ روح القدس لأن حياة الدين وطهارة المؤمنين إنما تكون بما تحمله إلى الأنبياء عليهم السلام من الأحكام والشرائع والآداب والمصالح .

٢٥٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾
[النحل ـ الآية ١٠٣]

وهذه استعارة لأن المراد باللسان ههنا جملة القرآن وطريقته لا العضو المخصوص الذي يقع الكلام به وذلك كما يقول العرب في القصيدة هذه لسان فلان أي قوله قال شاعرهم .

لسان السوء تهديها الينا ... وحنت[٢] وما حسبتك أن تحينا

أي مقالة السوء ومثل ذلك قول الآخر :

ندمت على لسان كان منيّ ... وددت بأنه في جوف عكم[٣]

أي على قول سبق مني لأن الندم إنما يكون على الفعال والكلام لا على الاعضاء والاعيان وإنما سمي القول لساناً لأنه إنما يكون باللسان ويصدر عن اللسان[٤] .

٢٥٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

(١) ط . والتقديس .
(٢) ن . وجثت .
(٣) عكم : عكم المتاع : جمعه العكم : العدل .
(٤) ن . من اللسان .

وهذه استعارة لان حقيقة الذوق إنما يكون في المطاعم والمشارب لا في الكسا والملابس وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم والبلاء الشامل لهم وقد عرف في لسانهم أن[١] يقولوا لمن[٢] عوقب على جريمة أو أخذ بجريرة ذق غب فعلك واجن ثمرة جهلك وإن كانت عقوبته ليست من جنس[٣] ما يحس بالطعم ويدرك بالذوق فكأنه تعالى لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حسن أن يقول تعالى« فأذاقهم ذلك »أي أوجدهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ووخامة الطعم الكريه وإنما قال تعالى ﴿ لباس الخوف والجوع ﴾ولم يقل «طعم الجوع والخوف»لان المراد بذلك والله اعلم وصف تلك الحال[٤] بالشمول لهم والاشتمال عليهم كاشتمال الملابس على الجلود لان ما يظهر منهم من مضيض[٥] الجوع وأليم الخوف من سوء الاحوال وشحوب الالوان وضؤولة الاجسام كاللباس الشامل لهم والظاهر عليهم وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .

(١) ط . أي .
(٢) ن . لئن عوقب على جرمه وأخذته أو أخذ بجريرة ذق عن فعلك كذا في النسخة .
(٣) ط . ليست مما يحس .
(٤) ن . وصف ذلك الشمول .
(٥) ط . عن مضيض .

سورة الاسراء

ومن السورة التي يذكر فيها بنو اسرائيل

٢٥٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾

[الاسراء ـ الآية ١٢]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله سبحانه ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ والآية العلامة والمراد بمحوها والله أعلم على قول بعضهم أي جعلنا ظلمة الليل مشكلة لا يفهم معناها ولا يعلم فحواها لما استأثر الله تعالى بعلمه من المصلحة المستسرة في ذلك وحقيقة المحو طمس أثر الشيء من قولهم محوت الكتاب إذا طمست سطوره حتى يشكل على القارىء ويخفى على الرائي وقال قوم آية الليل القمر خاصة ومحوه تصيير(١) تلك الطمسة في صفحته حتى يقصر(٢) نوره عن نور الشمس لما يعلمه الله تعالى من المصلحة في ذلك وآية النهار الشمس وقال آخرون بل آيتا(٣) الليل والنهار ضوء هذا في الجملة وظلمة هذا في الجملة لأن الضوء علامة النهار والظلمة علامة الليل على ما قدمنا ذكره والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ وفي ذلك وجهان احدهما أن يكون المراد إناجعلناهامكشوفة القناع مبينة للابصار على خلاف آية الليل إذ جعلناها بهيمة الأطراف مشرجة(٤) الغلاف والوجه الآخر أن يكون

(١) ن . يصير .

(٢) ط . حتى تقص نوره .

(٣) ن . بل أية .

(٤) من شَرَجَ : شرج الشيء : جمعه . وشرج صدره على كذا : ضمه عليه وكتمه .

معنى مبصرة أي يبصر الناس فيها ويهتدون بها كما تقدم قولنا في قولهم نهار صائم وليل قائم أي أهل هذا صيام وأهل هذا قيام وكما يقولون رجل مخبث إذا كان أهله وولده خبثاء ورجل مضعف إذا كانت دوابه وظهوره ضعفى فعلى هذا يسمى النهار مبصراً إذا كان أهله بصراء وقد مضى الكلام على مثل ذلك فيما تقدم من الكتاب(١) .

٢٦٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾

[الاسراء ـ الآية ١٣]

وهذه استعارة والمراد بالطائر ههنا والله أعلم ما يعمله الانسان من خير وشر ونفع وضر وذلك مأخوذ من زجر الطائر على مذاهب العرب لأنهم يتبرّكون بالطائر المعترض(٢) من ذات اليمين ويتشاءمون بالطائر المعترض من ذات الشمال ومعنى ذلك انه سبحانه يجعل عمل الانسان من الخير والشر كالطوق في عنقه بالزامه إياه والحكم عليه به وقال بعضهم معنى ذلك إنا جعلنا لكل إنسان دليلا من نفسه على ما بيناه له وهديناه اليه والعرب تقيم العنق والرقبة مقام نفس الانسان(٣) وجملته فتقول(٤) لي في رقبة فلان دم ولي في رقبته دين أي عنده وفلان قد اعتق رقبة إذا اعتق عبداً أو أمة ويقول الداعي في دعائه اللهم أعتق رقبتي من النار وليس يريد العنق المخصوص وإنما يريد الذات والجملة وجعل سبحانه الطائر مكان الدليل الذي يستدل به على استحقاق الثواب والعقاب على عادة العرب التي ذكرناها في التبرك بالسانح والتشاؤم بالبارح .

٢٦١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾

[الاسراء ـ الآية ٢٤]

(١) ط . خلت ن قوله (من الكتاب) .

(٢) ط . المتعرض في الموضعين .

(٣) ط . مقام الانسان نفسه .

(٤) ط . فيقولون .

وهذه استعارة عجيبة وعبارة شريفة والمراد بذلك الاخبات للوالدين والإلانة القول لهما والرفق واللطف بهما وخفض الجناح في كلامهم عبارة عن الخضوع والتذلل وهما ضد العلو والتعزز إذ كان الطائر إنما يخفض جناحه إذا ترك الطيران والطيران هو العلو والارتفاع وقد يستعار ذلك لفرط الغضب والاشتطاط[١] فيقال قد طار فلان طيرة إذا غضب واشتط وقد أومأنا إلى هذا المعنى في ما تقدم من هذا الكتاب وإنما قال تعالى﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾ليبين تعالى أنَّ سبب الذل هو الرحمة[٢] والرأفة لئلا يقدر انه الهوان والضراعة وهذا من الاغراض الشريفة والأسرار اللطيفة .

٢٦٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ** ﴾

[الاسراء ـ الآية ٢٩]

وهذه استعارة وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة وإنما الكلام الأول كناية عن التقتير والكلام الآخر كناية عن التبذير وكلاهما مذموم حتى يقف كل منهما عند حدّه[٣] ولا يجري إلا إلى أمده وقد فسر هذا قوله سبحانه ﴿ **والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾[٤] .

٢٦٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً** ﴾

[الاسراء ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأنه ليس هناك على الحقيقة كنان على قلب ولا وقر في سمع وإنما المراد به انهم[٥] لاستثقالهم سماع القرآن عند أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بتلاوته على أسماعهم وإفراغه في آذانهم كالذين[٦] على قلوبهم

(١) ط . ولاشتشاط .

(٢) ط . ان سبب الذل لهما الرأفة والرحمة

(٣) ن . على حدة .

(٤) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٥) ن . خلت من (أنهم)

(٦) ن . كالذي .

اكنّة دون علمه وفي آذانهم وقر دون فهمه وإن كانوا من قبل نفوسهم أتوا وبسوء اختيارهم أخذوا ولو لم يكن الأمر كذلك لما ذموا على اطراحه ولعذروا بالاضراب عن استماعه .

٢٦٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ** ﴾

[الاسراء ـ الآية ٤٧]

وهذه استعارة لأن النجوى مصدر كالتقوى وإنما وصفوا بالمصدر[١] لما في هذه الصفة من المبالغة في ذكر ما هم عليه من كثرة تناجيهم واسرار المكايد بينهم والصفة[٢] بالمصدر تدل على قوة الشيء الموصوف بذلك مثل قولهم رجل رضا وقوم عدل وما يجري هذا المجرى .

٢٦٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً** ﴾ [الاسراء ـ الآية ٥٩]

وهذه استعارة والمعنى جعلنا الناقة آية مبصرة للعاشي ومذكرة للناسي[٣] ومظنة لاعتبار المعتبر وتفكير المفكر لأن من عجائب تلك الناقة تمخض[٤] الصخرة بها من غير حمل بطن ولا قرع فحل وأنها كانت تقاسم ثمود الورد فلها يوم ولثمود يوم قال الله تعالى﴿ **لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴾[٥]فإذا كان[٦] يومها شربت فيه من الماء مثل[٧] ما كانت ثمود تأخذه لسقائها وزروعها واضرامها[٨] وشربها وهذا من صوادع العبر وقوارع النذر وقال

(١) ن . المصدر .

(٢) ن . وصفه .

(٣) ن . للناشي

(٤) ن . بها تمخض الصخرة بها .

(٥) سورة الشعراء الآية ١٥٥ .

(٦) ن . فاذا كانت

(٧) ن . خلت من (مثل) .

(٨) ن . واحرامها وشربها . ولعل الأصل وأحراجها جمع حرجة وهي جماعة الإبل .

بعضهم يجوز أن يكون معنى مبصرة ههنا أي ذات إبصار والتأويلان يؤولان إلى معنى واحد .

٢٦٦ ـ وقوله تعالى حاكياً عن إبليس : ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
[الاسراء ـ الآية ٦٢]

وهذه استعارة على بعض التأويلات في هذه الآية وهو أن يكون الاحتناك ههنا افتعالاً من الحنك أي لأقودنّهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها غير ممتنعة على قائدها وهو عبارة عن الاستيلاء عليهم والملكة لتصريفهم(١) كما يملك الفارس تصريف(٢) فرسه يثني العنان تارة ويكبح اللّجام مرة وقال يعقوب (ابن السكيت) في إصلاح المنطق يقال حنك الدابة يحنكها حنكاً إذا شدّ في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به وقد احتنك الدابة مثل حنكها إذا فعل بها ذلك وقال بعضهم معنى(٣) لاحتنكن ذريته أي لالقين في أحناكهم حلاوة المعاصي حتى يستلذوها ويرغبوا فيها ويطلبوها والقول الأول أحب إلي . وقال بعضهم معنى ذلك لاستأصلن ذريته بالاغواء ولأستقصين اهلاكهم بالإضلال لأن اتباعهم غيّه وطاعتهم أمره يؤولان بهم الى موارد الهلاك وعواقب البوار . قال الشاعر :

نشكو اليك سنة قد اجحفت   واحتنكت أموالنا وجلّفت

أي اهلكت أموالنا ويقال احتنكه إذا استأصله واهلكه ومن ذلك قولهم احتنك الجراد الأرض إذا أتى على نبتها وقيل أيضاً المراد بذلك لأضيقن عليهم مجاري الأنفاس من أحناكهم بإيصال الوسوسة لهم وتضاعف الإغواء عليهم ويقال احتنك فلان فلاناً ذا أخذ مجرى النفس من حنكه فكان كالشبا في مقتله والشجا في مسعله .

(١) ط . لصرفهم .
(٢) ط . تصرف .
(٣) ط . خلت من لفظة (معنى) .

٢٦٧ ـ وقوله تعالى(١) : ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾
[الاسراء ـ الآية ٦٤]

وفي هذه الآية ثلاثة مواضع تدخل في باب المجاز : أحدها أن يكون المراد بقوله تعالى ﴿بصوتك﴾ على أحد القولين : أصوات الملاهي والمغاني . وجعل ذلك صوتاً له من حيث كان الداعي اليه والحامل عليه وهذا الوجه أصح من قول من قال إن المراد بذلك الصوت الحقيقي لأن إبليس لا صوت له يسمع في الاضلال والاغواء وإنما هي الوساوس الخفية والخدائع اللطيفة. والمجاز الثاني : قوله تعالى : ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ وفيه قولان يدخلان جميعاً في حيّز المجاز : أحدهما أن يكون المراد به اظهار الاستهانة بمكره واقلال الحفل بخدائعه كما يقول القائل منا لغيره إذا أراد هذا المعنى اجهد فيّ جهدك واجمع لي حيلك أي اجمع لي كل ما تقدر عليه من مكايدك والقول الآخر ما قاله بعضهم إن كل راكب في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وكل ماش في مثل ذلك فهو من رَجِلِهِ والفريقان جميعاً من حزبه وجنده لأنه الراضي بفعلهم والداعي إلى غيهم وهذان القولان هما المعتمدان ولا اعتبار بقول من قال ان لابليس على الحقيقة خيلا وَرَجِلاً يبعثهم على الناس لأنا قد ذكرنا في عدة مواضع من كتبنا أنه لا سلطان له ولا لأحزابه من الشياطين علينا إلا بالدعاء والوسوسة ولو كان له خيل ورجل يكافحنا بهم ويلقانا بجمعهم لوجب أن نحس بوقائعهم ونألم(٢) لقوله عميم . والمجاز الثالث قوله تعالى : ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد ﴾ فللمشاركة في الأموال وجهان أحدهما أن يكون المراد ما ينفقونه من أموالهم في المعاصي وفيما يدعوهم اليه الشيطان من المضال والمغاوي (والوجه الثاني) أن يكون المراد ما كانت الجاهلية تفعله في السائبة والبحيرة والحامي والوصيلة أي وسوس لهم بأن يجعلوا من أموالهم شيئاً

(١) هذه الآية وما يتعلق بها من بحث لم تذكر في . ط .
(٢) كذا في النسخة ولا معنى له ولعل الأصل ونألم لقوارعهم .

لغير الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ﴾(١) وللمشاركة في الاولاد ثلاثة وجوه : أحدها أن يستعملوا أولادهم فيما يكرهه الله ويرضاه الشيطان والوجه الثاني أن يكون المراد بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحارث وهو ابليس عندهم وعبد العزّى وعبد يغوث وعبد مناف وما يجري هذا المجرى من أسماء الاصنام والوجه الثالث ان المراد ان ابليس يدعوهم إلى النكاح الحرام واذا كان عن ذلك ولد فكأنه قد شارك فيه إذ كان الداعي الى سببه وجميع هذا الخطاب الذي خوطب به ابليس في هذه الآية خارج على طريقة العرب اذا ارادت التخويف والتهديد والزجر والوعيد وليس بأمر في الحقيقة لأنَّ ابليس لو كان بهذه الافعال مأموراً لكان بفعلها لله مطيعاً وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى في غير موضع من مصنفاتنا .

٢٦٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱللَّيْلِ ﴾
[الاسراء ـ الآية ٧٨]

وهذه استعارة لأن الدالك المائل في كلامهم فكأنه سبحانه أمر باقامة الصلاة عند ميل الشمس فقيل عند ميلها للزوال وقيل عند ميلها للغروب والشمس على الحقيقة لا تميل عن موضعها ولا تزول عن مركزها(٢) وإنما تعلو وتنخفض(٣) بارتفاع الفلك وانخفاضه وسيره وحركاته .

٢٦٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾
[الاسراء ـ الآية ٨١]

وهذه استعارة لأنهم يقولون زهقت نفس فلان إذا خرجت . ومنه قوله تعالى ﴿ وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾(٤) فالمراد والله أعلم وهلك الباطل إن الباطل كان هالكاً(٥) تشبيهاً له بمن فاضت نفسه وانتقضت بنيته لأن الباطل لا

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٦ .
(٢) ن . عن مكرها .
(٣) ط . أو تنخفض .
(٤) سورة التوبة الآية ٥٥ والآية ٨٥ .
(٥) ط . هلوكاً .

مساك ولا سماك لبنائه .

٢٧٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ [الاسراء ـ الآية ٨٤]

وهذه استعارة لأن الأولى أن يكون المراد ههنا بالشاكلة والله أعلم الطريقة التي تشاكل أخلاق الانسان وتوافق طبيعته وذلك مأخوذ من الشاكلة وجمعها شواكل وهي الطرق المتشعبة عن المحجة العظمى فكأن الدنيا ههنا مشبَّهة بالطريق الأعظم وعادات الناس فيها وطبائعهم التي جبلوا عليها مشبَّهة بالطرق المختلجة من ذلك الطريق الذي هو العمود واليه الرجوع وقال بعضهم الشاكلة العلامة وأنشد :

بدت شواكل حبٌّ كنت تضمره ... في القلب أن هتفت في الدار ورقاء

فكأنه تعالى قال : ﴿ كلٌّ يعمل على شاكلته ﴾ أي على الدلالة التي نصبت لاستدلاله والأمارة التي رفعت لاهتدائه .

٢٧١ ـ وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنْفَاقِ ﴾

[الاسراء ـ الآية ١٠٠]

وهذه استعارة والمراد بالخزائن ههنا المواضع التي جعلها(١) الله تعالى جهات لدرور الرزق ومنافع الخلق وإلى تلك المواضع ترفع الايدي عند السؤال والرغبات واستدراك الخير والبركات .

٢٧٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾

[الاسراء ـ الآية ١٠٦]

(١) ن . جعل .

وهذه استعارة ومعنى فرقناه أي بيناه للناس بنصوع مصباحه وشدوخ[١] أوضاحه حتى صار كمفرق الرأس في وضوح مخطه أو كفرق الصبح في بيان[٢] منبلجه وقد[٣] قال بعضهم معنى فرقناه أي فصّلناه سوراً وآيات فذلك بمنزلة فرق الشعر وهو تمييز بعضه من بعض[٤] حتى يزول التباسه ويتخلص التفافه .

(١) شدوخ .من شدخت الغرة تشدخ شدخاً وشدوخاً انتشرت وسالت سيلاً فملأت الجبهة ولم تبلغ العينين .

(٢) ن . في تبين منبلجة

(٣) ط . خلت من (قد) .

(٤) ن . من بعضه .

سورة الكهف

ومن السورة التي يذكر فيها الكهف

٢٧٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لله ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ۞ قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ ﴾

[الكهف ـ الآية ١ ـ ٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة العوج أن يكون فيما يصحُّ عليه أن ينتصب ويميل ويضطرب ويستقيم وهذه من صفات الاجسام لا من صفات الكلام فنقول إنما وصف القرآن والله أعلم بأنه قيِّم لا عوج فيه[١] ذهاباً إلى نفي الاختلاف عن معانيه والتناقض في أوضاعه ومبانيه وأنه غير ناكب[٢] عن المنهاج ولا مستمر على الاعوجاج .

٢٧٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾

[الكهف ـ الآية ٥]

ووصف[٣] الكلمة ههنا بالكبر استعارة والمراد أن معناها فظيع وفحواها عظيم وتقدير الكلام (كبرت الكلمة كلمةً) وللنصب ههنا وجهان : أحدهما أن يكون على تفسير المضمر[٤] مثل قولهم نعم رجلاً زيدٌ وبئس صاحباً

(١) ن . فيها بدل فيه .

(٢) من نَكَبَ : عدل ، مال . يقال : « تنكّب عن وجهي » أي تنح واعرض عني .

(٣) ن . وصف الكلمة بالكبر .

(٤) ن . نفسه .

عمرو . والوجه الآخر أن يكون على التمييز في الفعل المنقول نحو « ساء مرتفقاً وتصبب عرقاً » .

٢٨٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وإنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾

[الكهف ـ الآية ٨]

وهذه استعارة لأن المراد بالجرز ههنا الارض التي لا نبات فيها وذلك مأخوذ من قولهم ناقة[١] جروز إذا كانت كثيرة الأكل لا يكاد لحياه[٢] يسكنان من قضم الاعلاف ونشط الاعشاب ومن ذلك قولهم : سيفٌ جراز إذا كان يبري المفاصل ويقطُّ الضرائب[٣]. وقال محمد[٤] بن يزيد المبرّد : السيف الجراز الذي لا يبقي من الضريبة شيئاً . والاصل في هذه اللفظة أن تكون بمعنى الاستئصال ، قال ومن أمثالهم لا ترضى شانئة إلا بِجُرزَة أي لا يرضى المبغضة فيمن ابغضته إلا بالاستئصال وإنما سميت تلك الارض جرزاً إذ كانت كأنها تأكل نبتها فلا تدع منه نابعة[٥] ولا تترك طالعة ونظير ذلك قولهم أرض جدَّاء وهي التي لا ماء فيها تشبيهاً بالناقة الجدَّاء[٦] التي لا لبن[٧] لها .

٢٧٦ ـ وقوله سبحانه :﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِم فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾

[الكهف ـ الآية ١١]

وهذه استعارة لأن المراد بها منع آذانهم من استماع الأصوات وهمس الحركات قال بعضهم وذلك كالضرب على الكتاب لتشكل حروفه فتمتنع على

(١) ن . خلت من (ناقة) .

(٢) ن . لحييها وهو لحن .

(٣) ن . ضراب .

(٤) ط . خلت من جملة الكلام الذي يبدأ به بقوله : (قال محمد بن يزيد الى قوله إلا بالاستئصال)

(٥) ط . نابغة .

(٦) ن . الحداء في الموضعين .

(٧) ط . بالناقة التي لا لبن فيها وهي الجداء .

القارىء قراءته وإنما دل تعالى على عدم الاحساس بالضرب على الاذان دون الضرب على الأبصار لأن ذلك أبلغ في الغرض المقصود من حيث كانت الأبصار قد يضرب عليها من غير عمىً ولا يبطل ادراك بقية الحواس جملة وذلك عند تغميض الانسان أجفان عينيه[١] وليس كذلك منع[٢] الاسماع من غير صمم لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم بالنوم الذي هو السهو على صفة دل ذلك على عدم الاحساس من كل جارحة يقع بها الادراك ولأن الأذن لما كانت طريقاً إلى الانتباه ثم ضرب عليها لم يكن سبيل الى الانتباه وفي هذا القول بعض التخليط والذي أذهب اليه في ذلك ما ذكرته في كتابي الكبير على شرح واستقصاء وهو أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ والله أعلم . أي أخذنا اسماعهم فبطل استماعهم ويكون ذلك من قول القائل قد ضرب فلان على مالي أي أخذه وحال بيني وبينه فأما تشبيه ذلك بالضرب على الكتاب حتى تشكل حروفه على المتأمل ففيه بُعد وتعسف وقد يجوز أن يكون المراد بذلك ﴿ فضربناهم على آذانهم ﴾ من الضرب الحقيقي تشبيهاً بمن ضرب على صماخه فهو موقوذ [٣] مأموم ومشدوه مغمور .

٢٧٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِم إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾

[الكهف ـ الآية ١٤]

وهذه استعارة لأن الربط هو الشد يقال ربطت الأسير إذا شددته بالحبل او القدوالمراد بذلك شددنا على قلوبهم كما تشد الأوعية بالأوكية فتنضم على مكنونها ويؤمن التبدد على ما استودع فيها أي فشددنا على قلوبهم لئلا تنحل معاقد صبرها وتهفو عزائم جلدها ومن ذلك قول القائل لصاحبه : ربط الله على قلبك بالصبر .

(١) ط . تغميض الانسان عينيه .

(٢) ن . وليس كذلك مع الانسان .

(٣) من وَقَذَ : صرع . وقذه أي ضربه شديداً حتى اشرف على الموت .

٢٧٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّءْ لَكُم مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً ﴾

[الكهف ـ الآية ١٦]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله تعالى﴿ ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ . والرحمة ههنا بمعنى النعمة ولم يكن هناك شيء[١] مطوي فينشر ولا مكنون فيظهر وإنما المراد بذلك يسبغ الله عليكم نعمته على وجه الظهور والشياع دون الاخفاء والاسرار فيكون ذلك كنشر الثوب المطوي واظهار الشيء[٢] الخفي في شياع الأمر وانتشار الذكر والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ويهيء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ وأصل المرفق ما ارتفق به وهو مأخوذ من المرفقة وهي التي يرتفق عليها أي يعتمد عليها بالمرفق ويقال مِرفق ومَرفَق بمعنى واحد وقد قرىء بهما جميعاً[٣] فكأنه سبحانه قال يهيء لكم ومن امركم ما تعتمدون عليه وتستندون اليه ويكون لظهوركم عماداً ولأعضادكم[٤] سناداً .

٢٧٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾

[الكهف ـ الآية ١٧]

وفي هذه الآية استعارتان أولاهما قوله تعالى في ذكر الشمس ﴿تزاور عن كهفهم ذات اليمين ﴾ . لأن التزاور أصله الميل وهو مأخوذ من الزور[٥] الذي هو الصدر فكأنه سبحانه قال إن الشمس تميل عن هذا الموضع كما يميل المتزاور عن الشيء بصدره ووجهه وبين بذلك موقع[٦] الكهف المشار اليه من

(١) ط . خلت من (شيء) .
(٢) ن . السر الخفي .
(٣) ط . وقد قرىء بهما جميعاً بمعنى واحد .
(٤) من العَضُد : القوة « فلان يعاضد فلان » أي يرافقه ويعاونه .
(٥) ط . وهو الصدر .
(٦) ط . موضع .

جهات المشرق والمغرب وان الشمس لاتلحفه ثوبها عند الشروق ولا تنفض عليها صبغها عند الغروب .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى :﴿ وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ . وفي ذلك قولان أحدهما أن يكون المراد أنها تقطعهم في ذات الشمال أي انها تجوزهم عادلة بمطرح شعاعها عنهم من قولهم قرضت الشيء بالمقراض اذا قطعته به فالمقراض متجاوز لأجزائه أولاً حتى ينتهي الى آخره والقول الثاني أن يكون[١] المراد انها تعطيهم القليل من شعاعها عند مرها بهم ثم تسترجعه[٢] عند انصرافها عنهم تشبيهاً بقرض المال الذي يعطيه المعطي ليسترده ويقدمه ليرتجعه ومعنى قرض المال أيضاً مأخوذ من القطع لأن المقرض يعطي للمقترض[٣] شقة من ماله وقطعة من حاله .

٢٨٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾

[الكهف ـ الآية ٢١]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم وكذلك أطلعنا عليهم الا ان في[٤] لفظ الاعثار فائدة وهي مصادفة الشيء من غير طلب له ولا إحساس به وهو أفعلنا من العثار[٥] وأصله ان الساعي في طريقه اذا صك قدمه أو نكب اصبعه شيء ففي الأغلب انه يقف عليه متأملاً له وناظراً اليه فكأنه استفاد علم ذلك من غير أن تتقدم معرفته[٦] به ومن ذلك قول القائل لعبده لا أعثرنَّ عليك بخطيئة فأعاقبك أي لا أقفنَّ على ذلك منك[٧] وعلى هذا قوله

(١) ن . خلت من (أن)
(٢) ط . عند مرها .
(٣) ن . بعطى المقرض
(٤) ن . خلت من حرف الجر
(٥) ن . خلت من (به) .
(٦) ن . معرفة به .
(٧) ن . لم ترد (منك)

سبحانه ﴿ فإن عثر على أنهما استحقا إثماً ﴾[1] أي اطلع على ذلك منهما واستفيد العلم من باطن[2] أمرهما .

٢٨١ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ ﴾

[الكهف ـ الآية ٢٢]

وهذه استعارة لأن الرجم هنا هو القذف بالظن والقول بغير علم ومن عادة العرب أن تسمي القائل بالظن راجماً وقاذفاً وتسمي الساب الشاتم راجماً مراجماً ويقولون هذا الأمر غيب مرجّم أي يرميه الناس بظنونهم ويقدرونه بحسبانهم ومرجّم إنما جاء لتكثير الفعل[3] كأنه يرمي من ههنا ومن ههنا وإنما سمي الظانّ راجماً لأنه يوجه الظن إلى غير جهة معلومة بل يظن هذا ويظن هذا كالراجم الذي لا يعلم مواقع احجاره اذا رمى بها في الجهات فتارة تقع يميناً وتارة تقع شمالاً .

٢٨٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾

[الكهف ـ الآية ٢٨]

وهذه استعارة على احد التأويلات في هذه الآية وهو أن يكون المراد بذلك انا[4] تركنا قلبه[5] غفلاً من السمات التي نسم بها قلوب المؤمنين فتدل على زكاء أعمالهم وصلاح أحوالهم كقوله ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾[6] وذلك تشبيه بالبعير[7] اذا اغفل فترك بلا سمة يعرف بها

(١) سورة المائدة الآية ١٠٧ .

(٢) ن . من ناظر .

(٣) ط . لتكثير العمل .

(٤) ن . إنما .

(٥) ن . تركناه غفلاً .

(٦) سورة المجادلة الآية ٢٢ .

(٧) ن . يشبه البعير أي اعقل فيزل .

على عادة العرب في إقامة السمات مقام العلامات المميزة بين أموالهم في الموارد والمراعي وتعريف الضوال والهوافي[1] وفي هذه الآية أقوال أخر القول الذي قدمناه أدخلها في باب الاستعارة منها أن يكون معنى[2] أغفلنا قلبه أي نسبناه الى الغفلة كقول القائل « اكفرت فلاناً اذا نسبته إلى الكفر وأبخلته اذا نسبته الى البخل » ومنها أن يكون المراد سميناه غافلاً بتعرضه[3] للغفلة فكان المعنى حكمنا عليه بأنه غافل كما يقول القائل : قد حكمت على فلان بأنه جاهل أي لما ظهر الجهل منه وجب هذا القول فيه . ومنها أن يكون ذلك من باب المصادفة فيكون المعنى صادفنا قلبه غافلاً كقول القائل : أحمدت فلاناً أي وجدته محموداً وذلك يؤول الى معنى العلم فكأنه تعالى قال « علمناه غافلاً » وعلى هذا قول عمرو بن معدي كرب : لله دركم يا بني سليم لقد قاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم وسألناكم فما ابخلناكم . أي لم نصادفكم على هذه الصفات من الجبن عند النزال والبخل عند السؤال والعي عند المقال . وعلى ذلك قول نافع بن خليفة الغنوي :

سألنا فأحمدنا ابن كر مرزأ ... جوادٍ وأبخلنا ابن كل بخيل

أي وجدنا هذا محموداً ووجدنا هذا بخيلاً مذموماً . ومما علقته عن قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد أدام الله توفيقه عند قراءتي عليه كتابه الموسوم بتقريب الاصول في أخريات[4] من الكلام في التعديل والتجوير انه لو لم يكن الأمر على ما قلناه في إغفال القلب[5] من أن المراد بذلك مصادفته غافلاً وكان على ما قاله الخصوم من أنه تعالى صدف به عن أمره وصرفه عن ذكره لوجب أن لا[6] يقول فاتبع هواه لقول القائل : اعطيته فأخذ

(١) ط . خلت من (والهوافي)

(٢) ط . هنا .

(٣) ن . يتعرض .

(٤) ن . في باب آخر .

(٥) ن . في إغفال الأمر .

(٦) ط . لوجب أن يقول .

وبسطته فانبسط واكرمته فأدل أي كانت هذه الأفعال مسببة عن افعالي به لأن هنا وجه الكلام في الأغلب الأعرف[1] فلما جاء بالواو ، صار كأنه قال ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه لأنه إذا وجد غافلاً فهو الذي غفل والفعل حينئذ له ومنسوب اليه .

٢٨٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾

[الكهف ـ الآية ٢٩]

وفي هذه الآية استعارتان أولاهما قوله تعالى ﴿ أحاط بهم سرادقها ﴾ والسرادق هو الفسطاط المحيط بما فيه فوصف سبحانه النار بالاحاطة والاشتمال فلا ينجو منها ناج ولا يطلق منها عان كقوله تعالى﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾[2] أي حبساً يحصرهم وطولاً يقصرهم ومثل قوله سبحانه ﴿ أحاط بهم سرادقها ﴾ . كقوله ﴿انها عليهم مؤصدة * في عمد ممدة ﴾[3] والمؤصدة المغلقة المطبقة . وقرىء عَمَد وعُمُد والمراد بقوله سبحانه ﴿في عمد ممدة ﴾ مثل المراد بقوله ﴿أحاط بهم سرادقها ﴾ تشبيهاً بتمديد الأخبية والسرادقات بالأطناب واقامتها على الأعماد والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿و ساءت مرتفقاً﴾ والمرتفق المتكأ وهو ما يعتمد عليه[4] بالمرفق ومنه المرفقة وهي (المخدّة) وذلك نظير قوله سبحانه ﴿ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾[5] . فلما جاء سبحانه بذكر السرادق جاء بذكر المرافق ليتشابه الكلام ويتسق[6] النظام وروي عن بعضهم انه قال معنى مرتفقا أي مجتمعاً كأنه ذهب إلى معنى وسائت مرافقة والمرافقة لا تكون إلا باجتماع[7] جماعة وهذا القول يخرج

(١) ن . لم ترد فيها لفظة (الأعرف) .
(٢) سورة الأسراء الآية ٨ .
(٣) سورة الهمزة الآيتان ٨ و٩ .
(٤) ن . خلت من الجار والمجرور .
(٥) سورة الرعد الآية ١٨ .
(٦) ن . خلت من (ويتسق النظام)
(٧) ط . إلا بالاجتماع .

الكلام عن حد الاستعارة ويدخله في باب الحقيقة والوجه الأول أقوى ويشهد له قوله سبحانه﴿متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً﴾[1] فجاء بذكر الارتفاق لما قدم ذكر الاتكاء وهذا أوضح شاهد .

٢٨٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً ﴾

[الكهف ـ الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن الظلم ههنا ليس على أصله في اللغة ولا على عرفه في الشريعة لأنه في اللغة اسم لوضع الشيء في غير موضعه[2] وفي الشريعة اسم للضرر المفعول لا على وجه الاستحقاق ولا فيه استجلاب نفع ولا دفع ضرر والمراد بقوله تعالى ههنا ﴿ولم تظلم منه شيئاً ﴾ أي لم تمنع منه شيئاً وإنما حسن أن يعبر عن هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان ثمر تلك الجنة التي هي البستان كالمستحق لمالكها فاذا أخرجته على تمامه وكماله حسن أن يقال انها لم تظلم منه شيئاً أي لم تمنع منه مستحقاً فتكون في حكم الظالم اذا أضرت بمالكها في نقصان زروعها[3] وإخلاف ثمارها ومما يقوي ذلك قوله تعالى﴿ آتت أكلها﴾ أي أعطت أكلها فلما جاء بلفظ الاعطاء حسن أن يجيء بلفظ الظلم ومعناه ههنا المنع فكأنه تعالى قال أعطت ما استحق عليها ولم تمنع منه شيئاً .

٢٨٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا[4] بِهِ الْحَقَّ ﴾

[الكهف ـ الآية ٥٦]

وهذه استعارة وأصل الدحض الزلق ومكان دحض أي زلق فكأنه سبحانه قال ليزلوا الحق بعد ثباته ويزيلوه عن مستقره[5] فيكون كالكسير[6]

(١) سورة الكهف الآية ٣١ .
(٢) ن . في غير محله .
(٣) ن . ريوعها .
(٤) من دَحَضَ . دَحَضَ الحجة : ابطلها . اندحض البرهان : بطل وزال .
(٥) ط . عن مستقر له .
(٦) ن . كالكسر .

بعد قوته والمائل بعد استقامته .

٢٨٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾

[الكهف ـ الآية ٥٧]

وهذه استعارة لأن المراد بذكر اليد هٰهنا ما كسبه الانسان من العمل الذي يجر العقاب ويوجب النكال ومثله في القرآن كثير كقوله سبحانه ﴿ذلك بما قدمت أيديكم ﴾ [1] وقوله تعالى[2] ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾[3] وذلك على طريقة للعرب معروفة وهي أن يقولوا للجاني المعاقب هذا ما جنت يداك وهذا ما كسبت يداك . وان لم تكن جنايته عملاً بيد بل كانت قولاً بفم لأن الغالب على أفعال الفاعلين ان يفعلوها بايديهم فحمل الأمر على الأعرف وخرّج على الاكثر وعلى هذا المعنى تسمى النعمة يداً لأن المنعم في الأغلب يعطي بيديه ما ينعم به وان لم يقع ذلك في كل حال . فإنما الحكم للأظهر والقول على الاكثر .

٢٨٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾

[الكهف ـ الآية ٧٧]

وهذه استعارة لأن الارادة على حقيقتها لا تصح على الجماد والمعنى يكاد ان ينقض أي يقارب أن ينقض على[4] التشبيه بحال من يريد أن يفعل في المباني لانه لما ظهرت فيه امارات الانقضاض من ميل بعد انتصاب واضطراب بعد ثبات حسن ان يطلق عليه إرادة الوقوع على طريق الاتساع ويرد في كلامهم كاد بمعنى اراد وأراد بمعنى كاد وجاء في القرآن قوله سبحانه ﴿ كذلك

(١) لم يرد ذكر لهذه الآية في (ط)

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٢ . وسورة الأنفال الآية ٥١ .

(٣) سورة الشورى الآية ٣٠ .

(٤) ن . أي تقارب أن يفعل في الثاني (كذا)

كدنا ليوسف ﴾[1] أي اردنا ليوسف .وقوله تعالى ﴿ ان الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾[2] معناه على احد الاقوال اريد اخفيها ومما ورد في اشعارهم شاهداً على ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

كادت وكدت وتلك خير ارادة ‏ ‏ ‏ ‏ لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

فقال وتلك خير ارادة والاشارة الى كادت وكدت واوضح من هذا قول الأفوه الأودي :

فإن تجمع اوتاد واعمدة ‏ ‏ ‏ ‏ وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

اي الأمر الذي أرادو . فأما قول الشاعر :

يريد الرمح صدر أبي براء ‏ ‏ ‏ ‏ ويرغب عن دماء بني عقيل

فليس يصح حمله على مقاربة الفعل كما قلنا في قوله تعالى ﴿ جداراً يريد أن ينقض ﴾ لانه لا يستقيم في[3] الكلام ان يقول يكاد الرمح صدر أبي براء وإنما ذلك على سبيل الاستعارة لأن صاحب الرمح اذا اراد ذلك كان الرمح كأنه مريد له فاما قول الراعي يصف الابل :

في مهمه قلقت به هاماتها ‏ ‏ ‏ ‏ قلق الفؤوس إذا اردن نصولا

فإنه[4] بمعنى مقاربة الفعل لأن الفؤوس إذا قلقت في نُصُبها قاربت أن تسقط فجعل ذلك كالارادة منها والنصول هٰهنا[5] مصدر نصل نصولاً مثل وقع وقوعاً وهذا البيت من أقوى الشواهد على الآية .

(١) سورة يوسف الآية ٧٦ .

(٢) سورة طه الآية ١٥ .

(٣) ط . لا تستقيم على الكلام .

(٤) ن . فليس يصح حمله على مقاربة الفعل .

(٥) ن . خلت من (ههنا)

٢٨٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾

[الكهف ـ الآية ٩٩]

وهذه استعارة لأن أصل الموجان من صفات الماء الكثير وإنما عبر سبحانه بذلك عن شدة اختلاطهم[١] ودخول بعضهم في بعض لكثرة اعدادهم تشبيهاً بموج البحر المتلاطم والتفاف الدبا المتعاظل[٢] .

٢٨٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾

[الكهف ـ الآية ١٠١]

وهذه استعارة وليس المراد ان عيونهم على الحقيقة كانت في غطاء يسترها[٣] وحجاز يحجزها وإنما المعنى انهم كانوا ينظرون فلا يعتبرون أو تعرض لهم العبر فلا ينظرون ومن الدليل على ذلك قوله تعالى ﴿عن ذكري﴾ لأن الأعين لا توصف بأنها في غطاء عن ذكر الله تعالى لأن ذلك من صفات[٤] ذوي العيون وإنما المراد أن أعينهم كانت تذهب صفحاً عن مواقع العبر فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها فيذكرون الله سبحانه عند إجالة[٥] افكارهم وتصريف خواطرهم وهذا من غرائب القرآن وعجائبه[٦] وغوامض هذا الكلام ومناسبه[٧] .

٢٩٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾

[الكهف ـ الآية ١٠٤]

(١) ط . اختلافهم .
(٢) من عظَل : ركب بعضهم بعض . تعاظل القوم عليه : أي تراكبوا عليه ليضربوه .
(٣) ن . يستّر بها وحجاب يحجبها .
(٤) ن . من صفات القلوب لا من صفات العيون .
(٥) ن . أحاطه .
(٦) ن . خلت من (عجائبه)
(٧) ن . خلت من (مناسبه) .

وهذه استعارة وأصل الضلال ذهاب القاصد عن سنن[١] الطريق فكأن سعيهم لما كان في غير الطريق المؤدية إلى رضا الله تعالى حسن أن يوصف بالضلال والعدول عن سنن الرشاد .

٢٩١ ـ وقوله سبحانه: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾

[الكهف ـ الآية ١٠٥]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله سبحانه ﴿بآيات ربهم ولقائه﴾ وتأويل[٢] لقائه ههنا على وجهين أحدهما أن يكون فيه مضاف محذوف فكأنه تعالى قال ولقاء ثوابه وعقابه أو جنته وناره والوجه الآخر أن يكون معنى ذلك رجوعهم إلى دار لا أمر فيها لغير الله تعالى فيصيرون اليها من غير أن يكون لهم عنها محيص[٣] او دونها محيد وذلك مأخوذ من مقابلتك الشيء من غير أن تصرف عنه وجهك يميناً ولا شمالاً يقول القائل لقيت فلاناً أي قابلته بجملتي وتقول داري تلقاء دار[٤] فلان أي مقابلتها فكانت كل واحدة منها كالمقبلة على الأخرى فلما كان لا أحد يوم القيامة يستطيع انصرافاً عن الوجهة التي أمر الله سبحانه بجمع الناس اليها وحشرهم نحوها سمي ذلك لقاء الله على السعة والمجاز والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ والمراد بذلك والله أعلم انا لم[٥] نجد اعمالاً صالحة تثقل بها موازينهم يوم القيامة والميزان إذا كان ثقيلا سمي مستقيماً وقائماً وإذا كان خفيفاً سمي عائلاً[٦] ومائلاً وقد يجوز أن يكون معنى ذلك انهم لا اعتداد بهم ولا نباهة

(١) ط . سن .
(٢) ن . خلت من (وتأويل لقائه)
(٣) من مَحَصَ : مَحَصَ الشيء : خلصه من كل عيب . يقال : « محص الله عن فلان ذنوبه » أي نقصها وطهره منها أمحص من المرض . برىء .
(٤) ن . كما في تلقاء فلان .
(٥) ط . لا نجد .
(٦) ط . عادلاً .

لذكرهم[1] يوم القيامة كما يقال في التحقير للشيء هذا لا وزن[2] له ولا قيمة له وكما تقول[3] فلان عندي بالميزان الراجح إذا كان كريماً عليك وحبيباً اليك .

---

(١) ط . في يوم القيامة .

(٢) ط . ولا وزن .

(٣) . يقال .

سورة مريم

ومن السورة التي يذكر فيها مريم عليها السلام

٢٩٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً ﴾

[مريم ـ الآية ٤]

وهذه من الاستعارات[1] العجيبة والمراد بذلك العبارة عن تكاثر الشيب في الرأس حتى يقمر[2] بياضه وينصل سواده وفي هذا الكلام دليل على سرعة تضاعف الشيب وتزايده[3] وتلاحق مدده حتى يصير في الاسراع كاشتعال لهب[4] النار فيعجز مطفيه ويغلب متلافيه .

٢٩٣ وقوله تعالى ﴿ فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ [مريم ـ الآية ٢٣]

وهذه استعارة والمعنى فجاء بها المخاض أو ألجأها المخاض إلى جذع النخلة لتجعله سناداً لها وعماداً[5] لظهرها وهي التي لجأت إلى النخلة ولكن

---

(١) . وهذه استعارة عجيبة .

(٢) ن . تقهر كذا .

(٣) ط . ونزيده .

(٤) ط . خلت من (لهب) .

(٥) ط . أو عماداً .

ضرب المخاض لما كان سبباً لذلك حسن أن ينسب الفعل اليه في الجائها والمجيء بها .

٢٩٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم ـ الآية ٥٠]

وهذه استعارة والمراد بذكر اللسان ههنا والله أعلم الثناء الجميل الباقي في أعقابهم والخالف في آثارهم والعرب تقول جاءني لسان فلان تريد مدحه أو ذمه فلما كان مصدر المدح والذم عن اللسان عبروا عنهما باسم[١] اللسان وانما قال سبحانه ﴿لسان صدق﴾ اضافة اللسان إلى افضل حالاته واشرف متعرفاته لأن افضل أحوال اللسان ان يخبر صدقاً أو يقول حقاً .

(١) ن . عبروا عنها أسم اللسان .

سورة طه

ومن السورة التي يذكر فيها موسى عليه السلام

٢٩٥ ـ قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه ـ الآية ١٥]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو ما سمعته من شيخنا ابي الفتح النحوي عفا الله عنه قال الذي عليه حُذّاق[١] اصحابنا ان اكاد ههنا على بابها من معنى المقاربة إلا أن قوله تعالى ﴿أُخفيها﴾ يؤول إلى معنى الاظهار لأن المراد به اكاد اسلبها خفاءها والخفاء الغشاء والغطاء مأخوذ من خفاء القربة وهو[٢] الغشاء الذي يكون[٣] عليها فاذا سُلبَ عن الساعة غطاؤها المانع من تجليها ظهرت للناس فرأوها فكأنه تعالى قال اكاد أظهرها قال لي وانشدني ابو علي منذ أيام بيتاً هو من انطق الشواهد على الغرض الذي رمينا اليه[٤] وكان سماعي ذلك من أبي الفتح رحمه الله وابو علي النحوي الفارسي معنا في الزمان حينئذ باقٍ لم يمت والبيت وهو قول الشاعر :

لقد علم الايقاظ أخفية الكرى تزججها من حالك واكتحالها

ومعناه لقد علم الايقاظ عيوناً فجعل العين للنوم في انها مشتملة عليه

(١) من حذق : فمن كان ماهراً فهو حاذق . الحذاقي : الفصيح اللسان .
(٢) ن . وهي .
(٣) ن . يلف عليها .
(٤) ط . خلت من (اليه) .

كالخفاء للقرينة في انه مشتمل عليها وقول الشاعر أخفية الكرى من الاستعارات العجيبة والبدائع الغريبة وقوله تزججها من حالك واكتحالها يعود على[1] العيون كأنه قال تزجج العيون واكتحالها من سواد الليل وهذا لا يكون إلا مع السهر وامتناع النوم لأن العيون حينئذ بانفتاحها تكون كالمباشرة لسواد الظلماء فيكون كالكحل لها والتزجج اسوداد العينين[2] من الكحل يقال زججت المرأة عينيها وحاجبيها إذا سودتها بالاثمد[3] وقال[4] بعضهم وهو الأصح زججت المرأة حاجبيها إذا نتبت[5] ما حولها من الشعر وقومتها وهذا البيت انشدنيه ابو الفتح النحوي عن أبي علي الفارسي على قوله تزججها من حالك واكتحالها وكذا ذكره ابو علي أيضاً في بعض كتبه ومر بي البيت بعد ذلك في قصيدة للكميت ابن زيد طويلة فوجدته يدل على انه في صفة الحرب لانه يقول بعقب أبيات في هذا المعنى منها قوله :

محلقة الاصداغ شمطاء كشّفت   عن الذعر المعود[6] منها فصالها

يريد بقوله فصالها ما كانت منفصلة فيه من ثباتها أي متبدلة ثم قال بعده :

وقد علم الايقاظ أخفية الكرى   تزججها من آنف واكتحالها

والمراد قد علم المستيقظون العالمون تزجج هذه الحرب واكتحالها من آنف أي من قريب ويقول القائل اتيته آنفاً من أنف كأنه جعل الحرب بمنزلة المرأة التي تتصنع لبعلها وتتهيأ لاستهباب فحلها اراد أن الحرب قد اخذت أهبتها ليحذر القوم منها ويعدوا لها عدتها وعلى التأويل الآخر يبعد الكلام

---

(١) ن . لم ترد فيها (يعود على العيون كأنه قال تزجج العيون) .

(٢) ن . أسوداد العين .

(٣) الأثمِد والأثمُدُ : حجرٌ يكتحل به يعرفه علماء الكيمياء باسم انتيموان .

(٤) ط . لم يرد فيها قوله : « وقال بعضهم الى قوله وعلى التأويل الآخر » .

(٥) كذا في النسخة ولعل الأصل نتفت . ونتب : كنهد : (الصحاح للجوهري) .

(٦) كذا في النسخة ولعل الأصل المعهود .

عن طريق الاستعارة وهو أن يكون أكاد ههنا بمعنى أريد كما قلنا فيما مضى ومن الشواهد على ذلك قول الشاعر :

أمنخرمٌ شعبان لم نقض حاجة   من الحاج كنا في الأصمّ نكيدها

أي كنا نريدها في رجب ويكون أخفيها[1] على موضوعه من غير ان يعكس عن وجهه ويكون المعنى ان الساعة آتية أريد أستر وقت مجيئها لما في ذلك من المصلحة لأنه اذا كان المراد بإقامتها المجازات على الافعال والمؤاخذة بالأعمال كانت الحكمة في اخفاء وقتها ليكون الخلق في كل حين وزمان على حذر من فجأتها ووجل من بغتتها فيستعدوا قبل حلولها ويمهدوا قبل نزولها ويقوي ذلك قوله تعالى : ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾

٢٩٦ وقوله سبحانه ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾
[طه ـ الآية ٢١]

وهذه استعارة لأن المراد بالسيرة ههنا الطريقة والعادة وأصل السيرة مضي الانسان في تدبير بعض الأمور على طريقة حسنة او قبيحة يقال سار[2] فلان الأمير فينا سيرة جميلة وسار بنا سيرةً قبيحة ولكن موسى عليه السلام لما كان يصرف عصاه قبل أن تقلب حية في اشياء من مصالحة كما حكى الله تعالى عنه بقوله ﴿ هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ ثم[3] قلبت حيَّة جاز ان يقول تعالى ﴿ سنعيدها سيرَتها الأولى ﴾ أي الى الحال التي كنت تصرفها معها في المصالح المذكورة لأن تصرفها في تلك الوجوه كالسيرة والطريقة المعروفة منها والمراد سنعيدها الى سيرتها الأولى فانتصبت السيرة باسقاط الجار .

٢٩٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾
[طه ـ الآية ٢٢]

---

(١) ن . لم ترد فيها جملة (ويكون اخفيها على موضوعه من غير أن يعكس عن وجهه) .

(٢) ن . قد سار الأمة كذا .

(٣) يظهر ان (لما) سقطت من النسق .

وهـذه استعارة والمراد بها والله اعلم وادخـل يدك في قميصـك مما يـلي(١) إحـدى جهتي يديـك وسميت تلك الجهتان جنـاحين لأنهما في مـوضع الجنـاحين من الطائر ويـوضح عن مـا ذكرنـاه في مكان آخـر قولـه تعالى ﴿وأدخل يدك في جَيْبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾(٢) والجيب في جهة إحدى اليدين .

٢٩٨ وقوله سبحانه : ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَـوْلِي ﴾

[طه ـ الآيتان ٢٧ ـ ٢٨]

وهـذه استعارة والمراد بها إزالـة لقفٍ كان في لسـانه فعبِّر عنه بـالعقدة . وعبَّر عن مسألة إزالته بحل العقدة مـلاءمة بـين النظام ومناسبة بـين الكلام . وقـد يجوز ايضـاً ان يكون المـراد بذلـك إزالة التقيـة عن لسانـه وكفايته سـطوة فرعون واعوانه حتى يؤدي عن الله تعـالى آمناً ويقـول متمكناً فـلا يكون معقـود اللسان بالتقيـة ولا معكوم الفم بـالخوف والمراقبة وذلـك كقول القـائل « لسـان فلان معقود » إذا كان خائفاً من الكلام « ولسان فلان منـطلق » إذا كان مقـداماً على المقال .

٢٩٩ ـ وقوله سبحـانه : ﴿ وَأَلقيْتُ عَلَيْـكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصنَـعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾

[طه ـ الآية ٣٩]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قولـه تعالى ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ وليس المراد أن هناك شيئاً القي(٣) عليـه في الحقيقـة ولكن المعنى إنني جعلتـك بحيث لا يـراك أحد إلا أحبـك ومال قلبـه نحـو حتى أحبك فـرعـون وامـرأتـه فتبنياك وربَّياك واسترضعا لـك(٤) وكفلاك وهـذا كقول القائل على وجه فـلان قبول » وليس هناك على الحقيقة شيء يـومىء اليه إلا أن كـل نـاظر ينـظر اليه

---

(١) ن . مما بدى احدى .

(٢) سورة النمل الآية ١٢ .

(٣) ط . يلقي عليه .

(٤) ن . واستر صفاك .

والى(١) وجهه يقبله قلبه ويشربه نفسه . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ولتصنع على عيني﴾ والمراد بذلك والله اعلم أن(٢) تتربى بحيث أرعاك وأراك وليس(٣) هناك شيء يغيب عن رؤية الله سبحانه ولكن هذا الكلام يفيد الاختصاص بشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة(٤) ولما كان الحافظ للشيء في الأغلب يديم مراعاته بعينه جاء تعالى باسم العين بدلاً من ذكر الحفظ والحراسة على طريقة المجاز والاستعارة ويقول العربيُّ لغيره « أنت مني بمرأى ومسمع » يريد بذلك أنه متوفر عليه برعايته ومنصرف اليه بمراعاته وقد(٥) يجوز أيضاً أن يكون المراد بذكر العين ههنا(٦) بمكانه فقال ولتصنع وأنا عالم بما يفعل بك وكذلك قوله تعالى ﴿ تجري بأعيننا ﴾(٧) أي تجري ونحن عالمون بجريها غير خافٍ علينا شيء من تصرّفها وحسن أن تقوم العين مقام العلم لما كانت العين طريق العلم وقال تعالى ﴿ بأعيننا ﴾ ولم يقل « بعيننا » لما خاطب الجميع على طريق التفخيم والتعظيم .

٣٠٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه ـ الآية ٨١]

وهذه استعارة والمراد بها اصطفيتك لتبلغ(٨) رسالتي وتتعرف على إرادتي ومحبتي وقال بعضهم معنى لنفسي ههنا أي لمحبتي وإنما جاز أن يوقع النفس موقع المحبة لأن المحبة أخص شيء بالنفس فحسن أن تسمى بالنفس وقد(٩)

---

(١) ط . خلت من (وال وجهه) .

(٢) ن . أي لتربي .

(٣) ط . وليس أن ههنا .

(٤) من كلا : « كلا الله فلان » حرسه وحفظه . رعاه : يقال : « رجل كلوء العين » أي ساهرها لا يغلبها النوم .

(٥) ط . خلت من قوله : (وقد يجوز أيضاً ان يكون) الى آخر الكلام عن هذه الآية .

(٦) كذا في النسخة ولعل كلمة (علمه) سها عنها قلم الناسخ .

(٧) القمر ، الآية ٥٤ .

(٨) ن . لتبليغ .

(٩) ط . فقد .

يجوز أن يكون ذلك على معنى القائل « اتخذت هذا الغلام لنفسي » أي جعلته خاصاً لخدمتي لا يشاركني في استخدامه أحد غيري وسواء قال اتخذته لي أو اتخذته لنفسي في فائدة الاختصاص ليس أن هناك شيئاً يتعلق بالنفس على الحقيقة .

٣٠١ ـ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

[طه ـ الآية ٥٠]

وهذه استعارة على أحد التأويلين والمراد بها والله اعلم أنه اكمل لكل شيء صورته واتقن خلقته وهذا يعمُّ كل مصوَّر من حيوان وجماد وغير ذلك فلا معنى لحمل من حمله على الحيوان فقط وعندي في ذلك وجه آخر وإن كان الكلام يخرج به من باب الاستعارة وهو ان يكون في الكلام تقديم وتأخير فكأنه تعالى قال « ربنا الذي اعطى خلقه كل شيء ثم هداهم إلى مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم ومساكنهم » وغير ذلك من مصالحهم ويكون ذلك نظير قوله تعالى ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ (١) ويكون المراد إنه سبحانه أعطى خلقه في أول خلقهم كل ما تزاح به عللهم وتتكامل معه خلقتهم من سلامة الأعضاء واعتدال الأجزاء وترتيب المشاعر والحواس ومواقع الاسماع والابصار ثم هداهم من بعد لمصالحهم ودلّهم على مناهجهم(٢) واجراهم في مضمار التكليف إلى غاياتهم .

٣٠٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً ﴾ [طه ـ الآية ٥٣]

وقد قرىء مهاداً وهذه استعارة والمراد بها تشبيه الأرض بالمهاد المفترش ليمكّن الاستقرار عليها والتقلب(٣) فيها وقد مضى نظير هذه الاستعارة فيما تقدم ومعنى المهاد والمهد واحد وهو مثل الفرش والفراش إلا أن المهد ربما

(١) ابراهيم الآية ٣٤،وقد وردت في الأصل خطأ « وآتاكم من كل شيء ما سألتموه »بزيادة كلمة شيء
(٢) ط . مناكحهم .
(٣) ن . والتمكن .

استعمل في اسم الآلة التي يجعل فيها الصبي الصغير فتحفظه(١) وهو يؤول إلى معنى الفراش والمهد أيضاً مصدر مهد يمهد مهداً إذا مكّن موضعاً لقدمه ومضجعاً لجنبه .

٣٠٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾

[طه ـ الآية ١١١]

وهذه استعارة والمراد بها ما يظهر في الوجوه يوم القيامة(٢) من آثار الضرع(٣) واعلام الجزع(٤) وذلك مأخوذ من تسميتهم الأسير العاني (٥) ومنه ما جاء في بعض الكلام النساء عوان عند أزواجهن أي اسراء في أيدي الازواج وعلى ذلك قول القائل هذه المرأة في حبال فلان لأنه بما عقده من نكاحها كالآسر لها والمالك(٦) لرقها فكأن الوجوه خضعت من خشية الله تعالى خضوع الأسير الذليل في يد الآسر العزيز .

(١) ط . لتحفظه .
(٢) ن . خلت من (القيامة)
(٣) من ضَرَع : ذل . الضراعة : الضعف . تضرع الى الله : ابتهل .
(٤) ن . الجوع .
(٥) العاني : من عنا عنواً صار اسيراً .
(٦) ط . والملك .

(سورة الأنبياء)

ومن السورة التي يذكر فيها الأنبياء عليهم السلام

٣٠٤ قوله سبحانه : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾

[الأنبياء ـ الآية ١١]

وحقيقة القصم كسر الشيء الصلب وجعل ههنا مستعاراً للعبارة عن إهلاك الجبارين من أهل القرى اصلب ما كانوا عيداناً وأمنع ما كانوا أركاناً .

٣٠٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ﴾

[الأنبياء ـ الآية ١٥]

وفي هذه الآية استعارتان لأنه سبحانه جعل القوم الذين أهلكهم بعذابه بمنزلة النبات المحصود الذي انيم بعد قيامه وأهمد بعد اشتطاطه واهتزازه . والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿خامدين﴾ والخمود من صفة(١) النار كما كان الحصيد من صفة(٢) النبات فكأنه سبحانه شبه همود أجسادهم بعد حراكها بخمود النار بعد اشتعالها وقد يجوز أيضاً والله أعلم أن يكون المراد تشبيههم بالنبات الذي حصد ثم أحرق فيكون ذلك ابلغ في صفتهم بالهلاك والبوار وانمحاء المعالم والآثار لاجتماع صفتي(٣) الحصد(٤) والاحراق وقال سبحانه

(١) ط . من صفات .
(٢) ط . ن صفات .
(٣) ن . صفة .
(٤) ن . الحصيد .

﴿ حصيداخامدين ﴾ يقل خامداًكما قال ﴿فظلت أعناقهم لهاخاضعين﴾(١) ولم يقل خاضعة لأنه سبحانه رد معنى خاضعين(٢) على اصحاب الاعناق لا على الاعناق فكذلك يجوز رد معنى خامدين على القوم الذين أهلكوا لا على النبات الذي به شبهوا وقيل معنى ﴿جعلناهم حصيداً﴾ أي سلطنا عليهم السيف فختليهم كما تختلي الزروع بالمنجل وقد جاء في الكلام جعله الله حصيد سيفك وأسير خوفك .

٣٠٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

[الأنبياء ـ الآية ١٨]

وهذه استعارة لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة التي يرجم بها كالحجارة وغيرها فجعل سبحانه إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرض ما صكه ويدمغ ما مسه ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وفي الاستعارة حقها وأعطاها واجبها فقال سبحانه ﴿فيدمغه﴾ ولم يقل فيذهبه ويبطله لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال على طريق الغلبة والاستعلاء فكأن الحقّ اصاب دماغ الباطل فأهلكه والدماغ مقتل ولذلك قال سبحانه من بعد ﴿ فإذا هو زاهق ﴾ والزاهق الهالك .

٣٠٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾

[الأنبياء ـ الآية ٣٠]

وهذه استعارة لأن الرتق هو سد خصاصة الشيء ويقال رتق فلان الفتق إذا سدّه(٣) ومنه قيل للمرأة رتقاء إذا كان ممر الذكر منها ملتحماً وأصل ذلك

(١) الشعراء الآية ٤ .
(٢) ن . رد معنى الخاضعين .
(٣) ن . اذا شده .

مأخوذ من قولهم رتق فتق الخباء والفسطاط وما يجري مجراهما إذا خاطه فكان السموات والأرض كانتا كالشيء المخيط الملتصق بعضه ببعض ففتقهما سبحانه بأن صدع ما بينهما بالهواء الرقيق والجو الفسيح . وروي عن امير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام انه قال معنى ذلك(١) أن السماء كانت لا تمطر والأرض لا تنبت ففتق الله السماء بالأمطار والأرض بالنبات .

٣٠٨ وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء ـ الآية ٣٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة السقف ما اظل الانسان من علوّ بيت أو خباء أو ما يجري مجرى ذلك فلما كانت السماء تظلّ من تحتها وتعلو على ارضها حسن ان تسمى سقفاً لذلك ومعنى محفوظاً أي يحفظ مما لا يمكن أن يحفظ منه(٢) سائر السقوف من الانفراج والانهدام والتشعث(٣) والاسترمام وقد قيل معنى ذلك حفظ السماء من مسارق السمع وتحصينها(٤) بمقاذف الشهب .

٣٠٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾
[الأنبياء ـ الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن أصل السبح هو التقلب والانتشار في الأرض ومنه السباحة في الماء ولا يكون ذلك إلا من حيوان متصرف ولكن الله تعالى لما جعل الليل والنهار والشمس والقمر مسخرة للتقلب في هذا الفلك الدائر والصفيح(٥) السائر تتعاقب فيه وتتغاير وتتقارب وتتباعد حسن ان يعبر عنها بما

(١) ط . معنى ان السموات .
(٢) ط . من مثله .
(٣) ن . والسعب . كذا .
(٤) ن . وتخصيصها .
(٥) ن . والصبح .

يعبر به عن الحيوان المتصرف وزيدت على ذلك شيئاً فعبر عنها بالعبارة عن الحيوان المميز فقيل يسبحون ولم يقل يسبح لأنها في الجري على الترتيب المتقن والتقدير المحكم أقوى تصرفاً من الحيوان غير المميز ولأن الله تعالى أضاف اليها الفعل على تدبير من يعقل فحسن أن يعبر عنها بالعبارة عمن يعقل مثل قوله سبحانه ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾(١) ومثل قوله تعالى ﴿ قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾(٢) فقال ادخلوا ولم يقل ادخلن(٣) لأن خطابها لما خرج على مخرج خطاب من يعقل كان الأمر لها على مثال(٤) أمر من يعقل وقد مضى الكلام على ذلك فيما تقدم .

٣١٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء ـ الآية ٣٧]

وهذه استعارة والمراد ان الانسان خلق مستعجلاً بطلب ما يؤثره واستصرف ما يحذره والله تعالى إنما يعطيه ما طلب ويصرف عنه ما رهب على حسب ما يعلم من مصالحه لا على حسب ما يسنح من مآربه .

وقيل ذلك على طريق المبالغة في وصف الانسان بالعجلة كما يقال في الرجل الذكي إنما هو نار تتوقد والانسان البليد إنما هو حجر جلمد(٥) فأما من قال من اصحاب التفسير ان العجل هنا اسم من اسماء الطين واورد عليه شاهداً من الشعر فلا اعتبار بقوله ولا التفات إلى شاهده فإنه شعر مولّد وقول فاسد .

٣١١ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾
[الأنبياء ـ الآية ٤٦]

(١) سورة يوسف الآية ٤
(٢) سورة النمل الآية ١٨ .
(٣) ن . ادخلي .
(٤) ن . على مثل .
(٥) من جلمد : الصخر . يقال : « رجل جلمد » أي شديد صلب .

ولفظ النفحة هٰهنا مستعار والمراد بها إصابة الشيء اليسير من العذاب يقال نفح فلان فلاناً بيده ونفح الفرس فلاناً بحافره اذا اصابه إصابة خفيفة ولم يبلغ في إيلامه الغاية فكأن النفحة هٰهنا قدر يسير من العذاب يدلّ واقعه على عظيم متوقعه وشاهده على فظيع غائبه .

٣١٢ ـ وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾

[الأنبياء ـ الآية ٦٥]

وهذه استعارة والمراد بها وصف ما لحقهم من الخضوع والاستكانة والاطراق عند لزوم الحجة فكأنهم شبهوا بالمتردي على رأسه تدويخاً بنصوع(١) البيان وابلاساً عند وضوح البرهان .

٣١ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾

[الأنبياء ـ الآية ٧٤]

ولفظ القرية هٰهنا مستعار والمراد به الجماعة التي كانت تعمل الخبائث من أهل القرية وكشف سبحانه عن ذلك بقوله ﴿ إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ وفي هذا الكلام خفي(٢) عجيب لأنه تعالى جعل(٣) لفظ أهل القرية مؤنثاً إذ كانت مؤنثة فقال : ﴿ التي كانت تعمل الخبائث ﴾ وجعل بقية الكلام مذكراً فقال : ﴿ إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ . لأن المراد به مذكر فصار الكلام في الآية على قسمين : قسم عائد على اللفظ وقسم عائد على المعنى وهذا من عجائب القرآن .

٣١٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾

[الأنبياء ـ الآية ٧٩]

(١) ن . بتصرع .
(٢) ط . خبر ولعل الأصل سر خفي عجيب .
(٣)

وقد مضى من الكلام في الرعد على قوله تعالى ﴿ ويُسبح الرعد بحمده ﴾ ما هو بعينه تأويل تسبيح الجبال هٰهنا وقد قيل في ذلك وجه آخر يخرج به الكلام(١) عن حد الاستعارة وهو ان يكون قوله تعالى ﴿ يسبحن ﴾ ههنا مأخوذاً من السبح(٢) وهو الابعاد في السير والتصرف في الأرض لا من التسبيح(٣) فكأنه قال وسخرنا مع داود الجبال يسرن في الأرض معه ويتصرفن على أمره طاعة له ونظير ذلك قوله تعالى في سبأ ﴿ يا جبال أوّبي معه والطير ﴾(٤) أي سيري معه والتأويب السير وإنما قال سبحانه ﴿ يسبحن ﴾ عبارة عنها بتكثير الفعل من السبح وقال تعالى : ﴿ إن لك في النهار سبحاً طويلاً ﴾(٥) أي تصرفاً ومتسعاً ومجالاً ومنفسحا .

٣١٥ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾

[الأنبياء ـ الآية ٩١]

وهذه استعارة والمراد هٰهنا بالروح اجراء روح المسيح عليه السلام في مريم عليها السلام كما يجري الهواء بالنفخ لأنه حصل معها من غير علوق من ذكر ولا انتقال من طبق إلى طبق فأضاف تعالى الروح الى نفسه لمزية الاختصاص بالتعظيم والاصطفاء التكريم إذ كان خلقه المسيح عليه السلام من غير توسط مناكحة ولا تقدم ملامسة .

٣١٦ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾

[الأنبياء ـ الآية ٩٣]

وهذه استعارة والمراد بها أنهم تفرقوا في الاهواء واختلفوا في الآراء وتقسمتهم المذاهب وتشعبت بهم الولائج ومع ذلك فجميعهم راجع إلى الله

(١) ط . من بدل عن
(٢) ط . من التسبيح .
(٣) ط . من التسبيح كذا .
(٤) سورة سبأ الآية ١٠ .
(٥) سورة المزمل الآية ٧ .

تعالى على احد وجهين اما ان يكون ذلك رجوعاً في الدنيا فيكون المعنى انهم وان(١) اختلفوا في الاعتقادات صائرون الى الاقرار بأن الله خالقهم ورازقهم ومصرفهم ومدبرهم أو يكون ذلك رجوعاً في الآخرة فيكون المعنى انهم راجعون إلى الدار التي جعلها الله مكان الجزاء على الأعمال وموقَ(٢) الثوابَ والعقاب وإلى حيث لا يحكم فيهم ولا يملك أمرهم إلا الله تعالى وشبَّه تخالفهم في المذاهب وتفرقهم في الطرائق مع أن أصلهم واحد وخالقهم واحد بقوم كانت بينهم وصائل(٣) متناسجة وخلائق متشابكة(٤) ثم تباعدوا تباعداً قطع تلك العلائق وشذب(٥) تلك الوصايل فصاروا اخيافاً(٦) متفرقين واوزاعاً مختلفين .

٣١٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾

[الأنبياء ـ الآية ٩٨]

وهذه استعارة لأن الحصب هو ما يرمى به من الحصباء وهي الحصى الصغار يقال حصب فلان فلاناً اذا قذفه بالحصباء ويقولون حصبنا الجمار أي قذفنا فيها بالحصيات فشبه سبحانه قذفهم في نار جهنم بالحصباء التي يرمى بها من ذل مقاذفهم وهوان مطارحهم وفي ذلك أيضاً معنى لطيف وهو انه سبحانه لما قال ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم** ﴾ . والمراد هٰهنا والله أعلم أنَّ ما تعبدونه الأصنام والأغلب عليها ان تكون من الحجارة فحسن أن يسمى الرمي بها في نار جهنم حصباً وتسميتها حَصَباً إذ كانت حجارة ومن

(١) ن . خلت من حرف الشرط

(٢) ن . ويومي .

(٣) ن . وحبايل .

(٤) ن . متاركة .

(٥) ن . وسدم . من شَذَبَ : الشيء : قطعه وفرّقه .

(٦) من خيف : والأخياف : المختلفون .

وهذه استعارة والمراد بها الن كنفك لهم ودم على لطفك بهم وجعل تعالى خفض الجناح ههنا في مقابلة قول العرب إذا وصفوا الرجل بالحدة عند الغضب قد طار طيره وهفا حلمه وقد طاش وقاره فإذا قيل قد خفض جناحه فإنما المراد به وصف الانسان بلين(١) الكنف والكظم عند الغضب وذلك ضد(٢) وصفه بطيرة المغضب ونزوة المتوثب .

٢٤٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ** ﴾

[الحجر ـ الآية ٩١]

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون المعنى أنهم جعلوا القرآن أقساماً مجزأة كالأعضاء المعضاة فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل جعلوه أقساماً بأن قالوا هو(٣) سحر وكهانة وكذب وإحالة وأما التأويل الاخر في معنى عضين فيخرج(٤) بهذه اللفظة عن أن تكون مستعارة وذلك أن يكون معناها على ما قاله بعض المفسرين معنى الكذب قال وهو جمع عضة كما كان في القول الأول إلا أن العضة ههنا معناها الكذب والزور وفي القول الاول معناها التجزئة والتقسيم.وقد ذكر ثقات أهل اللغة في العضة وجوهاً فقالوا العضة النميمة والعضة الكذب وجمعه عضون مثل(٥) عزة وعزين والعضة السحر والعاضة الساحر وقد يجوز أن يكون جعلوا القرآن عضين جمع عضة من السحر أي جعلوه سحراً وكهانة(٦) كما قال سبحانه حاكياً عنهم ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾(٧) ﴿ **إن هذا إلا سحر مبين** ﴾(٨)

(١) بأن الكنف .

(٢) ن . ضد صفة نظيره .

(٣) ن . لم ترد فيها (هو)

(٤) ط . يخرج بهذا اللفظ عن أن يكون مستعاراً .

(٥) ن . خلت من (مثل) .

(٦) ن . كناية .

(٧) المدثر ، الآية ٢٤ .

(٨) المائدة الآية ١١٠ ـ والانعام، الآية ٧ . وهود ، الآية ٧ وسبأ الآية ٤٣ . والصافات ، الآية ١٥ .

٢٤٤ ـ وقولـه تعـالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾

[الحجر ـ الآية ٩٤]

وهـذه استعـارة لان الصـدع عـلى الحقيقـة إنمـا يصـح في الأجسـام لا في الخطاب والكلام والفرق والصدع والفصـل في كلامهم بمعنى واحـد ومن ذلك قـولهم للمصيب في كلامـه قد طبق المفصـل ويقولـون فلان يفصـل الخطاب أي يصيب حقـائقه ويـوضح غـوامضه فكـأن المعنى في قولـه سبحـانـه ﴿ فـاصدع بمـا تؤمر ﴾ أي اظهر القـول وبينه في الفـرق بين الحق والبـاطل من قـولهم[1] صدع الرداء إذا شقه شقاً بيناً ظاهراً ومن ذلـك صدع الـزجاجـة اذا استطار بهـا الشق واستبان[2] الكسر وإنما قال سبحانه ﴿ فـاصدع بما تؤمر ﴾ ولم يقل « فبلغ ما تؤمر » لأن الصـدع ههنا أعم ظهـوراً وأشد تـأثيراً وقـد يجوز أيضـاً[3] أن يكـون المراد بذلك والله أعلم أي بالغ في اظهـار امرك والـدعاء الى ربـك حتى يكون الـدين في وضـوح الصبح لا يشكـل نهجه ولا يـظلم فجه مـأخوذاً ذلـك من الصـديـع وهو الصبح[4] وإنما سمي بذلـك لبيانـه ووضوح اعـلانه[5] وقـد يجوز[6] أيضـاً ان يكون المراد بقوله ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ مـأخوذ من المصـدع وهو واحـد النبال لأنـه ينفـذ في الـرمـايـا والجمـع مصـادع مثـل مشقص ومشـاقص وهي السهـام العراض الرؤوس أي كن في أمر الله سهماً وامض في طاعته قُدماً .

(١) ن . من قوله .

(٢) ن . بان .

(٣) ن لم ترد فيها أيضاً .

(٤) ط . خلت من (وهو الصبح وانما سمي بذلك) .

(٥) ن . أعلامه .

(٦) ط . خلت من قوله وقد يجوز الى آخر المبحث .

جنس الحصباء وجاز أن يسمى قـذف العابـدين لها في النـار أيضاً بـذلك حملاً على حكمها وادخـالاً في جملتها والفـائدة في قـذف الأصنام مـع عابـديها في نـار جهنم أن تكـون من زيـادات عـذابهم ورجحـان عقـابهم لأنهم إذا كثـرت مشاهدتهم لها في أهوال العذاب كان ذلك اعظم لحسـرتهم على عبادتها ونـدمهم على الدعاء اليها وقد قيل أيضاً انها إذا حميت بوقـود النار نعـوذ بالله منها لصقت بأجسادهم فكانت من أقوى أسباب الايلام لهم وعـلى هذا التـأويل حمـل جماعـة من المفسـرين قولـه تعالى : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[1] .

٣١٨ ـ وقـولـه سبحـانـه : ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ ﴾

[الأنبياء ـ الآية ١٠٤]

وهـذه استعارة والمراد بها عـلى أحد القـولين ابـطال السماء ونقض بنيتهـا واعدام جملتها من قولهم طوى الـدهر آل فـلان إذا اهلكهم وعفّى آثارهم وعـلى القـول الآخر يكـون الطي ههنـا عـلى حقيقتـه فيكـون المعنى أن عـرض السمـاء يـطوى حتى يجمع بعـد انتشاره ويتقـارب بعد تبـاعد اقـطاره فيصـير كـالسجـل المطوي وهو ما يكتب فيه من جلد أو قـرطاس أو ثـوب أو ما يجـري مجرى ذلـك والكتب ههنا مصدر كقـولهم كتب كتاباً وكتابـة وكتباً فيكـون المعنى يوم نـطوي السماء كطي السجـل ليكتب فيه فكـأنه تعالى قال كـطي السجل للكتـابـة لأن الأغلب في هذه الأشياء التي أومأنا اليها أن تطوى قبل ان تقع الكتابة فيها لأن الطي أبلغ في التمكن منها .

(١) سورة البقرة الآية ٢٤ .

(سورة الحج)

ومن السورة التي يذكر فيها الحج

٣١٩ - وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج - الآية ١]

وهذه استعارة لأن حقيقة الزلزلة هي حركة الأرض على الحال المفزعة ومثل ذلك قولهم زلزل الله قدمه وكان الأصل أزل الله قدمه بمعنى أزالها عن ثباتها واستقامتها واسرع تعثرها وتهافتها ثم ضوعف ذلك فقيل زلزل الله قدمه كما قيل دكه الله ودكدكه فالمراد بزلزلة الساعة والله اعلم رجفان القلوب من خوفها(١) واضطراب الأقدام من روعة موقعها ويشهد بذلك قوله سبحانه من بعد(٢) : ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ﴾ يريد تعالى من شدة الخوف والوجل والذهول والوهل(٣) .

٣٢٠ - وقوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج - الآية ٥]

وهذه استعارة لأن المراد هٰهنا باهتزاز الأرض والله اعلم تشبيهها(٤)

(١) ط . من خوف .
(٢) ط . خلت من الجار والمجرور .
(٣) ن . الوهول من وهل : ضعف فزع .
(٤) ن . تشبيهاً

بالحيوان الذي همد بعد حراكه وخشع(١) بعد تطالُله(٢) وإشرافه . لعلة طرأت عليه فأصارته إلى ذلك ثم أفاق(٣) من تلك الغمرة وصحا من تلك السكرة فتحرك بعد هموده واستهب بعد ركوده وكذلك حال الأرض إذا أماتها الجدب وأهمدها المحل ثم حالها إذا نضحها الغيث بسجاله وبلّها القطر ببلاله فاهتزت(٤) بالنبات فاخضرت ورطبت بعد الجفوف متربِّلة . ذلك تقدير العزيز العليم .

٣٢١ - وقوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج - الآية ٩]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم الصفة(٥) بالكبر والجبرية يقال قد جاء فلان ثاني عطفه وثاني جيده إذا جاء متكبراً متشاوساً وقال الشماخ :

نبّئت ان ربيعاً أن رعى إبلا ... يهدى إليّ خناه ثاني الجيد

أي شامخاً متكبراً وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك الصفة بالاعراض عن سماع الرشد وليّ العنق عن اتباع الحق لأن المستثقل(٦) لسماع الشيء الذي لا يلائمه في الاكثر يصرف دونه(٧) بصره ويثني عنه عنقه والعطف جانب القميص وبه سمي شق الانسان عطفاً(٨) لأن منه يكون ابتداء انعطافه وأول انحرافه ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾(٩) .

(١) ن . وخضع
(٢) ن . تطاوله .
(٣) ن . ثم أباق .
(٤) ن . وافرت .
(٥) ط . خلت من قوله بالكبر والجبرية الى قوله بالاعراض عن سماع .
(٦) ط . المستقبل .
(٧) ن . خلت من الجار والمجرور .
(٨) ن . عطفه .
(٩) الإسراء ، الآية ٨٣ . وفصلت الآية ٥١ .

٣٢٢ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾

[الحج ـ الآية ١١]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم صفة الانسان المضطرب الدين الضعيف اليقين الذي لم يثبت في الحق قدمه ولا استمرت عليه مريرته(١) فأوهن شبهة تعرض له ينقاد معها ويفارق دينه لها تشبيهاً بالقائم على طرف مهواة فأدنى عارض يزلقه واضعف دافع يطرحه .

٣٢٣ ـ وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾

[الحج ـ الآية ١٨]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم بسجود الشمس والقمر والنجوم والشجر وما ليس بحيوان مميز ما يظهر فيه من آثار الخضوع لله سبحانه وعلامات التدبير ودلائل التصريف والتسخير فحسن لذلك أن يسمى ساجداً على أصل السجود في اللغة لانه الخضوع والاستكانة أو يكون ذلك على معنى آخر وهو ان الذي يظهر في الأشياء التي عددها(٢) من دلائل الصنعة وأعلام القدرة يدعو العارفين الموقنين إلى السجود ويبعثهم على الخضوع اعترافاً له سبحانه بالاقتدار واخباتاً(٣) له بالاقرار وذلك كما تقدم من قولنا في تسبيح الطير والجبال .

٣٢٤ ـ وقوله سبحانه : ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾

[الحج ـ الآية ١٩]

---

(١) ن . مرمرته كذا .

(٢) ن . عددناها .

(٣) من خبت : اخبت القوم الى الله : اطمأنّ اليه تعالى وخشع امامه . الخبتة : الواضع .

وهذه استعارة والمراد بها أن النار نعوذ بالله منها تشتمل عليهم اشتمال الملابس على الأبدان حتى لا يسلم منها عضو من اعضائهم ولا يغيب عنها شيء من اسجادهم وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك والله اعلم ان سرابيل القطران التي ذكرها سبحانه فقال ﴿ سرابيلهم من قطران ﴾(١) إذا لبسوها واشتعلت النار فيها صارت كأنها ثياب من نار لاحاطتها بهم واشتمالها عليهم .

٣٢٥ ـ وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

[الحج ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأن المراد بها ذهول القلب عن التفكر في الأدلة التي تؤدي إلى العلم وذلك في مقابلة قوله تعالى ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾(٢) فإذا وصف القلب عند تبين الأشياء بالرؤية والابصار جاز أن يوصف عند الغفلة والذهول بالعمى والضلال . وإنما جعلت القلوب ههنا بمنزلة العيون لأن بالقلوب يوصل إلى المعلومات كما أن بالعيون يوصل إلى المرئيات ولأن الرؤية ترد في كلامهم بمعنى العلم الا تراهم يقولون هذا الشيء مني بمرأى ومسمع وأي بحيث أعرفه وأعلمه ولا يريدون بذلك نظر العين ولا سمع الاذن وفي قوله تعالى ﴿ فإنها لا تعمي الأبصار ﴾ معنى عجيب وسر لطيف وذلك انه تعالى لم يرد نفي العمى عن الأبصار جملة وكيف يكون ذلك وما يعرض من عمى كثير منها أشهر من أن يومأ اليه ويدل عليه وانما المراد والله اعلم أن الابصار اذا كانت معها آلة الرؤية من سلامة الاحداق واتصال الشعاعات لم يجز ألا ترى ما لا مانع لها من الرؤية . والقلوب بخلاف هذه الصفة لانه(٣) قد

---

(١) سورة ابراهيم الآية ٥٠ .

(٢) سورة النجم الآية ١١ .

(٣) ط . بها .

تكون فيها آلة التفكير والنظر من سلامة البنية وصحة(١) الرؤية وزوال الموانع العارضة ثم هي مع ذلك لاهية عن النظر ومتشاغلة عن التفكير فلذلك أفردها الله تعالى بصفة العمى عن الابصار على الوجه الذي بيناه(٢) فأما الفائدة في قوله تعالى ﴿ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ والقلب لا يكون إلا في الصدر فإن هذا الاسم الذي هو القلب لما كان فيه اشتراك بين مسميات كقلب الانسان وقلب النخلة والقلب الذي هو الصميم والصريح من قولهم هو عربي قلباً والقلب الذي هو مصدر قلبت الشيء اقلبه قلباً حسن ان يزال اللبس(٣) بقوله تعالى ﴿ القلوب التي في الصدور ﴾ . احترازاً من تجويز الاشتراك .

٣٢٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾

[الحج ـ الآية ٥٥]

وهذا من احسن الاستعارات لأن العقيم المرأة التي لا تلد فكأنه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنه(٤) لا ليل بعده ولا نهار لأن الزمان قد مضى والتكليف قد انقضى فجعلت الأيام بمنزلة الوالدات لليالي وجعل ذلك اليوم(٥) من بينها عقيماً لا ينتج ليلاً بعده ولا يستخلف بدلاً له وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد والله اعلم ان ذلك اليوم لا خير بعده لمستحقي العقاب(٦) الذين قال سبحانه في ذكرهم ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة ﴾ فوصفه(٧) بالعقم لأنه لا ينتج لهم خيراً ولا يتيح لهم فرجاً .

(١) ن . خلت من كلمتي وصحة الرؤية .

(٢) ط . وزيدت فيها (مع الفائدة) .

(٣) ن . أن يلتبس .

(٤) ن . خلت من لفظة (بأنه) .

(٥) ن . خلت من (اليوم)

(٦) ن . العذاب .

(٧) ن . يوصف بالعقيم .

٣٢٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾

[الحج ـ الآية ٧٢]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم ان الكفار عند مرور الآيات بأسماعهم يظهر في وجوههم من النكرة لسماعها والاعراض عن تأملها واستماعها(١) ما لا يخفى على المخالط لهم والناظر اليهم وذلك كقول(٢) القائل عرفت في وجه فلان الشر أي استدللت منه على اعتقاد المكروه وارادة فعل القبيح ويحتمل قوله تعالى المنكر ههنا وجهين(٣) احدهما ان يكون المنكر ما ينكره الغير من امرهم والآخر أن يكون ما ينكرونه من الهجوم عليهم بتلاوة القرآن صوادع(٤) البيان .

(١) ط . خلت من (واستماعها)

(٢) ط . لقول القائل .

(٣) ن . خلت من هذه الجملة (وجهين أحدهما أن يكون المنكر) .

(٤) من صَدَعَ الأمر : كشفه وبيّنه . مُصدِع بالحق : تكلم به جهاراً وذلك مأخوذ من الصديع وهو الصبح . وصدع الأمر بالحق : فصله .

سورة المؤمنون

ومن السورة التي يذكر فيها قد أفلح المؤمنون

٣٢٨ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾

[المؤمنون ـ الآية ١٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة السلالة هي أن تسل الشيء من الشيء فكأن آدم عليه السلام لما خلق من اديم الأرض كان كأنه انسل منها واستخرج من سرها وقد صار ذلك عبارة عن محض الشيء ومصاصه وصفوته ولبابه ليس ان هناك شيئاً استل من شيء على الحقيقة وقد تسمى النطفة سلالة على هذا المعنى ويسمى ولد الرجل سلالة أيضاً على مثل ذلك .

٣٢٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

[المؤمنون ـ الآية ١٧]

وهذه استعارة لأن المراد بالطرائق[١] ههنا السماوات السبع مشبهة[٢] بطرائق النعل وواحدتها طريقة وقد تجمع أيضاً على طراق وهي قطع الجلود يجعل بعضها فوق بعض وتنتظم بالخرز ويقال طارقت النعل من ذلك .

٣٣٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾

[المؤمنون ـ الآية ٢٧]

(١) ن . بالطريق هنا .
(٢) ن . مشتملة .

وهذه استعارة والقول فيها كالقول في ﴿ ولتصنع على عيني ﴾[١] على حد سواء فكأنه سبحانه قال « واصنع الفلك بحيث نرعاك ونحفظك ونمنع منك من يريدك أو يكون المعنى واصنع الفلك بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين فانا نمنعك بهم ونشدُّك بمعاضدتهم فلا يصل اليك من أراد ولا تبلغك مرامي من كادك .

٣٣١ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾

[المؤمنون ـ الآية ٤١]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم انه عاجلهم بالاستئصال والهلاك فطاحوا كما يطيح الغثاء إذا سال به السيل والغثاء ما حملته السيول في ممرها من اضغاث النبات وهشيم الاوراق وما يجري مجرى ذلك فكأن أولئك القوم هلكوا ولم يحس لهم أثر كما لا يحس اثر ما طاح به السيل من هذه الأشياء المذكورة والعرب يعبرون عن هلاك القوم بقولهم : قد سال بهم السيل . فيجوز أن يكون قوله سبحانه ﴿فجعلناهم غثاء﴾ كناية عن الهلاك كما كنّوا بقولهم سال بهم السيل عن الهلاك والمعنى فجعلناهم كالغثاء الطافح[٢] في سرعة انجفاله[٣] وهوان فقدانه .

٣٣٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

[المؤمنون ـ الآية ٦٢]

وهذه استعارة والنطق لا يوصف به إلا من يتكلم[٤] بآلة وسمعت قاضي القضاة أبا الحسن يجيب بذلك من سأله هل يجوز أن يوصف القديم تعالى بأنه ناطق كما يوصف بأنه متكلم[٥] فمنع من ذلك وقال ما قدمت ذكره

(١) طه الآية ٣٩ .
(٢) ن . الطايخ .
(٣) من جفل : اسرع هرباً . وصيّره يجفل أي أفزعه .
(٤) ن . إلا من تكلم .
(٥) ط . يتكلم .

فوصف سبحانه القرآن بالنطق مبالغة في وصفه باظهار البيان واعلان البرهان تشبيهاً باللسان الناطق في الابانة عن ضميره والكشف عن مستوره .

٣٣٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هذا ﴾

[المؤمنون ـ الآية ٦٣]

وهذه استعارة والمراد بها أن القوم الذين قال الله تعالى فيهم أمام هذه الآية ﴿ فذرهم (١) في غمرتهم حتى حين ﴾ (٢) هم الموصوفون بقوله تعالى ﴿ بل قلوبهم في غمرة من هذا ﴾ أي في حيرة تغمرها وغمة تسترها والغمر جمع غمرة وهي ما وقع الانسان فيه من أمر مذهل وخطب مدلّة (٣) ومشبهة بغمرات الماء التي تغمر الواقع فيها وتأخذ بكظم (٤) المغمور بها .

٣٣٤ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمواتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾

[المؤمنون ـ الآية ٧١]

وهذه استعارة والمراد بها ولو كان الحق موافقاً لأهوائهم لعاد (٥) إلى كل ضلة واوقع في كل مضلة لأن الحق يدعو إلى المصالح والمحاسن والأهواء تدعو إلى المفاسد والمقابح فلو اتبع الحق قائد الهوى لشمل الفساد وعمَّ الاختلاط وخفضت (٦) أعلام الهداية ورفعت منار الغواية .

---

(١) ط . خلت من هذه الآية .

(٢) الآية ٥٤ .

(٣) ن . مسدلة .

(٤) كَظَمَ : سكت ، يقال أخذ بِكَظَمِهِ : أي كربه وغمه .

(٥) ط . لعاد كل الى ضلة .

(٦) ن . خضعت أعلام الهدى .

٣٣٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ ﴾

[المؤمنون ـ الآية ١٠٢ ـ ١٠٣]

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون معنى الموازين هٰهنا المعادلة بين الأعمال بالحق لتظهر زيادة (١) الحسنات على السيئات أو زيادة السيئات على الحسنات كما يظهر بالموازين ثقل الشيء الكثيف وخفة الشيء الخفيف والتأويل الآخر يخرج به الكلام عن حد الاستعارة وهو أن تكون الموازين هنا محمولة على حقائقها إلا أن الأعمال يستحيل أن توزن بها لأنها أعراض لا قوام لها بنفسها فيكون الوزن على ما قال بعض شيوخ أهل العدل أن يجعل الضياء في إحدى (٢) كفتي الميزان أمارة لرجحان الثواب والطاعة وتجعل الظلمة في الكفة الاخرى أمارة لرجحان العقاب والمعصية فاذا ظهر الرجحان في إحدى الكفتين حكم بأن صاحبها من أهل الجنة أو النار أو مستحقي الثواب او العقاب وفي ذلك فائدة وهي أن أهل الجنة يعظم سرورهم بمشاهدة تلك الحال الدالة على ثوابهم وأهل النار تعظم غمومهم بمعاينة تلك الحال المؤذنة بعقابهم وفيه مع ذلك تعظيم لأهل الجنة وهوان لأهل النار وفي علمنا بذلك في دار التكليف مصلحة لنا لأنه يزجر (٣) عن المعصية خوفاً من ذلك الموقف الفظيع ويدعو إلى الطاعة رغبة في ذلك المقام الشريف .

٣٣٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ﴾

[المؤمنون ـ الآية ١٠٦]

---

(١) ط . خلت من قوله (زيادة الحسنات الى قوله تعالى : ﴿ يوم تشهد عليهم السنتهم ﴾ .

(٢) في النسخة (ن) أحد .

(٣) من زجر : منع ونهى .

وهذه استعارة لأن الشقوة لما ظهرت عليهم وعلمت من حالهم كانت كالغالبة على جميعهم وحقيقة الغلبة الاستعلاء بالقوة والأخذ بالبسطة حتى يصير المأخوذ بها كالمسترقّ في يد مالكه[1] والاسير في قبضة آسره .

(١) في النسخة (ن) هالكة .

سورة النور

ومن السورة التي يذكر فيها النور

٣٣٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

[النور الآية ١]

وهذه استعارة لأن اصل الفرض هو واحد الفروض وهي الحزوز التي تجعل في القداح كالعلامات لتميز مقادير الانصباء والحظوظ فيكون معنى فرضناها هٰهنا أي جعلنا لها شعائر تدل على شرفها وتشهد بجلالة قدرها ونباهة ذكرها وقد قرىء فرضناها بالتخفيف وفرّضناها بالتشديد والتشديد يدل على كثرة الفعل .

٣٣٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾

[النور الآية ١٥]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم انكم تتفاوضون هذا الحديث بينكم فكأن بعض السنتكم تتلقاه عن بعض سروراً بالافاضة فيه واعتماداً للاذاعة به وذلك كما يقول أحدنا قد تلقيت أمر فلان براحتي واستقبلته بكلتا يدي إذا كان مخبراً عن شدة من قبوله أو سروره به وقد قرىء إذ تلقونه بالتخفيف وكسر اللام وضم القاف أي تسرعون به في طريق الكذب يقال ولق يلق إذا اسرع وقال الشاعر (جاءت به عيس من الشام تلق) أي تسرع وهذا خارج

٣٣٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[النور ـ الآية ٢٤]

وهذه استعارة على أحد التأويلات الثلاثة وهو أنه تعالى يجعل في الأيدي التي بسطت الى المحظورات والأرجل التي سعت[١] الى المحرمات علامة تقوم مقام النطق المصرح واللسان المفصح في الشهادة على أصحابها والاعتراف بذنوبها فأما شهادة الالسنة فقد قيل أن المراد بها اقرارهم على نفوسهم بما واقعوه من المعاصي إذ علموا ان الكذب لا ينفعهم والجحود لا يغني عنهم وليس ذلك بمناقض لقوله تعالى ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾[٢] لانه قد قيل في ذلك انه جائز ان تخرج ألسنتهم من افواههم فتنطق بمجردها من غير اتصال بحوياتها[٣] ولهواتها فيكون ذلك أعجب لها وابلغ في معنى شهادتها ويختم في تلك الحال على افواههم وقيل يجوز ان يكون الختم على الافواه إنما هو في حال شهادة الايدي والارجل بعد ما تقدم من شهادة الألسن وأما التأويلان الآخران في معنى شهادة الايدي والأرجل فالكلام يخرج بهما عن حد الاستعارة إلى الحقيقة[٤] وذلك انهم قالوا ان الله سبحانه يبني الأيدي والأرجل بنية يمكن[٥] اصحابها النطق من جهتها وقيل يبنيها تعالى بنية هي الناطقة بما تشهد به عليهم من غير أن يكون النطق منسوبا اليهم .

(١) ن . تبعث .
(٢) سورة يس ، الآية ٦٥ .
(٣) ن . بحويانها وفي ط . بحوباتها والسياق يقتضي بحلوقها .
(٤) ن . خلت من (الى الحقيقة) .
(٥) ن . (يمكن اصحابها النطق من جهتها وقيل يبنيها تعالى بنية) (هذه العبارة لا توجد في ط) .

٣٤٠ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾

[النور ـ الآية ٣١]

وهذه استعارة والمراد بها اسبال الخمر التي هي المقانع على فرجات الجيوب لأنها خصاصات إلى الترائب والصدور والثدي والشعور وأصل الضرب من قولهم ضربت الفسطاط إذا اقمته باقامة أعماده وضرب أوتاده فاستعير ههنا كناية عن التناهي في إسبال الخُمر واخفاء الأزر .

٣٤١ ـ وقوله تعالى : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور ـ الآية ٣٥]

وهذه استعارة والمراد بذلك عند بعض العلماء أنه هادي أهل السموات والأرض بصوادع برهانه ونواصع بيانه كما يهتدى بالأنوار[١] الثاقبة والشهب اللامعة وقال بعضهم المراد بذلك والله أعلم الله منور السماوات والأرض بمطالع[٢] نجومها ومشارق أقمارها وشموسها .

٣٤٢ ـ وقوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾

[النور ـ الآية ٣٥]

وهذه مبالغة في وصف[٣] الزيت بالصفاء والخلاصة على طريق المجاز والاستعارة حتى يقارب[٤] ان يضيء من غير أن يتصل بنار أو يناط بذبال[٥] .

٣٤٣ ـ وقوله سبحانه : ﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾

[النور ـ الآية ٣٧]

(١) ن . الأنوار .
(٢) ن . بمطلع .
(٣) ن . في صفة .
(٤) ن . حتى تقارب .
(٥) ط . بذلك وفي ن . يقال : كذا . والسياق يقتضي ما ذكر . والزبالة : الفتيلة .

وهذه استعارة والمراد بتقلب القلوب ههنا تغير الأحوال عليها من الخوف والرجاء والسرور والغماء[1] اشفاقاً من العقاب[2] ورجاء للثواب فالأولى صفة أولياء الله واما تقلب الابصار فالمراد به تكرير لحظ المؤمنين إلى مطالع الثواب وتكرير لحظ الكافرين إلى موارد[3] العقاب .

٣٤٤ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[النور ـ الآية ٣٩]

فقوله تعالى﴿ووجد الله عنده﴾ استعارة ومجاز والمعنى فوجد وعد الله[4] سبحانه عند انتهائه إلى منقطع عمله السيء فكاله بصواعه وجازاه بجزائه وذلك يكون يوم المعاد وعند انقطاع تكليف العباد وقد قيل أيضاً ان الضمير في قوله تعالى عنده يعود إلى الكافر لا إلى عمله[5] فكأنه تعالى قال فوجد الله قريباً منه أي وجد عقابه مرصداً له فأخذه من كثب وجازاه بما اكتسب وذلك كقول القائل الله عند لسان كل قائل أي يجازيه على قول الحق بالثواب وعلى قول[6] الباطل بالعقاب والقولان جميعاً يؤولان إلى معنى واحد .

٣٤٥ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾

[النور ـ الآية ٤٣]

(١) ط . والغم .
(٢) ن . من العذاب .
(٣) ط . مطالع .
(٤) ن . فوجد عند الله .
(٥) ن . خلت من (لا إلى عمله) .
(٦) ن . وعلى القول الباطل .

وهذه استعارة على بعض[1] التأويلات لأن الجبال ههنا يراد بها السحاب الثقال تشبيهاً لها بكثائف أطوادها ومشارف هضابها ويكون الضمير في قوله سبحانه ﴿ من جبال فيها ﴾ عائداً على السماء لاعلى الجبال فكان التقدير وينزل من جبال من[2] السماء من[3] برد يريد من السحاب المشبهة بالجبال وتكون الفائدة في قوله من جبال في السماء تخصيص تلك الجبال من جبال الأرض لأنا لو جعلنا الضمير الذي فيها عائداً على الجبال أوهم أنها جبال تنزل إلى الأرض من السماء فاذا جعلنا الضمير عائداً إلى السماء أمن من الالتباس[4] وكان في ذلك ايضاً تعجيب لنا من وصف جبال في السماء على طريق التشبيه لأن الجبال على الحقيقة لا تكون إلا في قرارات الأرض وصفحات الترب[5] .

٣٤٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [النور ـ الآية ٤٤]

وهذه استعارة والمراد بها طرد النهار بالليل وطرد الليل بالنهار فكنى عن ذلك سبحانه باسم التقليب وليس المراد تقليب[6] الأعيان بل تغاير الأزمان .

(١) ن . عن بعض .
(٢) ن . في السماء .
(٣) ن . خلت من قوله (برد الى قوله تخصيص) .
(٤) ن . الألباس .
(٥) ن . المهدأ .
(٦) ن . تقلب .

سورة الفرقان

ومن السورة التي يذكر فيها الفرقان

٣٤٧ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾

[الفرقان ـ الآية ١٢]

وفي هذه الآية استعارتان احداهما قوله سبحانه ﴿ إذا رأتهم ﴾ وهو صفة نار جهنم نعوذ بالله منها ولا تصح(١) صفة الرؤية عليها وإنما المراد والله اعلم إذا كانت منهم(٢) بمقدار مسافة لو كان بها من يوصف بالرؤية لرآهم وهذا من لطائف التأويل وغرائب التفسير وقد يجوز أيضاً أن يكون معنى ذلك إذا قربت منهم وظهرت لهم من قولهم دور بني فلان تترائى أي تتقارب وفي الحديث لا تتراءى ناراهما(٣) أي لا تتدانى والاستعارة الأخرى قوله سبحانه ﴿ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾ وهاتان الصفتان من صفات الحيوان ويختص التغيظ بالانسان لأن الغيظ من أعلى منازل الغضب والغضب لا يوصف بحقيقته إلا الناس والزفير قد يشترك في الصفة به الانسان وغير الانسان وإنما المراد بهاتين الصفتين المبالغة في وصف النار بالاحتياج والاضطرام على عادة المغيظ والغضبان .

---

(١) ن . ولا تصلح .

(٢) ن . خلت من (منهم) .

(٣) ن . آثارهما .

٣٤٨ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾

[الفرقان ـ الآية ٢٣]

وهذه استعارة لأن صفة القدوم لا تصح إلا على من تجوز عليه الغيبة فتجوز منه الأوبة(١) والله سبحانه شاهد غير غائب وقائم غير زائل والمعنى وقصدنا إلى ما عملوا او عمدنا إلى ما عملوا وذلك كقول القائل قام فلان بفلان في الناس إذا أظهر ذمّه وعيبه وليس يريد انه نهض عن قعود وتحفز بعد استقرار وسكون وانما يريد انه نهض(٢) عن قصد الى سبه(٣) وتظاهر بثلبه(٤) وقال الشاعر :

فان اباكم تارك ما سألتم   فمهما أتيتم فأقدموه على علم

يقال قدمت على هذا الأمر وأنا أقدمه اذا اتيته وقصدته . وقد ذكر بعض العلماء في ذلك وجه آخر قال إنما قال سبحانه : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل ﴾ لانه عاملهم معاملة القادم من غيبة إذ(٥) كان بطول إمهاله لهم كالغائب عنهم ثم قدم فرآهم(٦) على خلاف ما أمرهم به واستعملهم فيه فاحبط اعمالهم الفاسدة وعاقبهم عقاب العاند(٧) عن الطاعة المرتكس(٨) في الضلالة والمعتمد على القول الأول .

وقوله سبحانه : ﴿ فجعلناه هباء منثوراً ﴾ مجاز آخر وذلك انه لم يجعل عملهم على الحقيقة هباء منثوراً وهو الغبار الرقيق ههنا ومنه الهابي وإنما أراد سبحانه انه ابطل ذلك العمل فعفّى رسمه وسقّط حكمه وبطل بطلان الغبار

---

(١) ن . الانابة

(٢) ط . انه قصد الى سبه .

(٣) ن . الى نفسه .

(٤) من ثَلَبَ : طرد . ثلبة : عتابه ، لامه .

(٥) ط . « أو » بدل « إذ » .

(٦) ن . براهم .

(٧) ن . العايد .

(٨) من رَكَسَ : قلب أوله على آخره . أرتكس : انتكس . المرتكس : الضعيف .

المحق(1) والغثاء(2) المتفرق .

٣٤٩ ـ وقوله سبحانه : ﴿ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾

[الفرقان ـ الآية ٢٤]

وهذه استعارة لأن المقيل من صفات المواضع التي ينام فيها ولا نوم في الجنة(3) وتقدير الكلام وأحسن موضع قائلة مكان ذلك المكان من وثارة مهاده وبرد افيائه يصلح أن ينام فيه لو كان ذلك جائزاً وهذا كقوله سبحانه في ذكر اصحاب الجنة : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾(4) أي مثل أوقات البكرة والعشي(5) المعهودين في حال الدنيا لأن الجنة لا يوصف زمانها بالأيام والليالي لأن ذلك من صفات الزمان الذي تتعاقب عليه الشمس طالعة وغاربة فيسمى نهاراً بطلوعها ويسمى ليلاً بقبوعها .

٣٥٠ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمَامِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾

[الفرقان ـ الآية ٢٥]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم على أحد القولين صفة السماء في ذلك اليوم بتعاظم الغمام فيها وانتشاره في نواحيها كما يقول القائل قد تشققت الغمائم بالبرق وتشققت السحائب(6) بالرعد إذا كثر ذلك فيها ليس ان هناك تشققاً على الحقيقة في قول أهل الشرع وقيل أيضاً ان المراد بذلك انتقاض بنية السماء وتغيرها الى غير ما هي عليه الآن كما تظهر في البناء آثار التداعي

(1) من محق : مَحَقَ الشيء : ابطله ومحاه . أمحق المالُ ، هلك .
(2) ن . الغبار .
(3) ن . في الحقيقة .
(4) سورة مريم الآية ٦٢ .
(5) ن . العشاء .
(6) ط . السحاب .

وأعلام التهافت من تثلم(1) الاطراف(2) وتفطر الاقطار(3) فيكون ذلك مؤذناً(4) بانقضاضه ومنذراً(5) بانتقاضه وقال تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾(6) وقال تعالى ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾(7) ويكون انتقاض بنية السماء عن ظهور الغمام الذي أذننا الله تعالى بمجيئه يوم القيامة إذ يقول عز من قائل: ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴾(8) ومعنى تشقق السماء بالغمام أي عن الغمام كما يقول القائل رميت بالقوس وعن القوس بمعنى واحد .

٣٥١ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾

[الفرقان ـ الآية ٤٣]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير كأنه تعالى قال : « أرأيت من اتخذ هواه إلهه » معنى ذلك انه جعل هواه آمراً يطيعه وقائداً يتبعه فكأنه قد عبده لفرط تعظيمه له ومن أمثالهم الهوى إله معبود على المعنى الذي ذكرنا . وذكر أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب الاشراف ان هذه الآية نزلت في الحارث بن قيس بن عدي السهمي وهو(9) من عبدة الأوثان لأنه كلما رأى حجراً أحسن من الذي اقتناه لعبادته أخذه

(1) من ثلم : كسر . والثلمة في الحائط ونحوه : الخلل .
(2) ط . أطراف .
(3) ط . اقطار .
(4) ن . مؤذياً .
(5) ن . ومنفذاً .
(6) سورة ابراهيم الآية ٤٨ .
(7) سورة الأنبياء الآية ١٠٤ .
(8) سورة البقرة الآية ٢١٠ .
(9) ن . خلت من (وهو)

واطرح ما عبده[1].

٣٥٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾

[الفرقان ـ الآيتان ٤٥ ـ ٤٦]

وفي هذه الآية استعارتان احداهما قوله تعالى ﴿ ألم تر الى ربك ﴾ والمراد فعل ربك أو إلى حكمة ربك في مد الظل فحذف هذه اللفظة لدلالة الكلام عليها إذ كان الله تعالى لا يدرك بالمشاعر ولا يُرى بالنواظر وقد يجوز أن يكون معنى الرؤية هٰهنا بمعنى[2] العلم فكأنه تعالى قال « ألم تعلم حكمة[3] ربك في مد الظل » وإنما أقام سبحانه الرؤية هٰهنا مقام العلم لتحقق المخاطب الذي هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الفعل فقامت معرفة قلبه مقام رؤية عينه قطعاً باليقين وبعداً عن الظنون والاستعارة الاخرى قوله تعالى : ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴾ وهذه استعارة على القلب لأن الظل في الشاهد يدل على الشمس وذلك أن الظل لا يكون إلا وهناك شمس طالعة فيوصف ما لم تطلع عليه لحاجز يحجز أو مانع يمنع بأنه ظل وقد قيل ان الظل ما كان بالغداة والفيء ما كان بالعشي وقيل ان[4] الظل ما نسخته[5] الشمس والفيء ما نسخ الشمس فعلى هذا القول يجوز أن يكون معنى قوله تعالى ﴿ ولو شاء لجعله ساكناً ﴾ دائماً لا ترد الشمس عليه فتزيله وتذهب به ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴾ أي دللناها عليه فهي تتحيف[6] من أقطاره وتنتقص من اطرافه حتى تستوفي[7] اجمعه وتكون بدلا منه فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً ﴾ . ويجوز أن يكون معنى دلالة الشمس على الظل انه لولا

(١) ن . ما عنده .

(٢) ط . معنى بدون حرف جر .

(٣) ن . حكمة الله .

(٤) ن . خلت من (أن)

(٥) ن . ما فسخته .

(٦) تحيّف الشيء : تنقصه وأخذ من جوانبه ، حائف الجبل : حافته الحيفة أي الناحية .

(٧) ن . حتى يستوي .

الشمس لم يعرف الظل ويجوز ان يقول لولا الظل لم تعرف الشمس .

٣٥٣ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾

[الفرقان ـ الآية ٤٧]

وفي الآية استعارتان احداهما قوله تعالى : ﴿ وهو الذي جعل لكم الليل لباساً ﴾ والمراد باللباس هٰهنا والله أعلم تغطية ظلام الليل للنشوز[1] والقيعان[2] واشخاص الحيوان كما تغطي الملابس الضافية[3] وتستر الجنن الواقية وهذه العبارة من افصح العبارات عن هذا المعنى ومعنى السبات قطع الأعمال والراحة من الاشغال والسبت في كلامهم القطع . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وجعل النهار نشوراً ﴾ والنشور في الحقيقة الحياة بعد الموت وهو هٰهنا مستعار الاسم لتصرف الحي وانبساطه تشبيهاً للنوم بالممات واليقظة بالحياة وذلك من أوقع التشبيه وأحسن التمثيل .

٣٥٤ ـ وقوله سبحانه : ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [الفرقان ـ الآية ٤٩]

وهذه استعارة وقد مضت الاشارة الى نظيرها[4] في الاعراف ووصف البلدة بالموت[5] هٰهنا محمول على أحد وجهين أما أن تكون انما شبهت بالميت من فرط يبسها لتسلط المحل عليها وتأخر الغيث عنها أو يكون ما فيها من النبات والشجر لما مات لانقطاع الماء عنه حسن ان توصف هي بالموت لموت نبتها لانها كالأم التي[6] تكفله والظئر[7] التي ترضعه .

(١) من نشز : المكان المرتفع .

(٢) ط . والقيعا أشخاص الحيوان .
الجبال والآكام .

(٣) ن . الضامه .

(٤) ن . الى مثلها .

(٥) ن . بالميت .

(٦) ن . الى

(٧) من ظأر : الظئر : العاطفة على ولد غيرها . المرضعة لولد غيرها .

٣٥٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾

[الفرقان ـ الآية ٥٣]

وهذه استعارة والمراد بذلك والله اعلم انه خلاهما في[١] مذاهبهما[٢] وارسلهما في مجاريهما كما تمرج الخيل[٣] أي تخلى في المروج وهي مواضع[٤] مراعيها[٥] ومدابحها فكأن وجه الاعجوبة من ذلك انه سبحانه مع التخلية بينهما في تقاطعهما والتقائهما في مناقعهما لا يختلط الملح بالعذب ولا يلتبس العذب بالملح ولغة أهل تهامة[٦] مرجه ولغة أهل نجد امرجه وقال أبو عبيدة إذا تركت الشيء وخليته فقد مرجته ومنه قولهم مرج الامير الناس إذا خلاهم بعضهم على بعض والأمر المريج المختلط الملتبس .

٣٥٦ ـ وقوله تعالى :﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً ﴾ .

[الفرقان ـ الآية ٦١]

وقد قرىء سُرُجا على الجمع وهي قراءة[٧] حمزة والكسائي من السبعة والباقون يقرأون[٨] سراجاً على التوحيد فمن قرأ[٩] سرجاً أراد النجوم ومن قرأ سراجاً ، أراد الشمس ويقوي ذلك قوله سبحانه في موضع آخر :

(١) ط . من .
(٢) هذا بها كذا .
(٣) ط . ان .
(٤) ط . لا توجد (وهي مواضع)
(٥) ن . ومشابحها وفي ط . ومدابحها ولعل الأصل وممارحها .
(٦) ن . وهذا تمل تهامة .
(٧) ن . خلت من (قراءة) .
(٨) ن . يقرأ .
(٩) ن . خلت من قوله فمن قرأ الى قوله أراد الشمس .

﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾[١] ويقوي قراءة من قرأ سرجاً ان النجوم من شعائر الليل والسرج بأحوال الليل اشبه منها بأحوال النهار وإنما شبهت النجوم بالسرج لاهتداء الناس بها في الظلماء كما يهتدى بالمصابيح الموضوعة والنيران المرفوعة .

٣٥٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ .

[الفرقان ـ الآية ٦٢]

وهذه استعارة ومعنى خلفة على احد[٢] الاقوال أي جعل الليل والنهار يتخالفان فاذا اتى هذا ذهب هذا وإذا ادبر هذا أقبل هذا وقيل خلفة أي يخلف احدهما الآخر فيكون[٣] ذلك من الخلافة لا من المخالفة وقيل خلفة أي احدهما اسود والآخر ابيض وهو أيضاً راجع إلى معنى المخالفة .

٣٥٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴾

[الفرقان ـ الآية ٧٣]

وهذه اسعارة والمراد والله أعلم لا يصمون عن قوارع النذر ولا يعفون عن مواقع العبر .

(١) سورة نوح الآية ١٦
(٢) ط . في بعض
(٣) ن . خلت من قوله فيكون ذلك من الخلافة لا من المخالفة وقيل خلفه .

سورة الشعراء

ومن السورة التي يذكر فيها الشعراء

٣٥٩ ـ وقوله سبحانه : ﴿ فلمّا تراءَ الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾

[الشعراء ـ الآية ٦١]

وهذه استعارة والمراد بها العبارة عن التقارب والتداني وانما قلنا ان هذه اللفظ مستعار لانه قد يحسن ان يوصف به الجمعان وان لم ير بعضهم بعضاً بالموانع[١] من مثار العجاج ورهج الطراد لان المراد به تقارب الاشخاص لا تلاحظ الاحداق وذلك كقولهم في الحيين المتقاربين تتراءى ناراهما اي تتقابل وتتقارب لكون النارين بحيث لو كان بدلاً منهما انسانان لرأى كل واحد منهما صاحبه وقد اومأنا إلى ذلك فيما مضى ويقال أيضاً قوم رئاء على مثال فعال أي يقابل بعضهم بعضاً وكذلك بيوتهم رئاء إذا كانت متقابلة . ذكر ذلك احمد ابن يحيى ثعلب ومن هذا الباب الحديث المشهور عن النبي ﷺ وهو قوله انا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل ولم يا رسول الله قال لا تتراءى ناراهما وقد استقصينا الكلام على معنى هذا الخبر في كتاب مجازات الآثار النبوية[٢] .

٣٦٠ ـ وقوله تعالى : ﴿ فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾

[الشعراء ـ الآية ١١٨]

---

(١) في ن . بالمواضع .

(٢) راجع ص ١٩٨ من كتاب المجازات النبوية من الطبعة المصرية الحديث ٢٠٧ .

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم فاحكم بيننا وبينهم حكماً قاطعاً وأمراً فاصلاً كفتح الباب المبهم بعدما استصعب رتاجه واعضل علاجه ويقال[١] للحاكم الفتاح لانه يفتح وجه الأمر بعد اشتباهه واستبهام[٢] ابوابه . وقال تعالى : ﴿ وهو الفتّاح العليم ﴾[٣] وقال بعض بني ذهل بن زيد بن نهد :

وعمي الذي كانت فتاحة قومه ... إلى بيته حتى تجهّز غاديا

أي كان الحكم بين قومه فيه وفي أهل بيته إلى حين وفاته وقال فتاحة قومه بكسر الفاء لأنها في معنى الولاية والزعامة[٤] وما يجري مجراهما .

٣٦١ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وزروع ونخل طلعها هضيم ﴾

[الشعراء ـ الآية ١٤٨]

وهذه استعارة والمراد بالهضيم هٰهنا على بعض الاقوال والله أعلم الذي قد ضمن[٥] بدخول بعضه في بعض فكأن بعضه هضم بعضاً لفرط تكاثفه وشدة تشابكه وقيل[٦] الهضيم اللطيف وذلك أبلغ في صفة الطلع الذي يراد للأكل وذلك مأخوذ من قولهم فلان هضيم الحشا أي لطيف البطن وأصله النقصان من الشيء كأنه نقص من انتفاخ بطنه فلطفت معاقد خصره ومنه قوله تعالى ﴿ فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾[٧] أي نقصاً وثلماً وقيل الهضيم الذي قد أينع وبلغ وقيل ايضاً هو الذي إذا مس تهافت من كثرة مائه ورطوبة أجزائه والقولان الأخيران يخرجان الكلام عن حد الاستعارة .

٣٦٢ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ [الشعراء ـ الآية ٢١٩]

---

(١) ن . ويقول .

(٢) ن . واستبهاج .

(٣) سورة سبأ الآية ٢٦ .

(٤) ن . لم ترد فيها والزعامة . الخ .

(٥) ن . ضمن ولعل الأصل ضمر .

(٦) ن . وقال .

(٧) سورة طه الآية ١١٢ .

وهذه استعارة وليس هناك تقلّب منه على الحقيقة وإنما المراد به تقلب أحواله بين المصلين وتصرفه فيهم بالركوع والسجود والقيام والقعود وذهب بعض علماء الشيعة في تأويل هذه الآية مذهباً آخر فقال المراد بذلك تقلب الرسول صلى الله عليه وآله في أصلاب الآباء المؤمنين واستدل بذلك على أن آباءه إلى آدم عليه السلام مسلمون لم تختلجهم خوالج الشرك ولم تضرب فيهم اعراق الكفر تكريماً له عليه السلام عن أن يجري إلا في منزهات الاصلاب ومطهرات الارحام وهذا الوجه يخرج به الكلام عن أن يكون مستعاراً .

٣٦٣ ـ وقوله سبحانه : ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾

[الشعراء ـ الآية ٢٢٣]

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون المراد بها أنهم يشغلون اسماعهم ويديمون إصغاءهم ليسمعوا من أخبار السماء ما يموهون به على الضلّال من أهل الارض وهم عن السمع بمعزل وعن العلم بمدحر[١] وذلك كقول القائل لغيره قد ألقيت اليك سمعي أي صرفته إلى حديثك ولم أشغله بشيء غير[٢] سماع كلامك والتأويل الآخر أن يكون السمع ههنا بمعنى المسموع كما يكون العلم بمعنى المعلوم[٣] فيكون التأويل أن الشياطين يلقون ما يدعون أنهم يستمعونه إلى أفاك أثيم من أعداء النبي صلى الله عليه وآله على طريق الوسوسة واعتماد القدح في الشريعة وهذا الوجه يخرج الكلام[٤] عن حد الاستعارة .

٣٦٤ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ [الشعراء ـ الآيتان ٢٢٤ ـ ٢٢٥]

(١) ط . بمزحر .
(٢) ن . عن .
(٣) ط . الملوم .
(٤) ن . خلت من (الكلام)

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم ان الشعراء يذهبون في أقوالهم المذاهب المختلفة ويسلكون الطرق المتشعبة وذلك كما يقول الرجل لصاحبه إذا كان مخالفاً له في رأي[١] أو مباعداً له في كلام (أنا في واد وأنت في واد) أي أنت ذاهب في طريق وأنا ذاهب في طريق ومثل ذلك[٢] قولهم فلان يهب مع كل ريح ويطير بكل جناح إذا كان تابعاً لكل قائد ومجيباً لكل ناعق وقيل ان[٣] معنى ذلك تصرف الشاعر في وجوه الكلام من مدح وذم واستزادة وعتب[٤] وغزل ونسيب ورثاء وتشبيب فشبهت هذه الأقسام من الكلام بالأودية المتشعبة والسبل المختلفة ووصف الشعراء بالهيمان فيها فرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في اقطارها[٥] والابعاد في غاياتها لأن قوله سبحانه ﴿ يهيمون ﴾ ابلغ في هذا المعنى من قوله يسعون أو يسيرون ومع ذلك فالهيمان صفة من لا مسكة له ولا رجاحة معه وهي مخالفة لصفات ذي الحلم الرزين والعقل الرصين .

(١) ن . في رأيه .
(٢) ن . خلت من (ذلك)
(٣) ن . أنه .
(٤) ن . وعيب .
(٥) ط . من اقطارها .

سورة النمل

ومن السورة التي يذكر فيها النمل

٣٦٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً ﴾

[النمل ـ الآية ٧]

وهذه استعارة على القلب والمراد بها والله اعلم اني رأيت ناراً فآنستني فنقل فعل(١) الايناس الى نفسه على معنى اني وجدت النار مؤنسة لي كما سبق من قولنا في تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾(٢) أي وجدناه غافلاً على بعض الاقوال وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾(٣) ولم تغرهم هي إنما اغتروا بها هم(٤) فلما كانت سبباً للغرور حسن أن ينسب اليها ويناط بها وحقيقة الايناس هي الاحساس بالشيء من جهة يؤنس بها وما أنست به فقد أحسست به مع سكون نفسك اليه .

٣٦٦ ـ وقوله تعالى حاكياً عن ملكة سبأ : ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾

[النمل ـ الآية ٣٢]

(١) ن . خلت من (فعل)

(٢) سورة الكهف الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٧٠ والآية ١٣٠ وسورة الأعراف الآية ٥١ .

(٤) ن . خلت من (هم)

وهذه استعارة والمراد بقطع الأمر والله اعلم الرجوع بعد إجالة الآراء ومخض الأقوال إلى رأي واحد يضح العزم على فعله والعمل عليه دون غيره تشبيهاً بالاسداء والالحام في الثوب النسيج ثم القطع له بعد الفراغ منه فكأنها اجالت الرأي عند ورود ما ورد عليها من دعاء سليمان عليه السلام لها الى الايمان به والاتباع له فميَّلت بين الامتناع والاجابة والمخاشنة والملاينة فلما قوي في نفسها أمر الملاطفة عزمت على فعله فحسن أن يعبر عن ذلك بقطع الأمر كما أشرنا اليه وعلى هذا قول الرجل لصاحبه لا أقطع أمراً دونك اي لا أقرر العزم على شيء حتى اخاوضك(١) فيه واوافقك عليه وقد يجوز أن يكون ذلك كناية عن الاستعجال بفعل الأمر تشبيهاً بسرعة قطع الشيء المستدق كالحبل وغيره ومنه قولهم صرم الأمر أي فرغ من فعله والصريمة من ذلك وفصل الأمر أيضاً قريب منه .

٣٦٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

[النمل ـ الآية ٤٠]

وهذه استعارة لأن المراد بارتداد الطرف ههنا التقاء الجفنين بعد افتراقهما وذلك أبلغ ما يوصف(٢) به في السرعة وليس هناك على الحقيقة شيء ذهب عنه ثم رجع ولكن جفن العين لما كان ينفتح وينطبق اقام الانفتاح مقام الخروج والانطباق مقام الرجوع وقيل في ذلك وجه آخر وهو ان في مجرى عادة الناس ان يقول القائل لغيره إذا كان على انتظار أمر يرد عليه من جهة انا ممدود الطرف اليك وشاخص البصر نحوك فاذا كان امتداد الطرف بمعنى الانتظار مستعملاً(٣) جاز ان يجعل ارتداده عبارة عن زوال الانتظار فكأنه قال انا آتيك به قبل أن تتكلف الانتظار وتعد الاوقات والقول الأول اولى بالاعتماد واخلق بالصواب .

(١) كذا في النسختين ولعل الأصل حتى أفاوضك .

(٢) ن . وصف .

(٣) ن . خلت من قوله (مستعملاً) إلى قوله : (زوال الانتظار) .

٣٦٨ ـ وقوله سبحانه : ﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾

[النمل ـ الآية ٦٦]

وهذه استعارة لأن العمى ههنا ليس يراد به فقد الجارحة المخصوصة وانما يراد به التعامي عن الحق والذهاب صفحاً عن النظر والفكر اما قصداً وتعمداً أو جهلاً وعمهاً وانما اجرى الجهل مجرى العمى في هذا المعنى لان كل واحد منهما يمنع بوجوده من ادراك الشيء على ما هو عليه[١] إذ الجهل مضاد للعلم والمعرفة والعمى مناف للنظر والرؤية وانما قال سبحانه : ﴿بل هم منها عمون﴾ ولم يقل عنها لأن المراد انهم يشكون فيها ويمترون في صحتها فهم في عمى منها ولا يصلح أن يكون في هذا الموضع عنها لانه ليس المراد ذكر عماهم عن النظر اليها وانما القصد ذكر عماهم بالشك فيها وهذا من لطائف المعاني .

٣٦٩ ـ وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

[النمل ـ الآية ٧٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة الردف هي حمل الانسان غيره مما يلي ظهره على مركوب تحته[٢] والفرق بين الردف والتابع ان[٣] في التابع معنى الطلب لموافقة الأول وليس ذلك في[٤] الردف فالمراد بقوله تعالى : ﴿ردف لكم﴾ ههنا والله اعلم أي عسى أن يكون العذاب الذي تتوقعونه قد قرب منكم وهو في آثاركم ولاحق بكم وقد قيل أيضاً ان[٥] المراد بردف لكم أي ردفكم فصار

(١) ط . به
(٢) ط . لفظة (تحته) مطموسة
(٣) ط . خلت من (ان في التابع)
(٤) ط . خلت من حرف الجر .
(٥) ن . خلت من (أن) .

العذاب في الالتصاق بكم كالمرادف لكم والمعنى واحد .

٣٧٠ ـ وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

[النمل ـ الآية ٧٦]

وهذه استعارة لأن القصص كلام مخصوص ولا يوصف به إلا الحي الناطق المميز ولكن القرآن لما تضمن نبأ الأولين ومصادر أمور الآخرين كان كأنه يقص على من آمن به ، عند تلاوته قصص من تقدمه وخبر[١] من يأتي بعده ويقص على بني اسرائيل خصوصاً أحاديث رسلهم وسرائر شرائعهم على حقائقها ويبين غوامضها فهو كالحاكم بينهم والمزيل لاختلافهم .

٣٧١ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾

[النمل ـ الآية ٨٢]

وهذه استعارة والمراد بوقوع القول ههنا تحقيق ما أوعد الله به من عذابهم وذلك كقول القائل لغيره اذا سبق تحذيره له من أمر يخافه قد وقع ما كنت خوفتك منه وحذرتك اياه وعلى هذا قول[٢] الشاعر :

ايتها النفس اجملي جزعاً ... ان الذي تحذرين قد وقعا

أي قد ورد مخوفه وتحقق محذوره وفي العبارة من[٣] هذا المعنى بذكر الوقوع زيادة فائدة على العبارة عنه بمعنى التحقيق والورود لأن الوقوع يفيد

(١) ط . توجد فيها نقيصة من قوله وخبر الى الآية ٢٦ من سورة الأحزاب وتقرب من ١٦ صفحة .
(٢) الشاعر هو أوس بن حجر .
(٣) ن . من هذا ولعل الأصل عن هذا .

ورود الأمر بسرعة وليس هذه الفائدة في الورود والتحقيق إذا اطلق لفظاهما واريد معناهما .

٣٧٢ ـ وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [النمل ـ الآية ٨٦]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها والمراد بوصف النهار بالابصار ابصار أهله فيه واتصال شعاعات اعينهم الى المرئيات بضوئه .

سورة القصص

ومن السورة التي يذكر فيها القصص

٣٧٣ قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ [القصص ـ الآية ١٠]

وقد تقدم الايماء إلى معنى ذلك بذكر نظيره في السورة التي يذكر فيها ابراهيم عليه السلام ومعنى فارغاً أي قد خلا من صبر وثبات وتماسك ووقار لفرط الجزع والأسف وشدة الارتماض(١) والقلق وحسن وصف القلب بالفراغ من الاشياء التي ذكرنا وإن كان مملوءاً باضدادها لأن تلك الأشياء من المحمودات واضدادها من المذمومات والممتلي من الاشياء المذمومة كالفارغ إذا كان امتلاؤه مما لا فائدة فيه ولا عائدة له .

٣٧٤ وقوله تعالى : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾

[القصص ـ الآية ٣٢]

وهذه استعارة والجناح ههنا عبارة عن اليد وقد اشرنا الى الكلام على نظيره فيما تقدم وقيل معنى ذلك أي سكن روعك وخفض جأشك من الرهب الذي أصابك والرعب الذي داخلك عند انقلاب العصا في هيئة الجان ولما كان من شأن الخائف القلق والانزعاج والتململ والاضطراب وصار(٢) ضم

---

(١) من رَمَض : الرَمَض : حرقة الغيظ . ارتمض لفلان أي حزن له الرماضة : الحدة وشدة الوقع .

(٢) لعل الواو من قوله (وصار) من زيادة الناسخ .

الجناح عبارة عن السكون بعد القلق والأمان بعد الغرق فأما قوله في صدر هذه الآية ﴿ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ فيقرب من أن يكون استعارة لأن اسلك ان كان بمعنى ادخل فإن أصلها مأخوذ من إدخال السلك وهو الخيط المستدق في خروق الخرز المنظومة فهو إذاً يفيد ادخال الشيء في الشيء المتضايق أو ادخاله على الوجه الشاق المستصعب وعلى هذا قوله تعالى ﴿ كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ﴾[1] أي أدخلنا القرآن في قلوبهم من جهة الأسماع على كرهمنها ادخالاً يشق وقد تقدم كلامنا على مثل هذا وكذلك قوله تعالى ﴿ ما سلككم في سقر ﴾[2] أي ما أدخلكم فيها على كره منكم ومشقة عليكم وعلى هذا قول الشاعر

وقد سلكوك في يوم عصيب

أي ادخلوك وأنت كاره له فيكون معنى قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ اسلك يدك في جيبك ﴾ فان[3] كنت على خوف واشفاق عند مشاهدة ما بدر عنك[4] من تلك الآيات القواهر والاعلام البواهر .

٣٧٥ ـ وقوله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص ـ الآية ٣٥]

وهذه استعارة والمراد بها تقويته على انفاذ الأمر وتأدية الوحي بأخيه لأن اشتداد العضد والساعد في قولهم عبارة عن القوة والجلد والقدرة على العمل الا ترى إلى قول الشاعر :

(١) سورة الشعراء الآية ٢٠٠ .
(٢) سورة المدثر الآية ٤٢ .
(٣) كذا في النسخة والظاهر ان الفاء من زيادة الناسخ .
(٤) كذا في النسخة ولعل الأصل ما قد راعك .

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني

ويروى فلما استد ساعده بالسين والأول أقوى وأظهر ولأن اشتداد العضد بمعنى القوة تمكن اليد من السطوة وتعينها على البسطة وهذا من عجيب الكلام .

٣٧٦ ـ وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ [القصص ـ الآية ٤٨]

على قراءة أهل الكوفة وهذه استعارة لان التظاهر الذي معناه المعاونة والمصاهرة[1] انما هو من صفات الاجسام والسحر عرض من الاعراض والمراد بذلك حكاية ما قاله المشركون في الكلام الذي جاء نبينا صلى الله عليه وآله بعد ما جاء به موسى عليه السلام من الآيات الباهرة والاعلام الظاهرة ومعنى تظاهرا أي تعاونا من طريق الاشتباه والتماثل وكان الثاني مصدقاً للأول والمتأخر مقوياً للمتقدم .

٣٧٧ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص ـ الآية ٥١]

وهذه استعارة والمراد بتوصيل القول[2] والله اعلم إرداف بعضه ببعض وتكرير بعضه على اعقاب بعض مظاهرة للحجة على سامعيه وابعاداً في منازع الاحتجاج على مخالفيه ليتذكروا بعد الغفلة وينتبهوا من الرقدة وذلك تشبيهاً بتوصيل الحبال بعضها ببعض عند ادلاء الدلو إلى الطوى البعيدة إلى ان يصل إلى الماء ويفضي إلى الرواء وهذا من دقيق المعاني .

٣٧٨ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [القصص ـ الآية ٥٤]

(١) لعل الأصل والمضافرة .
(٢) في النسخة بتوصيل القلب وهو وهم من الناسخ .

وهـذه استعارة لأن الحسنة والسيئة ليستا بجسمين يصح دفع احدهما بالآخر وإنما المراد والله أعلم انهم يختارون الافعال الحسنة على الافعال القبيحة فيكونون بذلك الاختيار كأنهم قد دفعوا السيئات بالحسنات عكساً لرقابها ورداً على اعقابها وقد يجوز أن يكون أيضاً معنى ذلك انهم يدفعون ضرر العقوبة بعاجلة التوبة لأن التوبة حسنة والعقوبة قد تسمى سيئة لانها جزاء على السيئة ولانها مضرة وان لم تكن قبيحة .

٣٧٩ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾

[القصص ـ الآية ٥٨]

وهـذه استعارة والمراد بها أهل القرية والبطر سوء احتمال النعمة حتى يستقلع مغارسها ويستنزع ملابسها وقد مضت الاشارة الى نظير ذلك فيما تقدم .

٣٨٠ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا ﴾

[القصص ـ الآية ٥٩]

وهـذه استعارة والمراد هٰهنا بأم القرى مكة على الأغلب وقال بعضهم المراد معظمها والمنظور إليها منها لأن ما هو دونها جار مجرى التبع لها ومثل ذلك قوله تعالى ﴿لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾(١) يريد مكة وإنما سميت مكة أم القرى لما ضمَّنته من بيت الله وحرمه ومهابط وحيه ومدارج أقدام رسله عليهم السلام فصارت من أجل ما ذكرناه كأنها كبيرة القرى وصارت القرى بالاضافة اليها صغاراً كصغر البنات إذا أضيفت إلى الأمهات .

٣٨١ ـ وقوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

[القصص ـ الآية ٦٦]

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٢ . وسورة الشورى الآية ٧ .

وهذه استعارة والكلام وارد في وصف أحوال الآخرة لأنه سبحانه يقول أمام هذه الآية ﴿ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين ﴾(١) ثم قال تعالى ﴿ فعميت عليهم الأنباء يومئذ ﴾ والمعنى أنهم إذا سئلوا في الآخرة عما اجابوا به انبياءهم في الدنيا لجلجوا(٢) المقال واخطأوا الجواب ولم يعلموا ما يقولون ولا عما يخبرون فكأن الانباء التي هي الاخبار عميت عليهم فكانوا لا يوجهون كلاماً إلا ضل عن طريق الحق ولا يخبرون خبراً إلا كان قاصراً عن غرض الصدق كالأعمى الذي لا يهتدي لقصد ولا يقوم على نهج وكأنهم حادوا عن الجواب لانسداد طرق الأنباء عليهم ولم يتساءلوك (٣) فيستخبر بعضهم بعضاً عن ذلك علماً منهم بقيام الحجة عليهم وعموم الحيرة لجميعهم وقد يجوز أن يكون لقوله تعالى ﴿ فعميت عليهم الأنباء يومئذ ﴾ وجه آخر هو أن يكون ذلك على معنى قول القائل خربت علي داري وموّت علي إبلي . أي خربت هذه وموّت هذه وجاءت لفظة عليَّ هٰهنا لاختصاص الضرر بصاحب الدار والابل فيكون المعنى أن الاخبار عميت في نفوسها أي لم تهتد إلى صدق ولم تنفذ في حق وقيل عليهم لاختصاص ضرر ذلك بهم لأن الحجة لزمتهم والاحتجاج قعد بهم ومثل ذلك قوله سبحانه في هذه السورة ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾(٤) لأن ضلال افترائهم في معنى عمى أنبائهم ومن الكنايات العجيبة عن الدعاء على قوم بعمى العيون قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كلام له يخاطب بعض اصحابه : « مالكم(٥) لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد » فكأنه عليه السلام قال لهم ما لكم أعمى الله عيونكم وقد ذكرنا هذا الكلام بتمامه في كتابنا الموسوم (بنهج البلاغة) وهو المشتمل على المختار من كلام امير المؤمنين عليه السلام في جميع اقسامه ومرامي اغراضه .

---

(١) الآية ٦٥ .

(٢) من لَجْلَج : تردد في الكلام .

(٣) كذا في النسخة والظاهر ان الكاف من تزيد الناسخ . والأرجح انها لم يتساءلوا .

(٤) الآية ٧٥ .

(٥) في النهج شرح الشيخ محمد عبده ج ١ ص ٢٣١ طبع مصر ما بالكم . . الخ

٣٨٢ -وقوله تعالى:﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ .

[القصص -الآية ٧٦]

وهذه الاستعارة على القلب لأن المراد أن العصبة أولي القوة تنوء بتلك المفاتح أي تنهض بها نهضاً متثاقلاً لكثرة أعدادها وثقل اعتمادها ولكن لما كانت هي السبب في نوء تلك العصبة بها على التثاقل من نهضها كانت كأنها هي التي تنوء بالعصبة أي تحوجها إلى النهوض على تلك الحال من المشقة .

٣٨٣ -وقوله تعالى:﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

[القصص -الآية ٨٨]

وهذه استعارة والوجه ههنا عبارة عن ذات الشيء ونفسه وعلى هذا قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الرحمن سبحانه﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾[1] أي ويبقى ذات ربك ومن الدليل على ذلك الرفع في قوله ذو الجلال والاكرام لأنه صفة للوجه الذي هو الذات ولو كان الوجه ههنا بمعنى العضو المخصوص على ما ظنّه الجهال لكان وجه الكلام أن يكون ويبقى وجه ربك ذي الجلال[2] والاكرام فيكون ذي صفة للجملة لا صفة للوجه الذي هو التخاطيط المخصوصة كما يقول القائل رأيت وجه الأمير ذي الطول والانعام ولا يقول ذا لأن الطول والانعام من صفات جملته لا من صفات وجهه ويوضح ذلك قوله في هذه السورة﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ﴾[3] لما كان الاسم غير المسمى وصف سبحانه المضاف اليه ولما كان الوجه في الآية المتقدمة هو النفس والذات قال تعالى﴿ ذو الجلال﴾ ولم يقل ذي الجلال والاكرام ويقولون عين الشيء ونفس الشيء على هذا النحو وقد قيل في ذلك

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧ .

(٢) في النسخة ذو الجلال .

(٣) سورة الرحمن الآية ٧٨ .

وجه آخر وهو أن يراد بالوجه ههنا ما قصد الله به من العمل الصالح والمتجر الرابح على طريق القربة وطلب الزلفة[1] وعلى ذلك قول الشاعر :

إستغفر الله ذنباً لست محصيه ... رب العباد اليه الوجه والعمل

أي اليه تعالى قصد الفعل الذي يستنزل به فضله ودرجات عفوه فأعلمنا سبحانه أن كل شيء هالك إلا وجه دينه الذي يوصل اليه منه ويستزلف عنده به ويجعل وسيلاً إلى رضوانه وسبباً لغفرانه .

(١) من زَلَفَ : درجة ، منزلة قُرْبة .

سورة العنكبوت

ومن السورة التي يذكر فيها العنكبوت

٣٨٤- قوله سبحانه: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[العنكبوت - الآية ٥]

وهذه استعارة لأن لقاء الله سبحانه على الحقيقة لا يصح وإنما المراد لقاء حسابه ولقاء جزائه وثوابه أو لقاء الوقت الذي جعله سبحانه وقت توفية الجزاء على اعمال العاملين وتوفير الاعواض على المعوضين وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ الذين يظنون انهم ملاقو ربهم وانهم اليه راجعون ﴾[1] وكل ما اورد في القرآن من ذكر لقاء الله تعالى فالمراد به المعنى الذي ذكرناه والله أعلم ومن كلام العرب لقينا خيراً ولقينا شراً وليس شيء من ذلك مما يرى بعين ولا يواجه بوجه وإنما المراد اصابنا هذا واصابنا هذا .

٣٨٥- وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً ﴾

[العنكبوت - الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد أنكم خلقتم من الاصنام صوراً أي قدرتموها على اختياراتكم وأصل الخلق التقدير ثم جعلتموها آلهة تعبدونها والاله المعبود إنما هو الخالق لا المخلوق والصانع لا المصنوع فكأنه قال انكم جعلتم كذباً من الآله تعبدونه من دون الله والافك ههنا هو الكذب وقال بعضهم معنى

(١) سورة البقرة الآية ٤٦ .

تخلقون إفكاً أي تصنعون الكذب على مواقع ارادتكم وتضعونه مواضع شهواتكم .

٣٨٦- قوله سبحانه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

[العنكبوت - الآية ٤٥]

وهذه استعارة والمراد بها أن الصلاة لطف في الامتناع من المعاصي فأقيمت مقام الزاجر الناهي لأن فيها من ذكر الله تعالى وتلاوة كلامه وما فيه من بشائر ثوابه ونذائر عقابه ما هو أدعى الدواعي الى الطاعات وأقوى الصوارف عن المقبحات .

٣٨٧- وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

[العنكبوت - الآية ٦٤]

وهذه استعارة والحيوان ههنا مصدر كالحياة والدار التي هي دار الآخرة لا يجوز وصفها على الحقيقة بأنها حياة وإنما المراد أن الخلق يحيون فيها حياة دائمة لا موت بعدها ولا انفصال لها فلما كانت الحياة الدائمة فيها حسن أن توصف بها على طريق المبالغة لأن الصفات بالمصادر تفيد المبالغة في معاني تلك الاشياء الموصوفة .

٣٨٨- وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ .

[العنكبوت - الآية ٦٧]

وهذه استعارة وهي في معنى الاستعارة التي تقدمتها على حد سواء لأن الحرم لا يصح وصفه بالأمن على الحقيقة وإنما يأمن الناس فيه فلاتصال هذه الحال ودوامها واختصاص الحرم بين المواضع بها حسن أن يوصف بالأمن على طريق المبالغة ولذلك نظائر في القرآن كثيرة .

(سورة الروم)

ومن السورة التي يذكر فيها الروم .

٣٨٩ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ [١] المُجْرِمُونَ ﴾ .

[الروم ـ الآية ١٢]

وهذه استعارة والمراد بقيام الساعة حضور وقتها والاجل المضروب لها وعلى هذا قولهم قد قامت السوق أي حضر وقتها الذي يتحرك فيه اصحابها ويستمر بيعها وشراؤها وعلى هذا المعنى سميت القيامة وقد يجوز ايضاً أن تكون تسميتها بذلك لقيام الناس فيها على اقدامهم قال سبحانه ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[٢] فأما قوله في هذه السورة ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾[٣] فمعناه أنها تتماسك بأمره في مناطاتها وتقف على مستقراتها ومثل ذلك قول القائل إنما يقوم أمر فلان بكذا يريد أنه إنما يتماسك به وليس هناك في الحقيقة قيام يشار اليه فأما قوله تعالى في هذه السورة ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ﴾[٤] فالمراد به اتبع طرائق الدين قاصداً إلى سمته غير منحرف عنه إلى غيره ومنه قول العرب قد استقام المنسم إذا سارت الابل في طريق واضح لا جوانح له ولا معادل فيه والمعنى قوّم وجهك على الدين اللاحب[٥] ومنهج الحق الواضح وقوله تعالى في هذه الآية دليل على أن

(١) من بلس : بَلِسَ : انكسر وحزن . قَلّ خيره . تحيّرَ في امره . يئس من رحمة الله .
(٢) سورة المطففين الآية ٦ .
(٣) الآيـة ٢٥
(٤) الآيـة ٣٠ .
(٥) من لَحَبَ : لَحَبَ الطريق : سلكه . أوضحه .

الدين القيم راجع في المعنى إلى ما ذكرناه والمراد به أنه مستقيم بغير اعوجاج ومنتصب بغير اضطراب وقوله تعالى من بعد ﴿ وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾[١] قريب في المعنى مما تقدم لأن المراد بذلك لا يخلو من أحد الأمرين إما ان يكون أراد تعالى باقامة الصلاة القيام لاوقاتها لأن القيام من أعظم اركان الصلاة وإما أن يكون اراد تأديتها على واجبها واخلاصها من كل ما يعود بفسادها وذلك كقولهم أقام فلان قناة الدين أي اظهر أمره ووالى نصره ورمى الاعداء عنه ووقم[٢] الاضداد دونه وجميع هذه الالفاظ المذكورة نظائر وهي بأجمعها استعارات لا حقائق وإنما اوردناها في نسق واحد لاتفاق ورودها في سورة واحدة .

٣٩٠ ـ وقوله تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً ﴾ . [الروم ـ الآية ٣٢]

على قراءة من قرأ فرقوا لا فارقوا وهذه استعارة لأن الدين على الحقيقة لا يتأتى فيه التفريق وإنما المراد والله أعلم انهم لما افترقوا في دينهم بمذاهب مختلفة وطرائق متباينة كانوا كأنهم قد فرقوه فرقاً وجعلوه شيعاً فحسن وصفهم بذلك .

٣٩٢ ـ وقوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِم سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ .

[الروم ـ الآية ٣٥]

وهذه استعارة والمراد بالسلطان ههنا البرهان على أحد التأويلين وهو الحق الذي يتسلط به الانسان على مخالفه ويظهر على منازعه وإنما وصفه سبحانه بالكلام لظهور حجته وقوة دعوته فكأنه ناطق ومدافع مناضل .

٣٩٣ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِنْ رِبا لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللهِ ﴾ . [الروم ـ الآية ٣٩]

(١) الآية ٣١ .
(٢) من وقم: اوقم الرجل : قهره . وردّه عن حاجته اقبح الردّ .

على قراءة من قرأ ليربو بالياء وهذه استعارة والمراد بالربا ههنا المال الذي يعطيه الانسان غيره ليعطيه اكثر منه على الوجه المنهى عنه وأصل الربو الزيادة والكثرة وإنما سمي المال المعطى الذي يلتمسون به الزيادة ربا لأنه جعل غرضه لطلب الزيادة ووصلته إليها علة لها فحسن تسميته بذلك للسبب الذي ذكرناه ومعنى قوله تعالى ﴿ ليربو في أموال الناس ﴾ أي ليزيد في أموال الناس وليس قوله سبحانه ههنا بمعنى ليكون مدداً لأموال الناس فتزيد به وإنما المعنى يزيد هو بدخوله في اموال الناس ودخوله فيها هو أنّ صاحبه يعطيه الناس ليأخذ منهم اكثر منه ، فإذا ما كره[1] وأراد التعويض عنه بالقدر الزائد عليه كان كأنه قد ربا أي كثر بحصوله في اموال الناس لأن كثرته وإضعافه كان السبب فيها[2] كونه في اموال الناس على الوجه الذي بيناه وهذا من غوامض المعاني ومن الشواهد على بيان ربا بمعنى الزيادة والكثرة في كلامهم قول يزيد بن مفرغ الحميري :

وكم عطايا له ليست مكدرة   لا بل تفيض كفيض المسبل الرابي

يريد البحر فسماه رابياً لكثرة مائه وارتفاع امواجه .

٣٩٣-وقوله سبحانه:﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنْفُسِهِم يَمْهَدُونَ ﴾.

[الروم ـ الآية ٤٤]

وهذه استعارة ومعنى يمهدون ههنا أي يوطئون لجنوبهم ويمكنون لاقدامهم عند مصارع الموت ومواقف البعث وذلك كناية عن تقديم العمل الصالح والمتجر الرابح تشبيهاً بمن وطأ لمضجعه بالفرش الوثيرة والنمارق[3] الكثيرة .

(١) كذا في النسخة

(٢) ولم تكن لفظة (فيها) واضحة وضوحاً تاماً .

(٣) من النُمْرُق : الوسادة الصغيرة يُتكأ عليها .

٣٩٤ ـ وقوله تعالى:﴿ وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ ﴾.

[الروم ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد بها ما جرت به العادة من هبوب الرياح أمام الغيوث وأن ذلك يقوم مقام النطق البشار والوعد بالامطار المتوقعة بين يدي الرحمة والرحمة في كثير من الآيات كناية عن الغيث وعلى ذلك قوله تعالى في هذه السورة﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾[1] وقرىء« أثر رحمة الله»أي إلى ما كان يعقب الغيوث من منابت الاعشاب واكتساء القيعان .

٣٩٥-وقوله تعالى:﴿ الله الَّذِي يُرسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيفَ يَشَاءُ ﴾.

[الروم ـ الآية ٤٨]

وهذه استعارة والمراد باثارتها السحاب انها تلفق قطعه وتوصل منقطعه وتستخرجه من غيوبه وتظهره بعد غيوضه تشبيهاً بالقانص[2] أي ينهضه من مجاثمه ويبرزه عن مكانه لتراه عينه فيتأتي لقنصه ويتمكن من فرصه .

(١) الآية ٥٠ .

(٢) في النسخة القابض.

سورة لقمان

ومن السورة التي يذكر فيها لقمان

٣٩٦-قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.

[لقمان ـ الآية ٦]

وهذه استعارة والمراد بالاشتراء ههنا الاستبدال بالشيء من غيره وكذلك البيع للشيء يكون بمعنى استبدال غيره منه فكأن المذموم بهذا الكلام استبدال لهو الحديث من سماع القرآن والتأدب بآدابه والاعتلاق بأسبابه ويدخل تحت لهو الحديث سماع الغناء والحداء(١) والافاضة في الهزل والفحشاء وما يجري هذا المجرى . ويروى عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾** قال هو شراء القينات وقيل ان ذلك نزل في النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد الدار بن قصي وكان يبتاع الكتب وفيها أحاديث الأكاسرة وأنباء الأمم الخالية ويقرأها على قريش إلهاءً لهم عن سماع القرآن وتدبره بزعمه وحيداً لهم عن تأمل قوارعه وزواجره .

٣٩٧-وقوله سبحانه:﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

[لقمان ـ الآية ٧]

وهذه استعارة لأن البشارة في العرف إنما تكون بالخير والسعادة والمسرَّة

(١) من حدأ : حدأ الشيء عنه : صرفه .

لا بالشر والمضرَّة لكن ابلاغهم الوعيد بالعقاب لما كان كابلاغهم الوعد بالثواب في تقدم الخبر به جاز أن يسمى هذه العلة باسمه وكان أبو العباس المبرِّد يذهب بذلك مذهباً حسناً فيقول إن لفظ البشارة مأخوذ من البشرة فكان المخبر لغيره بخبر النفع والخير أو خبر الشر والضر يلقي في قلبه من كلا الأمرين ما يظهر تأثيره في بشرة وجهه فان كان خيراً ظهرت تباشير المسرة وإن كان شراً ظهرت فيه علامات المساءة فحسن على هذا المعنى أن تستعمل البشارة في الشر والضر كما تستعمل في النفع والخير .

٣٩٨-وقوله تعالى :﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ .

[لقمان ـ الآية ١٨]

وقرىء « ولا تصاعر » وهذه استعارة وأصل الصعر داء يأخذ الابل في رؤوسها حتى تقلب أعناقها فكأنه أمره أن لا يشمخ بأنفه ويعرض بوجهه من الكبر تشبيهاً بالبعير إذا أصابه ذلك الداء ومن صفات الكبر رفع الطرف حتى كأنه معقود بالسماء وعلى ذلك قول كثير في صفة قوم بالكبر :

تراهم إذا ما جئتهم فكأنما　　يشيمون أعلى عارض متراكب

أي يرفعون رؤوسهم كبراً ويطمحون بأبصارهم عجباً وقال شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني أنشدنا أبو علي الفارسي هذا البيت وقال يصلح أن يجعل في مقابلة قوله تعالى **﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ﴾**(١) لأن البيت في صفة المتكبرين بالغيرة(٢) والآية في صفة الخاشعين بالذلة وهما في طرفين وسبيلين مختلفين والبيت المتقدم ذكره أنشدنا(٣) أبو الفتح عن أبي علي على ما ذكرته وهو قوله :

يشيمون أعلا　عارض متراكب

(١) سورة الشورى الآية ٤٥ .
(٢) كذا في النسخة والظاهر ان الأصل بالعزة .
(٣) لعل الأصل أنشدناه .

والصحيح أعلا عارض متنصب لأن هذه القصيدة مدح بها كثير عبد الملك بن مروان وتالي البيت المذكور قوله :

يردون(1) شزراً والعيون طوامح ... بأبصارهم آفاق شرق ومغرب

وأنشده منشد عمر بن عبد العزيز فقال هجانا ورب الكعبة يريد أنه وصفهم بالكبر المفرط والطماح المشرف(2).

٣٩٩-وقوله سبحانه:﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾.

[لقمان - الآية ١٩]

وهذه استعارة لأن اصل الغض الحطُّ من منزلة علية إلى منزلة دنيَّة يقال غض فلان من فلان إذا فعل به ذلك قولاً وفعلاً وغضَّ طرفه إذا كسره وضعَّفه أي فكأنه قال وحطَّ صوتك من حال الارتفاع إلى حال الانخفاض اخباتاً لله وتطامناً لأولياء الله .

(١) نرجح ان يكون الفعل يرودون .

(٢) نظن أن الأصل المسرف .

سورة السجدة

ومن السورة التي يذكر فيها السجدة

٤٠٠ - قوله تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾.

[السجدة - الآية ٨]

وهذه استعارة لأن المهين لا يكون بحقيقته إلا الانسان قال الله تعالى ﴿ **أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين** ﴾(1) وقال تعالى : ﴿**ولا تطع كل حلاف مهين**﴾(2) ومهين فعيل من المهنة وهي الخدمة يقال مهن القوم يمهنهم مهنة إذا خدمهم والمهنة بكسر الميم خطأ فيكون معنى من ماء مهين على ما قدمناه أي من ماء مستذل لأن ماهن القوم إذا خدمهم يكون ذليلاً لهم ومبتذلاً بينهم .

٤٠١-وقوله تعالى:﴿ أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾.

[السجدة - الآية ١٠]

وهذه استعارة لأنها عبارة عن حال الموت والميت لا يوصف بالضلال الذي هو المتاه والضياع فكأن المعنى إذا دفنّا في الارض فكنا كالشيء الضال الضائع لتفرق أوصالنا وتمزق أعضائنا تستأنف بعد هذه الحال اعادتنا

(١) سورة الزخرف الآية ٥٢

(٢) سورة القلم الآية ١٠ .

وتستجد حياتنا كأنهم قالوا على سبيل الاستبعاد وأخرجوه مخرج الاستطراف والاستغراب فأعلمهم الله سبحانه أنهم لا يضلون عن علمه ولا يلطفون عن جمعه وإن صاروا رميماً وترابا وفرقاً وأوزاعاً وفي عرف كلام العرب ان كل شيء غلب عليه[1] حتى يغيّبه باشتماله عليه فقد ضل فيه ويسمون الدافنين للأموات مضلّين لأنهم يغيبونهم في الأرض قال النابغة الذبياني في ذلك :

فآب[2] مضلّوه بعينٍ جليَّة وغودر بالجولان حزم ونائل

يريد دافنيه وحكى الأصمعي أنه رواه مصلّوه بالصاد وفتحها والمصلي الوارد بعد السابق قال فكأن المعنى أن ناعيه الاول جاء بنعيه فشك في قوله ثم جاء الثاني بجملة الخبر فوقع العلم وارتفع الشك والعين الجلية الواضح الذي يتجلى بعد خفائه أو يجلو الشك بعد التباسه وأنشد للمخبّل السعدي يمدح قيس بن عاصم المنقري :

أضلت بنو قيس ابن سعدٍ عميدها وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

أي دفنته في التراب وغيبته في الارض .

٤٠٢ ـ وقوله سبحانه :﴿ فَلَهُم جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[السجدة ـ الآية ١٩]

وقد تقدم مثل هذه اللفظة في بعض السور المتقدمة ولم نشر إليه إذ كان في الأشهر بين التأويل خارجاً عن الاستعارة لأنه عند عامة المفسرين بمعنى المنزل والنزول فكأنه تعالى قال كانت لهم جنان الفردوس منزلاً ينزلونه وقراراً يستوطنونه فلما بلغنا الى هذا الموضع من هذه السورة نظرنا فاذا لهذه اللفظة مجاز آخر يدخلها في حيّز الاستعارة فذكرناها لهذه العلة وهو أن لفظ

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل (كل شيء غلب عليه شيء حتى الخ)

(٢) لم يذكر الشطر الأول من البيت في النسخة كاملاً ونحن أثبتناه كما في ديوانه طبعة مصر ص ٦١ .

[illegible]

نزوله فيجوز أن يكون معنى قوله تعالى ﴿ فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون ﴾ أي قرى معداً كما يقرى الضيوف لأنهم ضيفان الله تعالى في جناته وجيرانه في داره ليس أن هناك قرباً بمسافة ولا وصفاً في أداء إقامة وإنما أوجب هذا الاختصاص في قولنا ضيفان الله وجيران الله لأنهم نزول في الدار التي لا يملك الحكم فيها غيره ولا يتسلط عليها إلا سلطانه كما قيل إن قريشاً كانوا يسمون قطين الله إذ كانوا جيران بيته الذي اختصه وفرض على الناس حجه ومن الشاهد قول عبد الله بن قيس الرقيات :

أتانا رسول من رقيّة ناصح بأن قطين الله بعدك سيّرا

يريد أهل مكة وحكى ابن الزبير قال سمعت حسان بن ثابت ينشد هذا البيت في جملة قصيدته الميمية على قوله :

لنا حاضرٌ فخم وباد كأنه قطين إله عزةً وتكرما

قال فغيره الرواة فيها بعد حسداً لقريش فقالوا :

شماريخ رضوى عزة وتكرما

وأي تكرم للجبال .

٤٠٣ ـ وقوله سبحانه :﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَاءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ .

[السجدة ـ الآية ٢٧]

وقد أشرنا إلى هذه اللفظة أنها مستعارة واطلعنا خبيّها ونشرنا مطويها في سورة الكهف فلا حاجة الى إعادة ذلك .

سورة الاحزاب

ومن السورة التي يذكر فيها الأحزاب

٤٠٤ ـ قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ .

[الأحزاب ـ الآية ١٠]

وهاتان استعارتان فأما قوله تعالى ﴿وإذا زاغت الأبصار﴾ فالمراد به تشتت ألحاظها وعدولها عن جهة استقامتها نظراً إلى مطالع الخوف وجزعاً من مواقع السيف ومن عادة الخائف المتوقع أن يكثر التفاته وتتقسم ألحاظه. وأما قوله ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ فالمراد به والله أعلم انتفاخ الرئات من الرعب ومن قولهم للخائف الجبان انتفخ سحره والسحر الرئة وكني عنها بالقلب لتجاورهما في الجوف ويجوز أن يكون المراد بذلك نبوّ القلوب عن أماكنها وانزعاجها من معاطنها[١] لشدة الرعب وعلو الكرب فاذا انزعجت القلوب عن مستقراتها فانما تطلب صعداً فلذلك حسن أن يقال ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ ويجوز أن تكون القلوب ههنا كناية عن النفوس ويكون معنى بلوغها الحناجر مقاربتها الخروج من عظيم الجزع وشدة الهلع .

٤٠٥ ـ وقوله سبحانه: ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً ﴾ .

[الأحزاب ـ الآية ١٣]

(١) المَعْطن : من عطن : مَبْرَك الإبل (المكان)

وهذه استعارة لأن المراد بالعورة ههنا الموضع الذي يتوقى منه الرجل في الحرب والغيلة يقال أعور فلان لعدوه أي أمكنه من ظهره ومنه قولهم رجل مُعْوِر أي مكشوف العيوب لمن أراد عيبه وأصله مأخوذ من عورة الانسان وهي ما يستفحش ظهوره للناس فكان المعنى أن بيوتنا مكشوفة وللغارة معرَّضة لأن يدخل منها العدو إلى المدينة فصارت بمنزلة العورة للمدينة كما يخاف الرجل في الحرب أن يؤتى من عورة ويرى من موضع غفلة .

٤٠٦ ـ وقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ .

[الأحزاب ـ الآية ١٩]

وهذه استعارة والمراد بسلقوكم ههنا طعنوكم بألسنتهم وغمروكم بذمهم وعيبهم وأصل السلق شدة وقع الصوت ومنه خطيب سلاق ومسلاق وقال الأعشى :

فيحم الخصب والسماحة والنجدة   فيهم والخطاب السلاّق

ويروى المسلاق وعندي أن ذلك مأخوذ من قولهم سلق الراكب ظهر البعير إذا أدبره يسلقه سلقاً فيكون قوله تعالى ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ أي أثروا فيكم بأقوالهم وحزوا في قلوبكم بكلامهم كما أثر هذا الراكب في ظهر البعير بادمان السير وانماط الرحل ووصف الألسنة بالحدة محض الاستعارة تشبيهاً لها بمضارب الصفاح ولهاذم[١] الرماح لشدة وخزها في القلوب وحزها في الجنوب .

٤٠٧ ـ وقوله تعالى[٢]: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ .

[الأحزاب ـ الآية ٢٦]

(١) من لَهْذَم : الحادُّ القاطع من السيوف والأسنَّة والأنياب .

(٢) الى هنا انتهى النقص الذي في ط .

وهذه استعارة والمراد بها أنه تعالى ألقى الرعب في قلوبهم من أثقل جهاته وعلى افظع بغتاته تشبيهاً بقذفة الحجر إذا صكت الانسان على غفلة منه فان ذلك يكون املأ لقلبه وأشد لروعه .

٤٠٨ -وقوله سبحانه: ﴿ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا ٱلعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٣٠]

وهذه استعارة على قراءة من قرأ مبينة بكسر الياء فكأنه تعالى جعل الفاحشة تبين حال صاحبها وتشير إلى ما يستحقه من العقاب عليها وهذا من أحسن الاغراض وأنفس جواهر الكلام .

٤٠٩ -وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُم وَلَكِنْ رَسُولَ ٱللهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٤٠]

على قراءة من قرأ خاتم ففتح التاء وكسرها والمعنيان متفقان وهذه استعارة والمراد بها أن الله تعالى جعله صلى الله عليه وآله حافظاً لشرائع الرسل عليهم السلام وكتبهم وجامعاً لمعالم دينهم وآياتهم كالخاتم الذي يطبع به على الصحائف وغيرها ليحفظ ما فيها ويكون علامة عليها وفيه ايضاً معنى آخر وهو أن الخاتم الذي يختم به ما يكتب بعد الفراغ من كتابته على الأغلب فكأنه من هذا الوجه يدل على أن الله سبحانه بعثه بعد تقضي مباعث الرسل وانقطاع إرسالهم إلى الأمم ولم يبق منهم من يرجى مورده ولا ينتظر مولده .

٤١٠ -وقوله تعالى: ﴿ وَدَاعِياً إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد بالسراج المنير ههنا أنه صلى الله عليه وآله يهتدى به

في ضلال الكفر وظلام الغي كما يستصبح بالشهاب في الظلماء وتستوضح الغرة في الدهماء .

٤١١ -وقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٧٢]

وهذه استعارة وللعلماء في ذلك أقوال نحن نستقصي ذكرها عند البلوغ اليها من الكتاب الكبير بتوفيق الله ومشيئته إلا أننا نشير إلى بعض ذلك ههنا إشارة تليق بغرض هذا الكتاب في طريقة الاختصار وحذف الاكثار قال بعضهم المراد بذلك أهل السماوات والأرض والجبال فحذف[1] لفظ الأهل اختصاراً لدلالة[2] الكلام عليه وذلك كقوله تعالى ﴿ وآسأل القرية ﴾ أي أهلها ﴿ والعير ﴾ أي ركبانها وكقولهم صلى المسجد فلما حذف الأهل اجري الفعل على لفظ السماوات والأرض والجبال فقيل ﴿ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴾ كقوله تعالى ﴿ ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴾ ؛ أي من أهل القرية فلما حذف الأهل أجري الفعل على القرية فقيل كانت تعمل الخبائث رداً على أهل القرية وهذا موضع حسن وقال بعضهم المراد بذلك تفخيم شأن الامانة وأن منزلتها منزلة ما لو عرض على هذه الأشياء المذكورة مع عظمها وكانت تعلم ما فيها لأبت أن تحملها واشفقت كل الاشفاق منها إلا أن هذا الكلام خرج مخرج الواقع لأنه ابلغ من المقدر وقال بعضهم عرض الشيء على الشيء ومعارضته سواء[4] والمعارضة والمقابلة والمقايسة والموازنة بمعنى واحد فأخبر الله تعالى عن عظم أمر الأمانة وثقلها وأنها إذا قيست بالسماوات والارض والجبال ووزنت بها رجحت عليها ولم تطق حملها ضعفاً عنها وذلك معنى قوله تعالى ﴿ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ﴾ ومن كلامهم فلان يأبى الضيم إذا كان

(١) ط . اغلب كلمات هذا المورد مطموسة الحروف

(٢) ط . بدلالة .

(٣) ن . معارضته بغير حرف العطف .

(٤) ن . خلت من (سواء)

لا يحتمله[1] فالاباء ههنا هو[2] لا يقام بحمل الشيء والاشفاق في هذا الموضع هو الضعف عن الشيء ولذلك كني به عن الخوف الذي هو ضعف القلب فقالوا فلان مشفق من كذا أي خائف منه يقول تعالى : فالسماوات والأرض والجبال لم تحمل الأمانة ضعفاً عنها وحملها الانسان أي تقلدها وتطوّق[3] المآثم فيها للمعروف من كثرة جهله وظلمه لنفسه .

(١) ن . لا يحمله .

(٢) ن . خلت من (هو) ونظن الأصل أن تكون ان المصدرية بين هو ولا يقام .

(٣) ط . تطرق .

سورة سبأ

ومن السورة التي يذكر فيها سبأ

٤١٢ ـ قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ الآية .

[سبأ ـ الآية ٢٣]

وهذه استعارة على قراءة من قرأ فزّع بالزاي والعين وفرغ بالراء والغين فالمراد بقراءة من قرأ بالعين غير المعجمة أي ازيل الفزع عن قلوبهم كما تقول قذّيت عينه إذا ازلت القذى[1] عنها وهو كقولهم رغب عنه إذا رفعت الرغبة عنه خلافاً لقولهم رغب فيه إذا صرفت الرغبة اليه فالرغبة في أحد الامرين منعطفة وفي الآخر منصرفة . والمراد بقراءة من قرأ فرّغ بالغين المعجمة قريب من المراد بالقراءة الأولى كأنه سبحانه قال حتى إذا أخرج ما كان في قلوبهم من الخوف والوجل ففرّغت منها وإنما قال عن قلوبهم لأنه تعالى اقام ذلك مقام التفريج عن قلوبهم فكما حسن أن يقال فرّج عن قلبه فكذلك حسن أن يقال فرّغ عن قلبه وهذا موضع سرٍ لطيف ومعنى عجيب .

٤١٣ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

[سبأ ـ الآية ٣١]

وهذه استعارة والمراد بها ما تقدم القرآن من الكتب فكأنها كانت مشيرة اليه ومطرّقة بين يديه وقد مضى الكلام على نظائر ذلك .

(١) القذى : التراب المدقق .

٤١٤ ـ وقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً ﴾.

[سبأ ـ الآية ٣٣]

والمراد بمكر الليل والنهار ما وقع(١) من مكرهم في الليل والنهار فأضاف تعالى المكر اليهما لوقوعه فيهما وفيه ايضاً زيادة فائدة وهي دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلاً غير منقطع في الليل والنهار كما يقول القائل: ما زال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بني فلان وهذا دليل على اتصال سيرهم في الليل والنهار من غير اغباب(٢) ولا إراحة ركاب.

٤١٥ ـ وقوله سبحانه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾(٣).

[سبأ ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد أنه عليه السلام بعث ليقدم الانذار أمام وقوع العقاب إزاحة للعلة وقطعاً للمعذرة وقد تقدمت اشارتنا إلى نظائر هذه الاستعارة في عدة مواضع من هذا الكتاب.

٤١٦ ـ وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(٤).

[سبأ ـ الآية ٤٩]

وهذه استعارة لأن الابداء والاعادة يكونان في القول ويكونان في الفعل فأما كونهما في الفعل فقوله تعالى ﴿ وهو الذي يبدىء الخلق ثم يعيده ﴾(٥) وأما

(١) ط. ما يتوقع.

(٢) من غَبَّ: تتأنى.

(٣) ن. خلت من شرح هذه الآية.

(٤) ن. لم يذكر فيها الآية وإنما ذكر شرحها.

(٥) سورة الروم الآية ٢٧ ولفظها: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ ونظن انه اراد التمثيل بالآية ١٩ من سورة العنكبوت ولفظها: ﴿ أو لم يروا كيف يُبدئ الله الخلق ثم يعيدُهُ ﴾ ويبدو ان هناك خطأ من النساخ.

كونهما في القول فإن القائل يقول سكت فلان فلم يعد ولم يبدء أي لم يتكلم ابتداء ولا احار جواباً وهاتان الصفتان يستحيل(١) أن يوصف بهما الباطل الذي هو عرض من الأعراض إلا على طريق الاتساع والمجاز وإنما المراد أن الحق قوي وظهر والباطل ضعف واستتر ولم يبق له بقية يقوي بها ضعفه وينجبر بعد وهنه أي ما تقوم له قائمة في بدء ولا عود والبدء الحال الأولى والعود الحال الأخرى وكذلك الابداء والاعادة ويجوز أن يكون لذلك وجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الباطل كان عند غلبة الحق وظهوره بمنزلة الواجم الساكت(٢) الحائر الذاهل الذي لا قدرة له(٣) على الحجاج ولا قوة له على الانتصار كقولهم سكت فما اعاد ولا أبدى عند وصف الانسان بالحيرة وغلبة الفكرة وقد قيل في ذلك ايضاً وجه آخر يخرج به الكلام عن حيز(٤) الاستعارة وهو أن يكون المراد أن صاحب الباطل لا يبدي ولا يعيد عند حضور صاحب الحق ضعفاً(٥) عن حجاجه وضلالاً عن منهاجه فجعل المضاف ههنا في موضع المضاف اليه وذلك كثير في كلامهم.

٤١٧ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾.

[سبأ ـ الآية ٥٣]

وهذه استعارة والمراد بذلك والله أعلم انهم يقولون ما لا يعلمون ويظنون ولا يتحققون وهم بمنزلة الرامي غرضاً بينه وبينه مسافة متباعدة فلا يكون سهمه ابداً إلا قاصراً عن الغرض وعادلاً عن السدد.

(١) ن. مستحيل.

(٢) ن. الساكن.

(٣) ن. الذاهل الذي لا قدرة له على الانتصار كقولهم.

(٤) ن. عن حد الاستعارة.

(٥) ن. ضعيفاً.

سورة فاطر

ومن السورة التي يذكر فيها الملائكة (وهي فاطر)

٤١٨ -قوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ .

[فاطر -الآية ١٠]

وهذه استعارة وليس المراد أن هناك على الحقيقة شيئاً يوصف بالصعود ويرتقي من سفال إلى علو وإنما المراد ان القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله عز وجل واصلان اليه سبحانه بمعنى أنهما يبلغان رضاه وينالان زلفاه وانه تعالى[١] لا يضيعهما ولا يهمل الجزاء عليهما وهذا كقول القائل لغيره قد ترقى إلى الأمير ما فعلته[٢] أي بلغه ذلك على وجهه وعرفه على حقيقته وليس يريد به الارتقاء الذي هو الارتفاع وضده[٣] الانخفاض ووجه آخر قيل ان معنى ذلك صعود الاقوال والاعمال إلى حيث لا يملك الحكم فيه إلا الله تعالى كما يقال ارتفع أمر القوم إلى القاضي إذا انتهوا إلى أن يحكم بينهم ويفصل خصامهم . ووجه آخر قيل ان الله سبحانه لما كان موصوفاً بالعلو على طريق الجلال والعظمة لا على طريق المدى والمسافة فكلما يتقرب به من قول زكي وعمل مرضي فالاخبار عنه يقع بلفظ الصعود والارتفاع على طريق المجاز والاتساع .

---

(١) ن . والله تعالى .

(٢) ط . خلت من (ما فعلته)

(٣) ن . خلت من (وضده الانخفاض)

٤١٩ -وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ .

[فاطر -الآية ١٨]

وقد مضى نظير هذا الكلام في الانعام وفي بني اسرائيل وتركنا الاشارة اليه هناك وجاءت في هذا الموضع زيادة حققت الكلام بالاستعارة فاحتجنا إلى العبارة عنها اسوة بنظائرها فنقول ان قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل حاملة حمل غيرها يوم القيامة يقال وزر يزر وزراً اذا حمل والاسم الوزر ومن ذلك أخذ اسم الوزير لأنه حامل الثقل عن الأمير والمعنى ولا يحمل مذنب ذنب غيره ولا يؤخذ بجرمه وجنايته والزيادة في هذا الموضع قوله تعالى ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾[١] فشبَّه سبحانه استغاثة المثقل من الآثام باستغاثة المثقل من الأعباء لأن من عادة من تلك حاله أن يطلب من يشاطره الحمل ويخفف عنه الثقل فأما في ذلك اليوم فلا تهمُّ كل امرىء إلا نفسه ولا يعنيه إلا أمره ولا يعين أحد أحداً ولا يخفف مدعو من داع ثقلاً ولو كان أولى الناس بأمره وأقربهم التياطاً به وانتياطاً بنسبه وإنما قال سبحانه﴿ مثقلة ﴾ولم يقل مثقل لأنه ردَّ ذلك الى النفس ولم يردده الى الشخص .

٤٢٠ ـ وقوله تعالى:﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

[فاطر -الآية ٤٣]

وهذه استعارة والمراد أن الله تعالى يعاقب المشركين على مكرهم بالمؤمنين فكأنما مكروا بأنفسهم ووجهوا الضرر اليهم لا الى غيرهم إذ كان[٢] المكر عائداً بالوبال عليهم ومعنى ﴿ولا يحيق﴾ أي لا يحل[٣] ولا ينزل ولا يحيط إلا بهم وهذه الالفاظ بمعنى واحد .

---

(١) الآية ١٨ نفسها .

(٢) ن . اذا

(٣) ط . أي لا يجعل .

سورة يس

ومن السورة التي يذكر فيها يس

٤٢١ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾.

[يس - الآيتان ٧ / ٩]

وهاتان استعارتان ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الكلام كله في اوصاف القوم المذمومين وهم في احوال الدنيا دون الآخرة ألا ترى قوله تعالى[1] بعد ذلك ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ واذا كان الكلام محمولاً على احوال الدنيا دون الآخرة وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام اليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالاغلال ولا مضروباً عليهم بالأسداد علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾[2] فكأن ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الاذقان ولي الاعناق ذهاباً عن الرشد واستكباراً عن الانقياد للحق وضيق صدورهم بما يرد عليهم من صوادع البيان وقوارع القرآن وقد اختلف في معنى الاقماح فقال قوم هو غض الابصار واستشهدوا بقول بشر بن أبي حازم في ذكر السقيفة :

ونحن على جوانبها قعود ... نغض الطرف كالابل القماح

(١) ن . ألا تراه تعالى يقول .
(٢) البقرة ، الآية ٧ .

وقال قوم المقمح الرافع رأسه صعدا فكأن هؤلاء المذمومين شبّهوا على المبالغة في وصف تكارههم للايمان وتضايق صدورهم لسماع القرآن بقوم عوقبوا فجذبت أعناقهم بالاغلال الى صدورهم مضمومة اليها ايمانهم ثم رفعت ليكون ذلك أشد لايلامهم وأبلغ في عذابهم . وقيل أن المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه فكأنه جامع بين الصفتين جميعاً وقيل ان قول تعالى ﴿فهي الى الأذقان﴾ يعني به ايمانهم[1] المجموعة بالاغلال الى أعناقهم فاكتفى بذكر الأعناق من الايمان لأن الاغلال تجمع بين الايمان والاعناق وكذلك معنى السد المجعول بين أيديهم ومن خلفهم إنما هو تشبيه بمن قصر خطوه وأخذت عليه طرقه ولما كان ما يصيبهم من هذه المشاق المذكورة والاحوال المذمومة وإنما هو عقيب تلاوة القرآن عليهم ونفث قوارعه في أسماعهما حسن أن يضيف سبحانه ذلك الى نفسه فيقول « إنا جعلناهم على تلك الصفات » وقد قرىء سداً بالفتح وسداً بالضم وقيل ان السد بالفتح ما يصنعه الناس والسد بالضم ما يصنعه الله تعالى وقال بعضهم المراد بذكر السد ههنا الاخبار عن خذلان الله اياهم وتركه نصرهم ومعونتهم كما تقول العرب في صفة الضال المتحير فلان لا ينفذ في طريق يسلكه ولا يعلم أمامه أم وراؤه خير له وعلى ذلك قول الشاعر :

فأصبح لا يدري وإن كان حازماً ... أقدامه خيرٌ له أم وراؤه

وأما قوله سبحانه ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ فهو أيضاً في معنى الختم والطبع وواقع على الوجه الذي يقعان عليه وقد تقدم ايماؤنا اليه .

٤٢٢ - وقوله سبحانه: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾.

[يس - الآية ٣٧]

وهذه استعارة والمراد نخرج منه النهار ونستقصي تخليص أجزائه من

(١) ن . الايمان .
(٢) ن . خلت من (هذه) .

أجزائه[1] حتى لا يبقى من ضوء النهار شيء مع ظلمة الليل فاذا الناس قد دخلوا في الظلام وهذا معنى قوله تعالى ﴿ فإذا هم مظلمون ﴾ كما يقال أفجروا اذا دخلوا في الفجر وانجدوا واتهموا اذا دخلوا نجداً وتهامة . والسلخ اخراج الشيء مما لابسه والتحم به فكل واحد من الليل والنهار متصل بصاحبه اتصال الملابس بأبدانها والجلود بحيوانها ففي تخليص أحدهما من الآخر حتى لا يبقى معه منه طرف عليه منه أثر آية باهرة ودلالة قاهرة فسبحان الله رب العالمين .

٤٢٣ ـ وقوله سبحانه في ذكر البعث: ﴿ **قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا * هَـٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ .

[يس ـ الآية ٥٢]

وهذه استعارة لأن المرقد ههنا عبارة عن الممات فشبهوا حال موتهم بحال نومهم لأنها أشبه الاشياء بها وكذلك شبّه حال الاستيقاظ بحال الاحياء والانشار وعلى ذلك قوله عليه السلام « انكم تموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون » وقال بعضهم الاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة لأن النوم أكثر من الموت والاستيقاظ أكثر من الاحياء بعد الموت لأن الانسان الواحد يكرر عليه النوم واليقظة مرات وليس كذلك حال الموت والحياة .

٤٢٤ ـ وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ** ﴾ .

[يس ـ الآية ٦٦]

وهذه استعارة والمراد بالطمس ههنا اذهاب نور الأبصار حتى يبطل ادراكها تشبيهاً بطمس حروف الكتاب حتى تشكل قراءتها وفيه ايضاً زيادة معنى لأنه يدل على محو آثار عيونهم مع اذهاب إبصارها وكسف أنوارها وقيل معنى الطمس إلحام الشقوق التي بين الاجفان حتى تكون مبهمة لا شق فيها ولا شفر لها يقولون : أعمى مطموس وطميس اذا كان كذلك .

(١) ط . خلت من (أجزائه)

٤٢٥ ـ وقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ** ﴾ .

[يس ـ الآية ٦٨]

وقرىء ننكسه بالتشديد وهذه استعارة والمراد والله أعلم انّا نعيد الشيخ الكبير الى حال الطفل الصغير في الضعف بعد القوة والتثاقل بعد النهضة والاخلاق بعد الجدة تشبيهاً بمن انتكس على رأسه فصار أعلاه سفلاً وأسفله علواً .

٤٢٦ ـ وقوله تعالى: ﴿ **لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ .

[يس ـ الآيه ٧٠]

وهذه استعارة والمراد بالحي ههنا الغافل الذي يستيقظ اذا اوقظ وتعظ إذا وعظ فسمى تعالى المؤمن[2] الذي ينتفع بالانذار حياً لنجاته وسمى الكافر الذي لا يصغي الى الزواجر ميتاً لهلكه[3] .

٤٢٧ ـ وقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾ .

[يس ـ الآية ٧١]

وهذه استعارة والمراد بذكر الايدي ههنا قسمان من أقسام اليد في اللغة العربية إما ان تكون بمعنى القوة أو بمعنى تحقيق الاضافة فكأنه سبحانه « أو لم يروا أنا خلقنا لهم أنعاماً اخترعناها بقوة تقديرنا ومتقن تدبيرنا » أو يكون المعنى أن هذه الانعام مما تولينا خلقه من غير أن يشاركنا فيه أحد من

(١) ن . البصر .
(٢) ط . للون (كذا)
(٣) ن . لهلكته .

المخلوقين لأن المخلوقين(١) قد يعملون سفائن البحر ولا يعملون سفائن البر المذللة ظهورها والمحللة لحومها فهذا وجه فائدة الاضافة في قوله تعالى ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ والله تعالى أعلم .

(١) ن . خلت من (لأن المخلوقين)

سورة الصافات

ومن السورة التي يذكر فيها الصافات

٤٢٨ -قوله تعالى:﴿ وَعِنْدَهُم قَاصِراتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ .

[الصافات _ الآيتان ٤٨ _ ٤٩]

وهذه استعارة والمراد بالقاصرات(١) الطرف ههنا اللواتي جعلن نظرهن مقصوراً على ازواجهن أي حبسن النظر عليهم فلا يتعدينهم إلى غيرهم وجيء بذكر الطرف على طريق المجاز وإلا فحقيقة المعنى أنهن حبسن الأنفس على الأزواج عفة وديناً وطلقاً(٢) وصوناً وإنما وقعت الكناية عن هذا المعنى بقصر الطرف لأن طماح(٣) الأعين في الاكثر يكون سبباً لتتبع النفوس وتطرب القلوب وعلى هذا قوله الشاعر :

وكنت اذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

والطرف ههنا واحد في تأويل الجمع(٤) ونظيره قوله تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾(٥) أي على اسماعهم أو مواضع استماعهم .

(١) ن . بقاصرات .

(٢) كذا في ن . وفي ط . حلفا ولعل الأصل طهراً .

(٣) من طمَح : بصره اليه أي ارتفع ونظره شديداً . استشرف له وطمح بانفه . شمخ . وطَمَحَتْ المرأة زوجها : جمحت فهي طامح .

(٤) ط . الجميع .

(٥) البقرة الآية ٧ .

سورة ص

ومن السورة التي يذكر فيها ص

٤٢٩ ـ قوله تعالى:﴿ وَفِرعَونُ ذُو ٱلأَوتَادِ ﴾ .

[ص ـ الآية ١٢]

وهذه استعارة على بعض الأقوال وهو أن يكون معنى ذي الاوتاد[1] ذا الملك الثابت والأمر الواطد والاسباب التي يثبت بها السلطان كما يثبت الخباء[2] بأوتاده ويقوم على أعماده وقد يجوز ايضاً أن يكون معنى ذي الاوتاد ذا الأبنية المشيَّدة والقواعد الممهدة التي تشبَّه بالجبال في ارتفاع الرؤوس ورسوخ الأصول لأن الجبال قد تسمى[3] أوتاد الأرض قال الله سبحانه : ﴿ والجبالَ أوتاداً ﴾[4] .

٤٣٠ ـ وقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ .

[ص ـ الآية ١٥]

وقرىء فُواق بالضم وقد قيل انهما لغتان وذلك قول الكسائي وقال ابو عبيدة من فتح أراد ما لها من راحة ومن ضم أراد ما لها في إهلاكهم من مهلة بمقدار فواق الناقة وهي الوقفة التي بين الحلبتين والموضع الذي يحقق فيه الكلام بالاستعارة على قراءة من قرأ من فواق بالفتح أن يكون سبحانه وصف

(١) ط . يعني ذو الملك .

(٢) ط . الجنايا .

(٣) ط . لم يرد فيها (قد)

(٤) النبأ ، الآية ٥٣ .

تلك الصيحة بأنها لا افاقة من سكرتها ولا استراحة من كربتها كما يفيق المريض من علته والسكران من نشوته والمراد أنه لا راحة للقوم منها فجعل تعالى الراحة لها على طريق المجاز والاتساع ومثله كثير في الكلام .

٤٣١ ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسعٌ وَتِسعُونَ نَعجَةً وَلِيَ نَعجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكفِلنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلخِطَابِ ﴾ .

[ص ـ الآية ٢٣]

هذا الكلام داخل في حيز الاستعارة لأن النعاج ههنا كناية عن النساء وقد جاء في أشعارهم الكناية عن المرأة بالشاة وعلى ذلك قول الأعشى :

يا شاة ما قنص لمن حلت له   حرمت عليَّ وليتها لم تحرم

وربما سموا الظبية نعجة والظبية مشبهة بالمرأة فتكون اللفظة مستعارة على هذا التركيب وإنما شبهت النساء بالنعاج لأن النعاج يرتبطن للاحتلاب والاستنتاج والنساء يصطفين للاستمتاع والاستيلاد .

٤٣٢ ـ وقوله تعالى في ذكر الخيل حاكياً عن سليمان عليه السلام لما عرضت عليه فكاد أن يفوته للشغل بها وقت صلاة كان يصليها فضرب رؤوسها وعراقيبها[1] بالسيف على ما وردت به الاخبار:﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلأَعنَاقِ ﴾ .

[ص ـ الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن المسح ههنا في أكثر أقوال أهل التأويل[2] كناية عن الضرب بالسيف ومن قولهم[3] مسح علاوته إذا ضرب رأسه بالسيف وامتسح رأسه إذا فعل به مثل[4] ذلك وهذه الباء ههنا للالصاق فكأنه تعالى قال

(١) عراقيب : « العرقوب عصب غليظ فوق العَقِب .

(٢) ن . التنزيل .

(٣) طه . خلت من (ومن قولهم مسح علاوته إذا ضرب رأسه بالسيف) .

(٤) ط . لم ترد فيها (مثل) .

« فالصق السيف بسوقها وأعناقها » كما يقول القائل « مسحت يدي بالمنديل » أي الصقتها به وعلى ذلك قول الشاعر[١]:

نمشُ بأعراف الجياد أكفّنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مصهب

أي نلصق أيدينا بأعرافها كما نلصقها بالمناديل التي نمسح بها الايدي وقد صرح بذلك الشاعر الآخر[٢]:

(أعرافهن لأيدينا مناديل)[٣]

والشاهد الأعظم على ذلك ما ورد في التنزيل من قوله سبحانه ﴿ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾[٤] وعلى قراءة من قرأ أرجلِكم جرّاً أي الصقوا المسح بهذه المواضع وهذه الآية يستدل بها أهل العراق على ان استيعاب الرأس بالمسح ليس بواجب خلافاً لقول مالك وقال الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ادام الله توفيقه عند بلوغي في القراءة عليه من مختصر أبي جعفر الطحاوي إلى هذه المسألة سألت أبا علي الفارسي النحوي وأبا الحسن علي بن عيسى الرّماني هل يقتضي ظاهر الآية الصاق الفعل بجميع المحل أو بالبعض فقالا جميعاً اذا التصق الفعل ببعض المحل تناوله الاسم قال وهذا يدل على الاقتصار على مسح بعض الرأس كما يقول اصحابنا .

٤٣٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَا إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾.

[ص -الآية ٤٥]

(١) الشاعر هو امرؤ القيس .

(٢) هو عبدة بن الطبيب .

(٣) صدر البيت (ثُمّتَ قمنا الى جرد مسوّمة)

(٤) سورة المائدة الآية ٦ .

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم أولي القوة[١] في العبادة والبصائر في الطاعة ولا يجوز أن يكون المراد بالابصار ههنا الجوارح والحواس لأن سائر الناس يشاركون الانبياء عليهم السلام في خلق ذلك لهم ولا يحسن مدح الانسان بأن له يداً وقدماً وعيناً وفما وإنما يحسن أن يمدح بأن له نفساً شريفة وهمة منيفة[٢] وأفعالاً جميلة وأخلاقاً[٣] محمودة وقيل ايضاً أولي الأيدي أولو النعم في الدين لأن ورود اليد بمعنى النعمة مشهور في كلامهم فكأنهم اسدوا الى الناس أيدياً بدعائهم إلى الايمان وانفلاتهم من حبائل الضلال[٤] وأما قوله تعالى في هذه السورة ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾[٥] فقد مضى الكلام على قوله تعالى في يس ﴿ **أو لم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون** ﴾[٦] ما هو عينه الكلام على هذا الموضع فلا فائدة في إعادته وجملته ان المراد بقوله ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ مزية الاختصاص بخلق آدم عليه السلام من غير معونة معين ولا مظاهرة ظهير .

(١) ط . القوي .

(٢) همة منيفة : تامة الطول والحسن .

(٣) ط . خلالاً .

(٤) ن . الشيطان في الدين .

(٥) الآية ٧٥ .

(٦) الآية ٧١ .

سورة الزمر

ومن السورة التي يذكر فيها الزمر

٤٣٤ - قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱللَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱللَّيْلِ ﴾

[الزمر - الآية ٥]

وهذه استعارة والمعنى يعلي هذا على هذا وهذا على هذا وذلك مأخوذ من قولهم كار العمامة على رأسه يكورها اذا أدارها عليه وقد قالوا[1] طعنه فكوره أي صرعه ومنه قول أبي كبير الهذلي :

متكورين على المعادي بينهم ضرب كتعطاط المزاد الاثجل

ومنه الحديث المأثور « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أي من الادبار بعد الاقبال وقيل من القلة بعد الكثرة لأنهم يسمون القطيع الكثير من البقر وغيرها كوراً ومنه قول أبي ذؤيب في صفة الثور :

ولا شبوب من الثيران أفرده عن كوره كثرة الاغراء والطرد

أي عن سربه الكثير فيجوز أن يكون المعنى ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ على قول من يقول طعنه فكوره يريد فصرعه أي يلقي الليل على النهار ويكون المعنى على قول من يذهب إلى أن الكور اسم

(١) ن . وقد يقال .

للكثرة أي يكثر اجزاء الليل حتى يخفى ضوء النهار وتغلب ظلمة الليل ويكور النهار على الليل أي يكثر اجزاء النهار حتى تظهر وتنتشر وتتلاشى اجزاءه وتضمحل .

٤٣٥ - وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .

[الزمر - الآية ٤٢]

وفي هذا الكلام استعارة خفية وذلك أن قوله تعالى ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ أي يقبضها والتي لم تمت في منامها منسوق عليه وظاهر الخطاب أنه سبحانه يتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ايضاً ونحن نجد امارة بقاء نفس النائم في جسده بأشياء كثيرة منها ظهور التنفس والحركة وحذف لسانه بالكلمة بعد الكلمة وغير ذلك مما يجري مجراه فيكون معنى توفي النفس النائمة ههنا اقتطاعها عن الافعال التمييزية والحركات الارادية كالعزوم والقصود وترتيب القيام والقعود إلى غير ذلك مما في معناه وقال بعضهم الفرق بين قبض النوم وقبض الموت أن قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد الحياة[1] وقبض النوم تكون الروح معه في البدن وقبض الموت تخرج الروح معه من البدن .

٤٣٦ - وقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ .

[الزمر - الآية ٥٦]

وهذه استعارة وقد اختلف في المراد بالجنب ههنا فقال قوم معناه في ذات الله وقال قوم معناه في طاعة الله وفي أمر الله إلا أنه ذكر الجنب على مجرى العادة في قولهم هذا الأمر صغير[2] في جنب ذلك الأمر أي في جهته لأنه إذا

(١) ط . خلت من (يضاد الحياة)

(٢) ط . صغيال كذا .

عبر عنه بهذه العبارة دل[1] على اختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته وقال بعضهم معنى[2] في جنب الله أي في سبيل الله أو في الجانب الاقرب إلى مرضاته بالأوصل إلى طاعاته ولما كان الأمر كله يتشعب إلى طريقين : إحداهما هدىً ورشاد والأخرى غيّ وضلال وكل واحد منهما مجانب لصاحبه أي هو في جانب والآخر في جانب وكان الجنب والجانب بمعنى واحد حسنت العبارة ههنا عن سبيل الله بجنب الله على النحو الذي ذكرناه .

٤٣٧ ـ وقوله سبحانه: ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ ﴾ .

[الزمر ـ الآية ٦٣]

وهذه استعارة والمقاليد المفاتيح وواحدها مقليد وواحد الاقاليد إقليد وهما بمعنى واحد وقال غيره واحدها قلد على غير قياس وقال أبو عمرو بن العلاء ووجهه في العربية أن يكون الواحد على لفظ مقلد ثم يجمع مقالد فمن شاء أن يشبع كسرة اللام قال مقاليد كما يقال درهم ودراهيم قال وسمعت أبا المنذر يقول واحد المفاتيح مفتاح وواحد المفاتح مفتح والمعنيان جميعاً واحد والمراد بمقاليد السموات والارض ههنا والله اعلم أي مفاتح خيراتها ومعادن بركاتها من ادارار الامطار وايراق الاشجار وسائر وجوه المنافع وعوائد المصالح وقد وصف تعالى السماء في عدة مواضع بأن لها خزائن وابواباً فحسن على مقتضى الكلام أن توصف بأن لها مقاليد واغلاق قال تعالى﴿ لا تُفتح لهم أبواب السماء﴾[3] وقال تعالى﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾[4] وقال عز من قائل ﴿ ولله خزائن السموات والأرض ﴾[5] وقالوا خزائن السماوات الامطار وخزائن الارض النبات وقد يجوز ان يكون معنى ﴿ له مقاليد السماوات والأرض ﴾ أي طاعة السموات والارض ومن فيهن كما يقال القى فلان الى

(١) ط . ودل على .
(٢) ن . خلت من لفظة (معنى)
(٣) الأعراف ، الآية ـ ٤٠ .
(٤) القمر ، الآية ١١ .
(٥) المنافقون ، الآية ـ ٧ .

فلان مقاليده أي اطاعه وفوض امره اليه وعلى ذلك قول الاعشى :

فتى لو ينادي الشمس القت قناعها ... او القمر الساري لألقى المقالدا

أي لسلّم العلو اليه واعترف له به وقال بعض العلماء ليس قول الشاعر ههنا ينادي الشمس من النداء الذي هو رفع الصوت وإنما هو من المجالسة تقول ناديت فلاناً اذا جالسته في النادي فكأنه قال لو يجالس الشمس لألقت قناعها شغفاً به وتبرجاً له وهذا من غريب القول .

٤٣٨ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلقِيَمَةِ وَٱلسَّموَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِه ﴾ .

[الزمر ـ الآية ٦٧]

وهاتان استعارتان ومعنى « قبضته » ههنا أي ملك له خالص[1] قد ارتفعت عنه أيدي المالكين من بريته والمتصرفين فيه من خليقته وقد ورث تعالى عباده ما كان ملكهم في دار الدنيا من ذلك فلم يبق ملك إلا انتقل ولا مالك إلا بطل وقيل ايضاً معنى ذلك ان الأرض في مقدوره كالذي يقبض عليه القابض ويستولي عليه كفه ويحوزه ملكه ولا يشاركه فيه غيره ومعنى قوله ﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ أي مجموعات[2] في ملكه ومضمونات بقدرته واليمين ههنا بمعنى الملك بقول القائل هذا ملك يميني وليس يريد اليمين التي هي الجارحة وقد يعبرون عن القوة ايضاً باليمين فيجوز على هذا التأويل أن يكون معنى قوله تعالى ﴿مطويات بيمينه ﴾ أي يجمع اقطارها ويطوي انتشارها بقوته كما قال سبحانه﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ وقيل لليمين ههنا وجه آخر وهو ان يكون[3] بمعنى القسم لأنه تعالى لما قال في سورة الأنبياء[4] ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا

(١) ط . وخالص .
(٢) ن . خلت من (أي مجموعات في ملكه ومضمونات بقدرته)
(٣) ن . خلت من (أن يكون)
(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٤ .

إنا كنا فاعلين﴾ كان التزامه تعالى فعل ما أوجبه على ونفسه بهذا الوعد كأنه قسم اقسم به ليفعلن ذلك فأخبر سبحانه في هذا الموضع من السورة الأخرى إنّ ﴿ السماوات مطويات بيمينه ﴾ اي بذلك الوعد الذي ألزمه نفسه تعالى وجرى مجرى القسم الذي لا بد أن يقع الوفاء به والخروج منه والاعتماد على القولين المتقدمين اولى .

سورة المؤمن (١)

ومن السورة التي يذكر فيها المؤمن

٤٣٩ -قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ .

[المؤمن - الآية ٧]

وهذه استعارة لأن حقيقة السعة إنما توصف بها الأوعية والظروف التي هي اجسام ولها اقدار ومساحات والله سبحانه يتعالى عن ذلك والمراد والله اعلم أن رحمتك وعلمك وسعا كل شيء فنقل الفعل إلى الموصوف على جهة المبالغة كقولهم طبت بهذا الأمر نفساً وضقت بهذا ذرعاً أي طابت نفسي وضاق ذرعي وجعل العلم موضع المعلوم كما جاء قوله سبحانه﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء**﴾ (٢) أي بشيء من معلومه .

٤٤٠ - وقوله تعالى:﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ .

[المؤمن - الآية ١٥]

وفي هذه الآية استعارتان :إحداهما قوله تعالى ﴿ **رفيع الدرجات**﴾ والمعنى أن منازل العز ومراتب الفضل التي يخص بها عباده الصالحين وأولياءه المخلصين رفيعة الاقدار مشرفة المنار فالدرجات المذكورة هي التي يرتفع عباده اليها لا التي يرتفع هو بها تعالى عن ذلك علواً وكبيراً . والاستعارة

(١) وتسمى أيضاً سورة غافر .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥

الأخرى(١) قوله سبحانه ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ والروح ههنا كناية عن الوحي كقوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾(٢) وإنما سمي روحاً لأن الناس يحيون به من موت الضلالة وينشرون من مدافن الغفلة وذلك أحسن تشبيه واوضح(٣) تمثيل .

٤٤١ ـ وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .

[المؤمن ـ الآية ١٩]

وهذه استعارة والمراد بخائنة الاعين والله اعلم الريب في كسر الجفون ومرامز العيون وسمى سبحانه ذلك خيانة لأنه أمارة للريبة ومجانب للعفة وقد يجوز أن تكون خائنة الأعين ههنا صفة لبعض الأعين بالمبالغة(٤) في الخيانة على المعنى الذي أشرنا إليه كما يقال علاّمة ونسّابة وانشدوا قول الشاعر في ذلك :

حدَّثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة المغل الاصبع

أي لم يكن موصوفاً في الخيانة ومعنى مغل الاصبع أي سارق مختلس فأضاف الاغلال الى الاصبع كما اضاف الآخر الخيانة إلى اليد في قوله(٥) :

اوليت العراق ورافديه ... فزاريا أحذَّ يد القميص

أي خفيف اليد في السرقة والأحذ الخفيف السريع وعنى برافديه دجلة والفرات وإنما ذكرت اليد والاصبع في هذين البيتين لأن فعل السارق والمختلس في الاكثر إنما يكون باستعمال يده واستخدام اصابعه .

(١) ط . خلت من (الأخرى) .
(٢) سورة الشورى الآية ٥٢ .
(٣) ن . وأصح تمثيل .
(٤) ن . المبالغة .
(٥) البيت هو للفرزدق .

سورة حمٓ(١)

ومن السورة التي يذكر فيها (حم) التي تجب فيها السجدة

٤٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ .

[السجدة ـ الآية ٥]

وهذه استعارة والاكنّة جمع كنان وهو الستر والغطاء مثل عنان وأعنة وسنان وأسنّة وليس هناك على الحقيقة شيء مما اشاروا اليه وإنما اخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على استثقالهم ما يسمعونه من قوارع القرآن وبواقع(٢) البيان فكأنهم من قوة الزهادة فيه وشدة الكراهية له قد وقرت اسماعهم عن فهمه واكنّت قلوبهم دون علمه وذلك معروف في عادة الناس أن يقول القائل منهم لمن يشنأ(٣) كلامه ويستثقل خطابه ما اسمع قولك ولا اعي لفظك وإن كان صحيح حاسة السمع إلا أنه حمل الكلام على الاستثقال والمقت وعلى هذا قول الشاعر :

وكلام سيء قد وقرت ... أذني عنه وما بي من صمم

٤٤٣ ـ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَو كَرهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ .

[السجدة ـ الآية ١١]

(١) حم السجدة وتسمى أيضاً فصلت
(٢) ن . توافع .
(٣) من شنأ : شَنِيء كان مكروهاً ولو جميلاً .

وهذه استعارة وليس هناك على الحقيقة قول ولا جواب وإنما ذلك عبارة عن سرعة تكوين السموات والأرض كما قال تعالى :﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾(1) ولو لم يكن المراد ما ذكرنا لكان في هذا الكلام أمر للمعدوم وخطاب لغير الموجود وذلك يستحيل من فعل الحكيم سبحانه ومعنى قوله تعالى ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ انهما جرتا(2) على المراد ووقفتا عند الحدود والاقدار من غير معاناة طويلة ولا مشقة شديدة فكانتا في ذلك جاريتين مجرى الطائع المميز إذا انقاد إلى ما أمر به ووقف عند ما وقف عنده وقال بعضهم معنى قوله سبحانه ﴿ ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ أي كونا على ما اريد منكما من لين وشدة وسهل وحزونة وصعب وذلول ومبرم وسحيل والكره والشدة بمعنى واحد في اللغة العربية يقول القائل منهم لغيره أنا اكره فراقك أي يصعب عليَّ أن افارقك وقال سبحانه ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾(3) أي شديد عليكم ومعنى الطوع ههنا التسهيل(4) والانقياد من غير ابطاء ولا اعتياص(5) وإنما قال سبحانه ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ وكان وجه الكلام أن يكون طائعتين أو طائعات رداً على التأنيث(6) فالمراد به والله اعلم عند بعضهم قالتا أتينا بمن فينا من الخلق طائعين . فكان طائعين وصفاً للخلق المميزين لا وصفاً للسماوات والأرضين وقال بعضهم لما تضمن الكلام ذكر السموات والأرض في الخطاب لهما والكناية عنهما بما يخاطب به اهل التميز ويكنى به عن السامعين الناطقين اجريتا في رد الفعل اليهما مجرى العاقل اللبيب والسامع المجيب وذلك مثل

(1) سورة النحل الآية ٤٠ .
(2) ن . حدنا .
(3) سورة البقرة الآية ٢١٦ .
(4) التشهد
(5) ن . ولا اعتراض .
(6) ط . على معنى التأنيث .

قوله تعالى ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾(1) ولو اجري اللفظ على حقيقته وحمل على محجته لقيل ساجدات ولكن المراد بذلك لما كان ما أشرنا اليه حسن ان يقال ساجدين وطائعين .

٤٤٤ ـ وقوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ .

[السجدة ـ الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد بالعمى(2) ههنا ظلام البصيرة والمتاه في الغواية فإن ذلك اخف على الانسان وأشد ملاءمة(3) للطباع من تحمل مشاق النظر والتلجج في غمار الفكر .

٤٤٥ ـ وقوله تعالى:﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

[السجدة ـ الآية ٢٣]

وهذه استعارة لأن الظن الذي ظنوه على الحقيقة لم يردهم بمعنى لم يهلكهم وإنما اهلكهم الله سبحانه جزاء على ما ظنوه من الظنون السيئة ونسبوه اليه من الافعال القبيحة فلما كان ذلك الظن سبباً في هلاكهم جاز أن ينسب اليه الهلاك الواقع بهم .

٤٤٦ ـ وقوله تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ .

[السجدة ـ الآية ٣٩]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها في الحج إلا أن ههنا زيادة وهي صفة الأرض بالخشوع كما وصفت(4) هناك بالهمود واللفظان جميعاً

(1) سورة يوسف الآية ٤ .
(2) ن . بها .
(3) ط . ملامة .
(4) ن . وصف .

يرجعان إلى معنى واحد وهو ما يظهر على الارض من آثار الجدب واعلام المحل فتكون كالانسان الخاشع[1] الذي قد سكنت اطرافه وتطأطأ استشرافه .

٤٤٧ -وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

[السجدة - الآيتان ٤١ / ٤٢]

وهذه استعارة وقد قيل فيها اقوال منها أن يكون المراد بذلك أن هذا الكتاب لا يشبهه شيء من الكلام المتقدم له ولا يشبهه شيء من الكلام الوارد بعده وهذا معنى ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ لأنه لو اشبهه شيء من الكلام المتقدم أو الكلام المتأخر لأبطل معجزته وخصم حجته فكان الباطل قد أتاه من إحدى الجهتين المذكورتين إما من جهة أمامه وإما من جهة ورائه وهذا معنى عجيب وقال بعضهم معنى ذلك أنه لا تعلق به الشبهة من طريق المشاكلة ولا الحقيقة من جهة المناقضة فهو الحق الخالص الذي لا يشوبه شائب ولا يلحقه باطل[2] وقال بعضهم معنى ذلك أن الشيطان والانسان لا يقدران ان ينتقصا منه حقاً ولا يزيدا فيه باطلاً وقال بعضهم معنى ذلك أنه لا باطل فيه من الاخبار عما كان وما يكون فالمراد بقوله سبحانه ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي من جهة ما اخبر عنه من الأمور المتوقعة .

٤٤٨ -وقوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ .

[السجدة - الآية ٤٤]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم صفتهم بالتباعد عن طريق الرشد والاعراض عن دعاء الحق فكأنهم من شدة الذهاب بأسماعهم والانصراف

(١) ن . الجامع .
(٢) ط . طلب .

بقلوبهم ينادون من مكان بعيد فالنداء غير مسمع لهم ولا واصل اليهم ولو سمعوه لضل عنهم فهمه للأمد المنفرج بينهم وبينه .

٤٤٩ -وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ .

[السجدة - الآية ٥١]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم[1] صفة الدعاء بالسعة والكثرة وليس المراد[2] العرض الذي هو ضد الطول وذلك أن صفة الشيء بالعرض يفيد فيه معنى الطول لأنه لو لم يكن مع العرض[3] طول لكان العرض هو الطول ألا ترى انهم يصفون الرمح بالطول ولا يصفونه[4] بالعرض اذ كان طوله اضعاف عرضه ويصفون الازار[5] بأنه عريض إذ كان عرضه مقارباً لطوله وقد استقصينا شرح ذلك في كتابنا الكبير واقتصرنا منه ههنا على البلغة[6] الكافية والنكتة[7] الشافية .

(١) ط . خلت من (والله علم) .
(٢) ط . يراد .
(٣) ن . مع الدهر كذا .
(٤) ن . ولا يصفون .
(٥) من ازر : جمع آزرة وأُزر : وهو كل ماسترك ، الملحفة ، العفاف .
(٦) ط . على اللغة .
(٧) ن . والركية الساقية .

سورة الشورى

ومن السورة التي يذكر فيها الشورى وهي (حٰمٓ * عٓسٓقٓ)

٤٥٠ ـ قوله تعالى:﴿ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ .

[الشورى ـ الآية ١٣]

وهذه استعارة والمراد باقامة الدين اعلان شعاره واعلاء مناره والدوام على اعتقاده والثبات على العمل بواجباته وقد مضى الكلام على نظائر هذه الاستعارة فيما تقدم .

٤٥١ ـ وقوله تعالى:﴿ حُجَّتُهُم داحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِم ﴾ .

[الشورى ـ الآية ١٦]

وهذه استعارة والدحض الزلق فكأنه تعالى قال حجتهم ضعيفة غير ثابتة وزالة(١) غير متماسكة كالواطىء الذي تضعف قدمه فيزلق(٢) عن مستوى الأرض ولا يستمر على الوطء وداحضة ههنا بمعنى مدحوضة وإذا نسب الفعل اليها في الدحوض كان أبلغ في ضعف سنادها ووهاء عمادها فكأنها هي المبطلة لنفسها من غير مبطل ابطلها لظهور أعلام الكذب فيها وقيام شواهد التهافت عليها واطلق سبحانه اسم الحجة عليها وهي مشبهة لاعتقاد المدلي بها أنها حجة وتسميته لها بذلك في حال النزاع والمناقلة وايضاً

(١) ن . غير ثابت وزائلة غير متماسكة .

(٢) ن . خلت من هذه الجملة (فيزلق عن مستوى الأرض ولا يستمر على الوطيء)

فان المتكلم بها لما اوردها مورد الحجة واسلكها طريقها وأقامها مقامها جاز أن يطلق عليها اسمها .

٤٥٢ ـ وقوله تعالى:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنيَا نُؤْتِهِ مِنهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ .

[الشورى ـ الآية ٢٠]

وهذه استعارة والمراد بحرث الآخرة والدنيا كدح الكادح لثواب الآجلة او حطام العاجلة فهذا من التشبيه العجيب والتمثيل المصيب لأن الحارث المزدرع إنما يتوقع عاقبة حرثه فيجني ثمرة غراسه(١) ويفوز(٢) بعوائد ازدراعه وقيل معنى ﴿نزد له في حرثه﴾ أي نعطيه بالحسنة عشراً إلى ما شئنا من الزيادة على ذلك ومن عمل للدنيا دون الآخرة أعطيناه نصيباً من الدنيا دون الآخرة .

٤٥٣ ـ وقوله تعالى:﴿ وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهوَ ٱلوَلِيُّ ٱلحَمِيدُ ﴾ .

[الشورى ـ الآية ٢٨]

وهذه استعارة وليس المراد أنه هناك كانت رحمة(٣) مطوية فنشرت وخفية فأظهرت(٤) وإنما معنى الرحمة ههنا الغيث(٥) المنزل لاحياء الارض واخراج النبت ونشره عبارة عن اظهار النفع به وتعريف الخلق عواقب المصالح بوقعه .

٤٥٤ ـ وقوله تعالى:﴿ وَتَرَاهُم يُعرَضُونَ عَلَيهَا خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ .

[الشورى ـ الآية ٤٥]

(١) ن . غرسه .

(٢) ن . ويعود بعوائد .

(٣) رحمة كانت

(٤) ن . فظهرت .

(٥) ن . خلت من (الغيث)

وهذه استعارة وقد أشرنا اليها فيما تقدم لمعنى جر ذكرها والمراد بذلك أن تنظرهم نظر الخائف الذليل والمرتاب الظنين فهو لا ينظر إلا مسترقاً ولا يغض إلا مشفقاً وهذا معنى قولهم فلان لا يملأ عينيه من فلان إذا وصفوه بعظم الهيبة له أو شدة المخافة منه وكأنهم[1] لا ينظرون بمتسعات عيونهم وإنما ينظرون بشفافاتها[2] من ذلهم ومخافتهم وقد يجوز أن يكون الطرف ههنا بمعنى العين نفسها[3] فكأنه تعالى وصفهم بالنظر من عين ضعيفة على المعنى الذي أشرنا اليه أو يكون الطرف مصدراً لقولك طرفت اطرف طرفاً إذا لحظت فيكون المعنى أن لحظهم خفي لأن نظرهم استراق كما قلنا أولاً من عظيم الخيفة وتوقع العقوبة .

(١) ط . فكأنهم .

(٢) الشفافات وأحدتها الشفافة كالكناسة ومعناها البقية .

(٣) ن . بعينها .

سورة الزخرف

ومن السورة التي يذكر فيها الزخرف)

٤٥٥ - قوله تعالى:﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُم قَوماً مُسرِفِينَ ﴾ .

[الزخرف - الآية ٥]

وهذه استعارة ويقال ضربت عنه واضربت عنه بمعنى واحد وسواء قولك ذهبت عنه صفحاً واعرضت عنه صفحاً وضربت واضربت عنه صفحاً ومعنى صفحاً ههنا أي اعترضت عنه بصفحة وجهي والمراد والله اعلم أفنضرب عنكم بالذكر فيكون الذكر مروراً لصفحه عنكم من اجل اسرافكم وبغيكم أي لسنا نفعل ذلك بل نوالي تذكيركم لتتذكروا ونتابع زجركم لتنزجروا ولما كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بأعراض الصفحة كان الكلام محمولاً على وصف الذكر بذلك على طريق الاستعارة .

٤٥٦ - وقوله تعالى:﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ .

[الزخرف - الآية ١١]

وهذه استعارة وقد مضى مثلها فيما تقدم إلا أن ههنا إبدال لفظة مكان لفظة لأن ما مضى من نظائر هذه الاستعارة إنما كان[1] يرد بلفظ إحياء الأرض من[2] بعد موتها وورد ذلك ههنا بلفظ الانشار بعد الموت وهو ابلغ

(١) ط . يكون .

(٢) ط . بعد موتها بدون حرف الجر .

لأن الانشار صفة تختص به الاعادة بعد الموت والاحياء قد يشترك فيه ما يعاد من الحيوان بعد موته وما يعاد من النبات والاشجار بعد يبسه[1] وجفوفه يقال قد أحيى الله الشجر كما يقال قد أحيى البشر ولا يقال انشر الله النبات كما يقال انشر الله الأموات .

٤٥٧ ـ وقوله سبحانه ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

[الزخرف ـ الآية ٢٨]

وهذه استعارة لأن الكلام الذي هو الاصوات المتقطعة[2] والحروف المنظومة لا يجوز عليه البقاء وإنما المراد والله اعلم أن ابراهيم عليه السلام جعل الكلمة التي قالها لأبيه وقومه وهي قوله ﴿ **إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين** ﴾[3] باقية في عقبه بأن وصّى بها ولده وأمرهم أن يتواصوا بها ما تناقلتهم الاصلاب وتناسختهم الادوار[4] وهذه الكلمة[5] هي كلمة الاخلاص والتوحيد والله اعلم .

٤٥٨ ـ وقوله سبحانه :﴿ وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ .

[الزخرف ـ الآية ٤٥]

وهذه الكلام ايضاً داخل في قبيل[6] الاستعارة لأن مسألة الرسل الذين درجت قرونهم وخلت أزمانهم غير ممكن وإنما المراد والله اعلم واسأل اصحاب من ارسلنا من قبلك من رسلنا واستعلم ما في كتبهم وتعرف حقائق سننهم وذلك على مثال ﴿ **وأسأل القرية** ﴾[7] وقال بعضهم مسألة الرسل

(١) ط . تسلبه كذا .

(٢) ط . المقطعة .

(٣) سورة الزخرف الآيتان ٢٦ ـ ٢٧ .

(٤) ن . الأدولة

(٥) ن . وهذه الكلمة كلمة الاخلاص .

(٦) ن . في قبل .

(٧) يوسف ، الآية ٨٢ .

ههنا بمعنى المسألة عنهم عليهم السلام وعما أتوا به من شريعة وأقاموه من عماد سنة وقد يأتي في كلامهم اسأل كذا أي اطلبه واسأل عنه قال سبحانه ﴿ **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً** ﴾[1] أي مسؤ ولا عنه وقال سبحانه ﴿ **وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾[2] أي سئل عن قتلها[3] وطلب بدمها فكأنه تعالى قال لنبيه عليه السلام واسأل عن سنن الأنبياء قبلك وشرائع[4] الرسل الماضين أمامك فإنك لا تجد فيها اطلاقاً لعبادة معبود إلا الله سبحانه وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .

(١) سورة الاسراء الآية ٣٤ .

(٢) سورة التكوير الآية ٨ .

(٣) ن . أي سئل عنها .

(٤) ط . شرايع بدون حرف عطف .

سورة الدخان

ومن (حٰمٓ) وهي السورة التي يذكر فيها الدخان

٤٥٩ -قوله سبحانه:﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

[الدخان ـ الآية ٤]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على مثلها في بني اسرائيل والمراد والله اعلم نبين كل أمر حكيم في هذه الليلة حتى يصير كفرق الصبح في بيانه أو مفرق الطريق في ايضاحه(١) ومنه قولهم فرقت الشعر إذا اخلصت بعضه من بعض وبينت مخط وسلطه بالمدرى أو بالاصبع(٢) .

٤٦٠ -وقوله سبحانه:﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ .

[الدخان ـ الآية ١٩]

وهذه استعارة والمراد بالعلوهنا الاستكبار على الله سبحانه وعلى أوليائه ويوصف المستكبر(٣) في كلامهم بأن يقال قد شمخ بأنفه وهذه الصفة مثل وصفه بالعلو لأن الشامخ العالي وقال سبحانه ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾(٤) أي تجبّر فيها واستكبر على أهلها وليس يراد بذلك العلو الذي هو الصعود

(١) ط . في اتضاحه .
(٢) ن . والأصبع .
(٣) ن . ويوصف المتكبرين .
(٤) سورة القصص الآية ٤ .

وإنما يراد به العلو الذي هو الاستكبار والعتو وضد وصفهم المستكبر بالعلو والتطاول وصفهم المتواضع بالخشوع والتضاؤل .

٤٦١ -وقوله سبحانه:﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ .

[الدخان ـ الآية ٢٩]

وهذه استعارة وقد قيل في معناها اقوال : أحدها ان البكاء ههنا بمعنى الحزن فكأنه قال فلم تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم وإنما عبّر سبحانه عن الحزن بالبكاء لأن البكاء يصدر عن الحزن في أكثر الاحوال(١) ومن عادة العرب أن يصفوا الدار إذا ظعن(٢) عنها سكانها وفارقها قطانها بأنها باكية عليهم ومتوجعة(٣) لهم على طريق المجاز والاتساع بمعنى ظهور علامات الخشوع والوحشة عليها وانقطاع أسباب النعمة والأنسة منها(٤) ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لو كانت السموات والأرض من الجنس الذي يصح منه البكاء لم تبكيا عليهم ولم تتوجعا لهم إذ كان الله سبحانه عليهم ساخطاً ولهم ماقتاً . ووجه آخر قيل معنى ذلك ما بكى عليهم من السماوات والأرض ما يبكي على المؤمن عند وفاته من مواضع صلواته ومصاعد أعماله على ما ورد به الخبر وفي ذلك وجهان آخران يخرج بهما الكلام عن طريق الاستعارة : فأحدهما أن يكون المعنى فما بكى عليهم أهل السماء والارض ونظائر ذلك في القرآن كثيرة . والآخر أن يكون المعنى أنه(٥) لم ينتصر أحد لهم ولم يطلب(٦) طالب بثارهم ويعني في أشعار العرب (بكينا فلاناً بأطراف الرماح وبمضارب(٧) الصفاح) أي طلبنا دمه وأدركنا ثاره .

(١) ط . في اكثر الاقوال كذا .
(٢) من ظَعَنَ : سار ورحل .
(٣) ن . ومتوجهة .
(٤) ن . عنها .
(٥) ن . انهم .
(٦) ن . ولم يطالب طالب .
(٧) ن . وتضارب .

سورة الجاثية

ومن (حم) وهي السورة التي يذكر فيها الجاثية

٤٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمرِ فَاتَّبِعهَا ﴾ .

[الجاثية ـ الآية ١٨]

وهذه استعارة لأن الشريعة في أصل اللغة اسم للطريق المفضية إلى الماء المورود وإنما سميت الاديان شرائع لأنها الطرق الموصلة إلى موارد الثواب ومنافع العباد تشبيهاً بشرائع المناهل التي هي مدرجة إلى الماء ووصلة إلى الرواء[1].

٤٦٣ ـ وقوله سبحانه: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالحَقِّ ﴾

[الجاثية ـ الآية ٢٩]

وهذه استعارة وقد مضت الاشارة الى نظيرها فيما تقدم والمعنى وأن الكتاب بالحق[2] ناطق من جهة البيان كما يكون الناطق من جهة اللسان وشهادة الكتاب ببيانه أقوى من شهادة الانسان بلسانه .

(١) الرواء : المنظر أو حَسَنُهُ .

(٢) ط . خلت من لفظة (بالحق)

سورة الاحقاف

ومن (حَـمّ) وهي السورة التي يذكر فيها الأحقاف .

٤٦٤ ـ قوله سبحانه: ﴿ إيتُوني بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أو أثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾ .

[الأحقاف ـ الآية ٤]

وهذه استعارة على أحد التأويلات[1] وهو أن يكون معنى أو إثارة من علم[2] أي شيء يستخرج من العلم بالكشف والبحث والطلب والفحص فتثور حقيقته وتظهر خبيئته كما تستثار الارض بالمحافر فيخرج نباتها وتظهر نثائلها أو كما يستثار القنص من مجاثمه ويستطلع من مكامنه وسائر التأويلات في الآية يخرج الكلام عن حيز[3] الاستعارة مثل تأولهم[4] ذلك على معنى خاصة من علم أي بقية من علم وما يجري هذا المجرى وأنشد أبو عبيدة للراعي في صفة ناقة :

وذات إثارة أكلت[5] عليها ... نباتاً في أكمّته قفارا

أي ذات بقية من شحم رعت عليها هذا النبات المذكور وقوله قفاراً أي

(١) ن . على أحد التأويلين .

(٢) ن . معنى أو اثارة أي شيء .

(٣) ن . من حيز .

(٤) ن . تأويلهم .

(٥) ن . غلبت .

خالياً من الناس ليس به(١) راعية غيرها فهو اهنأ لها وارفق بها وقال صاحب الغريب المصنف يقال سمنت الناقة على إثارة أي على سمن متقدم قد كان قبل ذلك .

(١) ط . بها .

سورة محمد

ومن السورة التي يذكر فيها محمد صلى الله عليه وآله

٤٦٥ -قوله سبحانه: ﴿ فإمّا مَنّاً بعدُ وإمّا فِداءً حتّىٰ تضعَ ٱلحربُ أوزارَها ﴾ .

[محمد - الآية ٤]

وهذه استعارة والمراد بالاوزار ههنا الاثقال وهي آلة الحرب وعتادها من الدروع والمغافر والرماح والمناصل وما يجري هذا المجرى لأن جميع ذلك ثقل على حامله وشاق على مستعمله وعلى هذا قول الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
ومن نسج داوود موضونة(١) تساق مع الحي عيراً فعيرا

والمراد بذلك في الظاهر الحرب وفي المعنى أهل الحرب لأنهم الذين يصح وصفهم بحمل الاثقال ووضعها ولبس الأسلحة ونزعها .

٤٦٦ -وقوله سبحانه ﴿ فإذا عزَمَ ٱلأمرُ فلَوْ صَدقُوا ٱللهَ لكانَ خيراً لَهم ﴾ .

[محمد - الآية ٢١]

وهذه استعارة لأن العزم لا يوصف بحقيقته إلا الانسان المميز الذي يوطن النفس على فعل الأمر قبل وقته عقداً بالمشيئة على فعله فيصح أن

(١) من وَضَنَ : الدرع المقاربة النسج أو المنسوجة بالجواهر .

يسمى عازماً عليه وإنما قال تعالى ﴿ عزم الأمر ﴾ مجازاً أي قويت العزائم على فعله فصار كالعازم في نفسه[1] وقال بعضهم معنى عزم الأمر أي جدّ[2] الأمر ومنه قول النابغة الذبياني :

حيّـاك ودّ فـانـا لا يحل لنـا   لهو النساء لأن الدين قد عـزما

أي استحكم وجدّ وقوي واشتد .

٤٦٧ -وقوله تعالى : ﴿ أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أم عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾

[محمد -الآية ٢٤]

وهذه استعارة والمراد ام قلوبهم كالابواب المقفلة لا تنفتح لوعظ واعظ ولا يلج فيها عذل[3] عاذل وفي لغة العرب أن يقول القائل إذا وصف نفسه بضيق الصدر وتشعب الفكر قلبي مقفل وصدري ضيق وإذا وصف غيره بضد هذه الصفات قال انفتح قلبه وانفسح صدره وقد يجوز أن يكون المعنى ان أسماعهم[4] لا تعي قولاً ولاتسمع عذلاً وإنما شبهت الأسماع بالاقفال على القلوب لأنها ابواب عليها وطرق فهمها فإذا عرضت على الاسماع كانت كالاقفال الموثقة والابواب المغلقة .

٤٦٨ -وقوله تعالى:﴿ وَأَنْتُمْ الاعلَونَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُم أعمالَكُم ﴾ .

[محمد -الآية ٣٥]

وهذه استعارة ومعناها مأخوذ من الوتر وهو ما ينقصه الانسان من مال أو دم وما أشبهها ظلماً فيكسبه ذلك عداوة لفاعله وارصاداً بالمكروه لمستعمليه فكأنه تعالى قال«ولن ينقصكم ثواب أعمالكم أو لن يظلمكم في الجزاء على أعمالكم فيكون بمنزلة من اودعكم ترة واطلبكم طائلة» وقال الأخفش﴿ ولن يتركم أعمالكم﴾ أي في اعمالكم كما نقول دخلت البيت والمراد دخلت في البيت .

(١) ن . على نفسه .   (٢) ن . معنى عزم الأمور ومنه قول الخ .

(٣) عُذَل : لام .

(٤) ط . فيها نقيصة تبدأ من « وقد يجوز ان يكون المعنى الى قوله وأراد سبحانه » عند البحث في آية ١٦ من سورة ق .

سورة الفتح

ومن السورة التي يذكر فيها الفتح

٤٦٩ -قوله تعالى:﴿ إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّما يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوقَ أيديهم ﴾ .

[الفتح -الآية ١٠]

وهذه استعارة واليد ههنا تعرف على وجوه : أحدها أن يكون المعنى عقد البيعة فوق عقدهم وقيل المراد قوة الله تعالى في نصرة نبيه عليه السلام فوق قوة نصرتهم . وقيل اليد ههنا بمعنى السلطان والقدرة كما يقول القائل فلان تحت يد فلان أي تحت يد[1] سلطانه وأمره فيكون المعنى أن سلطان الله تعالى في هذا الأمر فوق سلطانهم وأمره فوق أمرهم . وقيل في ذلك وجه آخر وهو ان العادة جارية في المبايعات والمعاقدات أن تقع الصفقة بالأيدي من البائع والمشتري ومن هناك قالوا صفقة رابحة وصفقة خاسرة فقيل ﴿ يد الله فوق أيديهم﴾ ذهاباً إلى هذا المعنى كأنه سبحانه قال فالذي أعطاكم الله في هذه المبايعة أعلى مما اعطيتم وأجل وأربح وأفضل .

٤٧٠ -وقوله تعالى:﴿ كَزَرْعٍ أَخرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاستغلَظَ فَاستَوَىٰ على سُوقِهِ ﴾ .

[الفتح -الآية ٢٩]

وهذه استعارة وذلك أنه تعالى شبه اصحاب النبي عليه السلام في

(١) لعل (يد) زيدت من الناسخ سهواً .

تضافرهم وتآزرهم واشتدادهم واصدادهم[١] بالزرع الملتف المتكاثف الذي يقوي بعضه ببعض ويستند بعضه إلى بعض وشَطْأ الزرع خرجت افرخه التي تنبت إلى أصوله ويقال شطأه ممدود ويقال قد اشطأ الزرع فهو مشطى، إذا أفرخ ومعنى آزره أي صار فراخ الزرع له ازراً وقوة ودعاماً ومسكة وقيل شطأه سنبله فيكون المراد هو آزره حب النسبل بعضه لبعض حتى تشتد كل حبة بأختها والتأويلان متقاربان وقوله تعالى ﴿**فاستغلظ فاستوى على سوقه**﴾ أي قوي وغلظ فانصب في منتصبه واستقام على نصبه كما قوم القائم على ساقه ويعتمد على قدمه وهذه استعارة أخرى .

(١) كذا في النسخة ونظن أن الأصل واحتشادهم .

سورة الحجرات

ومن السورة التي يذكر فيها الحجرات

٤٧١ - قوله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ .

[الحجرات - الآية ١]

وهذه استعارة وقد قرىء « لا تقدموا » بفتح التاء والدال والمعنيان واحد والمراد بذلك لا تسبقوا أمر الله ورسوله بفعل ما لم يأمرا به ويندبا اليه وقال أبو عبيدة العرب تقول فلان تقدم بين يدي الامام أي تعجل بالأمر والنهي دونه وذلك مضاد لما وصف الله به ملائكته أن يقول[١] ﴿**لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾[٢] ومن قرأ ﴿**تقدموا**﴾ بضم التاء فإنما يريد به لا تقدموا كلامكم بالحكم في الأمر قبل كلام الله سبحانه وكلام رسوله(ص) أي قبل الوحي النازل منه وقبل أداء رسوله اليكم ما أوحى به وأمر بتبليغه .

٤٧٢ - وقوله سبحانه: ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾ .

[الحجرات - الآية ١٢]

وهذه استعارة ومبناها على أصل معروف في كلام العرب وهو تسميتهم

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل إذ يقول .
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٧

المغتاب بأكل لحوم الناس حتى قال شاعرهم[1] :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقال حسان بن ثابت في مرثية ابنة له[2] :

حصان رزان لا تزنُّ بزنية[3] وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

أي تمسك عن غيبة النساء الغافلات عن غيبتها فتكون بامساكها عن الغيبة التي يسمى فاعلها آكل لحم صاحبه كأنها غرثى أي جائعة لم تطعم شيئاً لأن الغيبة لما سميت أكلاً وقرماً[4] حسن أن يسمي تركها جوعاً وغرثاً ومعنى ﴿ فكرهتموه ﴾ أي عافته[5] أنفسكم فكرهتموه وهذا محذوف مقدر في الكلام دلالة وقال بعضهم تلخيص هذا المعنى أن من دعي إلى أكل لحم أخيه ميتاً فعافته نفسه وكرهه من جهة طبعه فإنه ينبغي له إذا دعي إلى غيبة أخيه أن تعاف ذلك نفسه من جهة عقله لأنه يجب ان يكره هذا عقلاً كما كره الاول طبعاً لأن داعي العقل أحق بالاتباع من داعي الطبع إذ كان داعي الطبع أعمى جاهلاً وداعي العقل بصيراً عالماً فكلاهما في صفة الناصح إلا أن نصح العقل سليم مأمون ونصح الطبع ظنين مدخول .

(١) هو المقنع الكندي .

(٢) المعروف ان هذا البيت من قصيدة له في مدح عائشة .

(٣) وردت في بعض الأصول لفظة « بريبة » محل بزنية .

(٤) من قَرِمَ : اكل اكلاً ضعيفاً وذلك في أول ما يأكل .

(٥) في النسخة عاقبة وهو وهم من الناسخ .

سورة قٓ

ومن السورة التي يذكر فيها (ق)

٤٧٣ ـ قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ .

[ق ـ الآية ١٦]

وهذه استعارة والوريد هو العرق الذي يسمى حبل العاتق وهما وريدان عن يمين العنق وشمالها وأراد سبحانه أنه يعلم غيب الانسان ووساوس اضماره ونجي أسراره فكأنه باستبطانه ذلك منه أقرب اليه من وريده لأن العالم بخفايا قلبه أقرب اليه من عروقه وعصبه وليس القرب ههنا من جهة المسافة والمساحة ولكن من جهة العلم والاحاطة .

٤٧٤ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

[ق ـ الآية ١٩]

وهذه استعارة والمراد بسكرة الموت ههنا الكرب الذي يتغشى المحتضر عند الموت فيفقد تمييزه ويفارق معه معقوله فشبه تعالى ذلك بالسكرة من الشراب إلا أن تلك السكرة منعمة وهذه السكرة مؤلمة وقوله تعالى بالحق يحتمل معنيين أحدهما أن يكون وجاءت بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه الانسان اضطراراً ورآه جهاراً والآخر أن يكون المراد بالحق ههنا أي بالموت الذي هو الحق .

٤٧٥ - وقوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .

[ق - الآية ٢٢]

وهذه استعارة والمراد بها ما يراه الانسان عند زوال التكليف عنه من اعلام الساعة واشراط القيامة فتزول عنه اعتراضات الشكوك ومشبهات(١) الأمور فيصدق بما كذّب ويقرُّ بما جحد(٢) ويكون كأنه قد نفذ بصره بعد وقوف وأحدَّ بعد كلال ونبوٍّ فهذا معنى قوله سبحانه ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ .

٤٧٦ - وقوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ .

[ق - الآية ٣٠]

وهذه استعارة لأن الخطاب للنار والجواب منها في الحقيقة لا يصحان(٣) وإنما المراد والله أعلم انها في ما ظهر من امتلائها وبان من اغتصاصها(٤) بأهلها بمنزلة الناطقة بأنه لا مزيد فيها ولا سعة عندها وذلك كقول الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني   مهلاً رويداً قد ملأت بطني

ولم يكن هناك قول من الحوض على الحقيقة ولكن المعنى ان ما ظهر من امتلائه في تلك الحال جار مجرى القول منه فأقام تعالى الأمر المدرك بالعين مقام القول المسموع بالاذن وقيل ان(٥) المعنى انا نقول لخزنة جهنم هذا القول ويكون الجواب منهم على حد الخطاب لهم يوكون ذلك من قبيل ﴿ واسأل القرية ﴾ في اسقاط المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه كقولهم : يا خيل الله

(١) ن . وشبهات .
(٢) جَحَدَ : كفر . انكر الشيء مع علمه به .
(٣) ن . لا يصح .
(٤) ن . اعتضاضها
(٥) ط . خلت من (أن)

اركبي والمراد يا رجال خيل الله اركبي وعلى القول الأول يكون مخرج هذا القول لجهنم على طريق التقدير لاستخراج الجواب بظاهر الحال لا على طريق الاستفهام والاستعلام إذ كان الله سبحانه قد علم امتلاءها قبل أن يظهر ذلك فيها وإنما قال تعالى هذا الكلام ليعلم الخلائق صحة وعده ووعيده(١) إذ يقول تعالى ﴿ لأملأنَّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾(٢) والصحيح أنه(٣) قوله تعالى في الحكاية عن جهنم ﴿ هل من مزيد ﴾ بمعنى لا مزيد فيَّ وليس ذلك على طريق الزيادة وهذا معروف في الكلام ومثله قوله عليه السلام « هل ترك عقيل لنا من دار » أي ما ترك لنا داراً .

٤٧٧ - وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

[ق - الآية ٣٧]

وهذه استعارة وقد مضى نظير لها فيما تقدم والمعنى أنه بالغ في الاصغاء إلى الذكرى وأشهدها قلبه فكأنه كالملقي اليها سمعه دنواً من سماعها وميلاً إلى قائلها والمراد بقوله تعالى ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ ، أي عقل ولب فعبَّر عنها بالقلب لانهما يكونان بالقلب أو يكون المعنى ﴿ لمن كان له قلب ﴾ ينتفع به لأن من القلوب ما لا ينتفع به إذا كان مائلاً إلى الغي ومنصرفاً عن الرشد .

(١) ط . خلت من « ووعيده »
(٢) سورة السجدة الآية ١٣ .
(٣) ط . والوجه وبعد بياض .

سورة الذاريات

ومن السورة التي يذكر فيها الذاريات

٤٧٨ ـ قوله سبحانه في صفة حجارة القذف: ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ .

[الذاريات ـ الآية ٣٤]

وهذه استعارة والمسومة المعلمة(١) وأصل ذلك مستعمل في تسويم الخيل في الحرب أي تعليمها بعلامات تميزها من خيل العدو شبهت هذه الحجارة بها لأنها معلمة بعلامات تدل على مكروه المصابين وضرر المعاقبين وكما كانت الخيل المسومة تدل على ذلك في لقاء الاعداء وارسال هذه للعراك كارسال تلك للهلاك وقيل ان التسويم في تلك الحجارة هو أن تجعل نكتة سوداء في الحجر(٢) الابيض ونكتة بيضاء في الحجر الاسود وقيل كان عليها امثال تلك الطوابع والخواتيم وقد تكلمنا على نظير هذه الاستعارة في هود والمراد بقوله تعالى ﴿عند ربك ﴾أي خلقها سبحانه كذلك من غير أن يفعلها فاعل أو يجعلها جاعل فلأجل هذه الحال وجب أن يجعل لها هذا الاختصاص بقوله ﴿عند ربك﴾ وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك أنها(٣) مسومة في سلطان الله وملكوته أو في موضع العقاب المعد للمذنبين من خلقه .

---

(١) ن . خلت من جلة (والمسومة المعلمة)

(٢) ن . حجر بدون أداة التعريف .

(٣) ن . خلت من (انها)

٤٧٩ ـ وقوله تعالى: ﴿ فتولىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أو مجنُونٌ ﴾ .

[الذاريات ـ الآية ٣٩]

وهذه استعارة وقد قيل المراد بها اعرض بجنوده الذين هم كالركن له والحجاز دونه وقد يسمى اعوان المرء وانصاره اركانه واعماده إذ كان بهم يصول واليهم يؤول وقيل ايضاً معنى ذلك فتولى بقوته(١) وسلطانه فان ذلك كالركن له والمانع منه ونظيره قوله سبحانه حاكياً عن لوط (ع) ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد﴾(٢) أي إلى عز دافع وسلطان قامع(٣) .

٤٨٠ ـ وقوله سبحانه ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ .

[الذاريات ـ الآية ٤١]

وهذه استعارة ومعنى العقيم ههنا التي لا تحمل القطار ولا تلقح الاشجار ولا تعود بخير ولا تنكشف عن عواقب نفع فهي كالمرأة التي لا يرجى ولدها ولا ينمى عددها .

---

(١) ط . بياض مكان بقوته .

(٢) سورة هود الآية ٨٠ .

(٣) ن . الى عز رافع وسلطان مانع .

سورة الطور

ومن السورة التي يذكر فيها الطور

٤٨١ ـ قوله تعالى:﴿ أم تَأمُرُهُمْ أحلامُهُم بهٰذا أم هُم قومٌ طَاغُونَ ﴾ .

[الطور ـ الآية ٣٢]

وهذه استعارة أي ان[1] كانوا حلماء عقلاء كما يدعون[2] فكيف تحملهم أحلامهم وعقولهم على ان يرموا رسول الله(ص) بالسحر والجنون وقد علموا بعده عنهما ومباينته لهما[3] وهذا القول منهم سفه[4] وكذب وهاتان الصفتان منافيتان[5] لأوصاف الحلماء ومذاهب الحكماء وخرج قوله سبحانه ﴿أم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ مخرج التبكيت لهم والإزراء عليهم ونظير هذا الكلام قوله سبحانه حاكياً عن قوم شعيب (ع) ﴿يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾[6] أي دينك وما جئت به من شريعتك التي فيها الصلوات وغيرها من العبادات تحملك على أمرنا بترك ما يعبد آباؤنا وقد مضى الكلام على ذلك في موضعه .

(١) ط . أي كانوا حلماء بدون أداة الشرط .
(٢) ن . كما كانوا يدعون .
(٣) ط . لها .
(٤) ط . صفة كذا .
(٥) ن . متناقضان .
(٦) سورة هود الآية ٨٧ .

٤٨٢ ـ وقوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱللَّيلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ ﴾ .

[الطور ـ الآية ٤٩]

وقرىء وإدبار النجوم بكسر الهمزة وهذه استعارة على القراءتين جميعاً فمن قرأ بفتح الهمزة كان معناه وأعقاب النجوم أي اواخرها إذا انصرفت كما يقال جاء فلان في أعقاب القوم أي في اواخرهم وتلك صفة تخص الحيوان المتصرف الذي يوصف بالمجيء والذهاب والاقبال والادبار ولكنها استعملت في النجوم على طريق الاتساع فأما قراءة من قرأ وإدبار النجوم بالكسر فمعناه قريب من المعنى الأول فكأنه تعالى وصفها بالادبار بعد الاقبال والمراد بذلك الافول بعد الطلوع والهبوط بعد الصعود .

سورة النجم

ومن السورة التي يذكر فيها النجم

٤٨٣ ـ قوله سبحانه: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ .

[النجم ـ الآية ١١]

وهذه استعارة والمراد والله اعلم أن ما اعتقده القلب من صحة ذلك المنظر الذي نظره والأمر الذي باشره لم يكن عن تخيّل وتوهم بل عن يقين وتأمل فلم يكن بمنزلة الكاذب من طريق تعمد الكذب ولا من طريق الشكوك والشبه(١) .

٤٨٤ ـ وقوله سبحانه: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ . [النجم ـ الآية ١٧]

وهذه استعارة وهي قريبة المعنى من الاستعارة الأولى والمراد بذلك والله اعلم أن البصر لم يمل عن جهة المبصر إلى غيره ميلاً(٢) يدخل عليه به الاشتباه حتى يشك فيما رآه ولا طغى أي لم يتجاوز المبصَر ويرتفع عنه فيكون مخطئاً لإدراكه ومتجاوزاً لمحاذاته فكان تلخيص المعنى أن البصر لم يقصر عن المرئي فيقع دونه ولم يزد عليه فيقع وراءه بل وافق موضعه ولم يتجاوز(٣) موقعه وأصل الطغيان طلب العلو والارتفاع من طريق الظلم والعدوان وهو في صفة البصر خارج على المجاز والاتساع .

(١) ن . والتشبه .

(٢) ط . الكلمتان (غيره ميلاً) غير واضحتين .

(٣) ط . ولم يجاوز

سورة القمر

ومن السورة التي يذكر فيها القمر

٤٨٥ ـ قوله سبحانه: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .

[القمر ـ الآيتان ١١ / ١٢]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم بتفتيح ابواب السماء تسهيل سبيل الامطار حتى لا يحبسها حابس ولا يلفتها لافت ومفهوم ذلك ازالة العوائق عن مجاري الغيوث من السماء حتى تصير بمنزلة حبيس فتح عنه باب أو معقول أطلق عنه عقال وقوله سبحانه ﴿ فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ أي اختلط ماء الامطار المنهمرة(١) بماء العيون المتفجرة(٢) فالتقى ماءاهما على ما قدره الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان وهذا من افصح الكلام واوقع العبارات عن هذه الحال .

٤٨٦ ـ وقوله سبحانه: ﴿ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ .

[القمر ـ الآية ٢٥]

(١) ن . المنهمر .

(٢) ن . المتفجر .

ولفظ القاء(١) الذكر ههنا مستعار والمراد به أن القرآن لعظم شأنه وصعوبة أدائه كالعبء الثقيل الذي يشق على من حمّله والقيَ عليه ثقله وكذلك قوله تعالى﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾(٢) وكذلك قول القائل القيت على فلان سؤالاً والقيت عليه حساباً أي ساءلته عما يُستكد(٣) له(٤) هاجسه ويُستعمل به خاطره .

٤٨٧ ـ وقوله سبحانه:﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوعِدُهُم وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ .

[القمر ـ الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأن المرارة لا يوصف بها إلا المذوقات والمطعومات(٥) ولكن الساعة لما كانت مكروهة عند مستحقي العقاب حسن وصفها بما يوصف به الشيء المكروه المذاق ومن عادة من يلاقي ما يكرهه ويرى ما لا يحبُّه أن يحدث ذلك تكليحاً(٦) في وجهه فيدلُّ على تنور جأشه(٧) وشدة استيحاشه فكذلك هؤلاء إذا شاهدوا أمارات العذاب ونوازل العقاب ظهر في وجوههم ما يستدل به على فظاعة الحال عندهم وبلوغ مكروهها من قلوبهم فكانوا كلائك(٨) المضغة المقرة(٩) وذائق الكأس المصبَّرة في فرط التقطيب وشدة التكليح وشاهد ذلك قوله سبحانه﴿ **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾(١٠) .

---

(١) ن . خلت من (القاء)

(٢) سورة المزمل الآية ٥ .

(٣) من كدَّ : اشتد في العمل . الحّ في الطلب .

(٤) ن . خلت من (له)

(٥) ن . والمتطعمات .

(٦) من كلحَ : عبس وتكشر .

(٧) ن . حاشيته .

(٨) اسم فاعل من لاك ، يلوك .

(٩) ن . الممقرة . من مَقرَ : مقر الشيء . صار مراً .

(١٠) سورة المؤمنون الآية ١٠٤ .

سورة الرحمن

ومن السورة التي يذكر فيها الرحمن

٤٨٨ ـ قوله سبحانه:﴿ وَالنَّجمُ وَالشَّجَرُ يَسجُدَانِ ﴾ .

[الرحمن ـ الآية ٦]

وهذه استعارة والنجم ههنا ما نجم من النبات أي طلع وظهر والمراد بسجود النبات والشجر والله اعلم ما يظهر عليها من آثار صنعة الصانع الحكيم والمقدّر العليم بالتنقل من حال الاطلاع الى حال الايناع ومن حال الايراق إلى حال الأثمار غير ممتنعة على المصرّف ولا آبية على المدّبر .

٤٨٩ ـ وقوله سبحانه:﴿ وَالسَّماءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ ﴾ .

[الرحمن ـ الآية ٧]

والميزان ههنا مستعار على أحد التأويلين وهو أن يكون معناه العدل الذي تستقيم به الأمور ويعتدل عليه الجمهور وشاهد ذلك قوله تعالى﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾(١) أي بالعدل في الأمور وروي عن مجاهد انه قال القسطاس العدل بالرومية ويقال قسطاس وقسطاس بالضم والكسر كقرطاس وقرطاس .

٤٩٠ ـ وقوله سبحانه:﴿ مَرَجَ ٱلبَحرَينِ يَلتَقِيَانِ ۞ بَينَهُمَا بَرزَخٌ(٢) لا يَبغِيَانِ ﴾ .

[الرحمن ـ الآيتان ١٩ ـ ٢٠]

---

(١) سورة الأسراء الآية ٣٥ .

(٢) البَرْزَخ : الحاجز بين الشيئين .

وهـذه استعارة والمراد بها أنه سبحانه أرسل البحرين طامين وأمارهما طائعين وهما يلتقيان بالمقاربة لا بالممازجة وبينهما حاجز يمنعها[١] من الانخراق يصدُّهما عن الاختلاط ومعنى قوله تعالى ﴿لا يبغيان﴾ أي لا يغلب أحدهما الآخر[٢] فيقلبه إلى صفته اما الملح على العذاب أو العذب على الملح وكنّى تعالى بلفظ البغي عن غلبة أحدهما على صاحبه لأن الباغي في الشاهد اسم لمن تغلب من طريق الظلم بالقوة والبسطة والتطاول والسطوة وقد مضى الكلام على مثل هذه الاستعارة فيما تقدم إلا أن فيها ههنا زيادة أوجبت اعادة ما ذكر[٣] .

٤٩١ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

[الرحمن ـ الآية ٢٧]

وهذه استعارة وقد تقدم الكلام على نظيرها والمراد وتبقى ذات ربك وحقيقته ولو كان الكلام محمولاً على ظاهره لكان فاسداً مستحيلاً على قولنا وقول المخالفين لأنه لا أحد يقول من المشبهة والمجسمة الذين يثبتون لله سبحانه ابعاضاً مؤلفة واعضاءً مصرَّفة أن وجه الله تعالى يبقى وسائره يبطل[٤] ويفنى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومن الدليل على أن المراد بوجه الله ههنا ذات الله سبحانه قوله ﴿ذو الجلال والاكرام﴾ فكأنه قال[٥]« ويبقى ربك ذو الجلال والاكرام » ألا ترى أنه سبحانه لما قال في خاتمة هذه السورة ﴿تبارك اسم ربك﴾ قال ذي ﴿ذي الجلال والاكرام﴾ ولم يقل « ذو »لأن اسم الله غير الله ووجه الله هو الله وهذا واضح البيان وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم .

٤٩٢ ـ وقوله سبحانه : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ . [الرحمن ـ الآية ٣١]

---

(١) ن . خلت من (يمنعها)

(٢) ط . لا يغلب أحدهما على الآخر .

(٣) ط . اعادة ذكرها .

(٤) ن . يفنى ويبطل .

(٥) ط . خلت من قوله : (فكأنه قال : ويبقى ربك ذو الجلال والاكرام).

وهذه استعارة وقد كان والدي الطاهر الأوحد ذو المناقب أبو احمد الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه وارضاه سألني عن هذه الآية في عرض كلام جر ذكرها فأجبته في الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها وهو ان يكون المراد بذلك سنعمد لعقابكم ونأخذ في جزائكم على مساوىء أعمالكم وأنشدته بيتَ جرير كاشفاً عن حقيقة هذا المعنى وهو قوله :

الا وقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لها عذابا

فقال فرغت الى نمير كما يقول[١] عمدت اليها فأعلمنا أن معنى فرغت ههنا عمدت وقصدت ولو كان يريد الفراغ من الشغل لقال فرغت لها ولم يقل فرغت اليها . وقال بعضهم إنما قال تعالى ﴿سنفرغ﴾ ولم يقل «سنعمد» [٢]لأنه أراد[٣] سنفعل فعل من يتفرغ[٤] للعمل من غير تضجيع[٥] فيه ولا اشتغال بغيره عنه ولانه لما كان الذي يعمد الى الشيء ربما قصر فيه لشغله معه بغيره وكان الفارغ له في الغالب هو المتوفر عليه دون غيره دُللنا بذلك على المبالغة في[٦] الوعيد من الجهة التي هي اعرف عندنا ليقع الزجر بأبلغ الالفاظ وأدل الكلام على معنى الايعاد وقال بعضهم أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ومستعار له فالمستعار منه أصل وهو أقوى والمستعار له فرع وهو اضعف وهذا مطرد في سائر الاستعارات فاذا تقرر ذلك كان قوله تعالى ﴿سنفرغ لكم ايها الثقلان﴾ من هذا القبيل فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه الشغل وهو افعال العباد والمستعار له ما لا يجوز فيه الشغل وهو افعال الله تعالى والمعنى الجامع لهما الوعيد لأن[٧] الوعيد بقول القائل سأتفرغ لعقوبتك أقوى من الوعيد بقوله سأعاقبك من قبل كأنما قال سأتجرد لمعاقبتك كأنه يريد استفراغ قوته في

---

(١) ن . يقال .

(٢) ن . سنعمل كذا .

(٣) ط . أراد أن سنفعل .

(٤) ن . يفرغ .

(٥) ن . لعل الأصل تضجع .

(٦) ن . على للوعيد .

(٧) ط . الا أن الوعيد .

العقوبة له ثم جاء القرآن على مطرح كلام العرب لأن معناه أسبق الى النفس وأظهر للعقل والمراد به تغليظ الوعيد والمبالغة في التحذير ومثل ذلك، قوله تعالى في المدثر﴿ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾[٢]فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه المنع وهو أفعال العباد والمستعار له ما لا يجوز فيه المنع وهو افعال القديم تعالى كما قلنا والمعنى الجامع لهما التخويف والتهديد . والتهديد بقول القائل ذرني وفلاناً إذا أردا المبالغة في وعيده أقوى له[٣] من قوله خوف فلاناً من عقوبتي وحذره من سطوتي وهذا بين بحمده تعالى وقد يجوز أن يكون لذلك وجه آخر وهو ان يكون معنى قوله ﴿سنفرغ لكم﴾ أي سنفرّغ لكم ملائكتنا الموكلين بالعذاب المعدّين لعقاب أهل النار ونظير ذلك قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾[٤]أي جاء ملائكة ربك ويكون تقدير الكلام وجاء ملائكة ربك وهم صفاً صفاً كما يقول القائل[٥] اقبل القوم وهم زحفاً زحفاً والملك ههنا لفظ الجنس وإنما اعيد ذكر الملك ليدل[٦] على المحذوف الذي هو اسم الملائكة لأنه ما كان يسوغ أن يقال[٧] وجاء ربك وهم صفاً صفاً ويريد الملائكة على التقدير الذي قدرناه لأن الكلام كان يكون ملبساً والنظام مختلاً مضطرباً وقد يجوز أن يكون المعنى وجاء أمر[٨] ربك والملك صفاً صفاً وكلا القولين جائز وقرأنا لحمزة والكسائي ﴿سيفرغ لكم﴾ بالياء وفتحها وقرأنا ﴿ سنفرغ لكم ﴾ بالنون لبقية[٩] القراء السبعة .

(١) ن . لأن معنى .

(*) الآية ١١ .

(٣) ط . خلت من له .

(٤) سورة الفجر الآية ٢٢ .

(٥) ط . كما تقول أقبل القوم .

(٦) ن . خلت من (ليدل)

(٧) ط . أن يقول .

(٨) ن . وجاء ربك .

(٩) ط . خلت من (البقية) .

سورة الواقعة

ومن السورة التي يذكر فيها الواقعة

٤٩٣ -قوله تعالى:﴿ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ .

[الواقعة ـ الآية ٢]

وهذه استعارة والمراد أنها إذا وقعت لم ترجع عن وقوعها ولم تعدل عن طريقها كما يقال[١] قد صدق فلان الحملة ولم يكذب أي ولم يرجع على عقبيه ويقف عن وجهة عزمه جبناً وضعفاً ووجلاً وخوفاً وكاذبة ههنا مصدر كقولك عافاه الله عافية فيكون[٢] كذب كذباً وكاذبة وتلخيص المعنى ليس لوقعتها كذب ولا خلف وقيل أيضاً معنى ذلك[٣] ليس لها قضية كاذبة لاخبار الله سبحانه بها وقيام الدلائل عليها فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وذلك في كلامهم أظهر من أن يتعاطى بيانه وقيل ايضاً ليس لها نفس كاذبة في الخبر عنها والاعلام بوقوعها والمعنيان واحد .

(١) ط . كما يقولون .

(٢) ن . خلت من (فيكون كذب كذباً وكاذبة)

(٣) ط . يوجد بياض مكان (معنى ذلك ليس)

سورة الحديد

ومن السورة التي يذكر فيها الحديد

٤٩٤ -قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

[الحديد - الآية ٣]

وهذه الأسماء إنما وصف تعالى نفسه بها ههنا مجازاً واستعارة وليس[١] إطلاقنا لفظ الاستعارة عليه سبحانه كاطلاقنا لذلك على غيره لأنه سبحانه لا يأتي بالكلام المستعار والمجاز لضيق العبارة[٢] عليه كما قلنا في أول هذا الكتاب ولكن لأن ذلك اللفظ[٣] أبعد في البلاغة منزعاً وأبهر في الفصاحة مطلعاً والواحد منا في الاكثر إنما[٤] يستعير أعلاق الكلام ويعدل عن الحقائق الى المجازات لأن طرق القول ربما ضاق بعضها عليه فخالف إلى السعة وأعنة[٥] الكلام ربما استعصى بعضها على فكره فعدل الى المطاوعة فمعنى قوله تعالى ﴿ هو الأول ﴾ أي الذي لم يزل قبل الأشياء كلها لا عن ابتداء مدة[٦] والآخر

(١) ط . خلت من (وليس اطلاقنا لفظ الاستعارة)

(٢) ط . بياض مكان (لضيق العبارة)

(٣) ن . لأن اللفظ بعد في البلاغة مبرعاً

(٤) ن . انما يشعر اغلاق الكلام .

(٥) ط . الكتابة فيها مطموسة .

(٦) ن . أمد .

أي الذي لا يزال بعد الأشياء كلها لا إلى انتهاء غاية والظاهر أي المتجلي للعقول بأدلته والباطن أي الذي لا تدركه أبصار بريته . وقال بعضهم قد يجوز أن يكون معنى الظاهر ههنا أي العالم بالاشياء كلها من قولهم ظهرت على أمر فلان أي علمته ويكون الظاهر مخصوصاً بما كان في الوجود والجهر ويكون الباطن مخصوصاً بعلم[١] ما كان في العدم والسر وتلخيص معنى الظاهر والباطن انه العالم بما ظهر وما بطن وما استسر وما علن .

٤٩٥ -وقوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾.

[الحديد - الآية ١٠]

وهذه استعارة على ما تقدم في كلامنا من نظير ذلك والمعنى ان الخلائق إذا فنوا وانقرضوا واخلوا[٢] ما كانوا يسكنونه وزالت أيديهم عما كانوا يملكونه ولم يبق[٣] إلا الله تعالى صار سبحانه كأنه قد ورث عنهم ما تركوه وحاز ما خلفوه لأنه الباقي بعد فنائهم والدائم بعد انقضائهم .

٤٩٦ - وقوله سبحانه :﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾.

[الحديد - الآية ١٢]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو أن يكون المعنى أن ايمانهم في القيامة هادٍ لهم ومُطَرِّق بين أيديهم وواصل لأجنحتهم فجرى مجرى النور الهادي في طريقهم بمعنى أنهم يسعون الى الموقف غير عاثرين ولا متعتعين ولا مخوفين ولا مروَّعين كما يكون غيرهم من لا ايمان له ولا هدى معه فكأنهم لكونهم على تلك الحال يسيرون بدليل مسكون إلى دلالته وفي ضياء موثوق بهدايته .

(١) ط . خلت من (بعلم)

(٢) ط . اذا خلوا .

(٣) ط . أغلب هذا البحث وما بعده بياض .

٤٩٧ ـ وقوله سبحانه: ﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

[الحديد ـ الآية ١٥]

وهذه استعارة ومعنى مولاكم اي أملك بكم وأولى بأخذكم وهذا بمعنى المولى[١] من طريق الرق لا المولى من جهة العتق فكأن النار نعوذ بالله منها تملكهم رقاً ولا تحررهم عتقاً.

٤٩٨ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

[الحديد ـ الآية ٢٩]

وهذه[٢] استعارة ومعنى بيد الله أي في ملك الله وقدرته يبسطه إذا شاء ويقبضه[٣] إذا شاء على حسب المصالح والمفاسد والمغاوي والمراشد وقد مضى الكلام على نظائر[٤] ذلك.

(١) ط. بمعنى أولى.

(٢) ن. خلت من (وهذه استعارة ومعنى بيد الله).

(٣) ط. خلت من (ويقبضه اذا شاء)

(٤) ط. على نظائها.

سورة المجادلة

ومن السورة التي يذكر فيها المجادلة

٤٩٩ ـ قوله سبحانه: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾.

[المجادلة ـ الآية ٧]

وظاهر هذا الكلام محمول على المجاز والاتساع لأن المراد به إحاطته تعالى بعلم نجوى المتناجين ومعاريض[١] المتخافتين فكأنه سبحانه يعلم جميع ذلك سامع للحوار وشاهد للسرار ولو حمل هذا الكلام على ظاهره لتناقض ألا ترى انه تعالى لو كان رابعاً لثلاثة في مكان على معنى قول المخالفين استحال أن يكون سادساً لخمسة في غير ذلك المكان إلا بعد[٢] أن يفارق المكان الأول ويصير الى المكان الثاني فينتقل كما تنتقل الاجسام ويجوز عليه الزوال[٣] والمقام وهذا واضح بحمد الله وتوفيقه.

٥٠٠ ـ وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾.

[المجادلة ـ الآية ١٢]

(١) ن. معارض.

(٢) ن. خلت من (إلا بعد أن يفارق المكان)

(٢) ط. والانتقال والمقام.

وهذه استعارة وقد مضت لها نظائر كثيرة والمراد بقوله تعالى ﴿ **بين يدي نجواكم** ﴾ أي أمام نجواكم وذلك كقوله سبحانه ﴿ **وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته** ﴾(1) أي مُطرِّقة أمام الغيث الوارد ومبشرة بالخير الوافد .

٥٠١ -وقوله سبحانه: ﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ .

[المجادلة ـ الآية ١٦]

وهذه استعارة والكلام وارد في شأن المنافقين والمراد أنهم جعلوا إظهار الايمان الذي(2) يبطنون ضده جُنَّة يعتصمون بها ويستلئمون فيها نفوذاً بظاهر الاسلام الذي يسع من دخل فيه ويعيذ من تعوذ به .

٥٠٢ -وقوله سبحانه: ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ .

[المجادلة ـ الآية ٢١]

وهذه استعارة والمراد بالكتابة ههنا الحكم والقضاء وإنما كنّى تعالى عن ذلك بالكتابة مبالغة في وصف ذلك الحكم بالثبات وان بقاءه كبقاء المكتوبات .

٥٠٣ -وقوله سبحانه: ﴿ **أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ** ﴾ .

[المجادلة ـ الآية ٢٢]

وفي هذا الكلام استعارتان إحداهما قوله تعالى ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان** ﴾ ومعناه انه ثبته في قلوبهم وقرره في ضمائرهم فصار كالكتابة الباقية والرقوم الثابتة على ما أشرنا اليه من الكلام على الاستعارة المتقدمة وذلك كقول القائل هو أبقى ومن النقش في الحجر ومن النقش في الزبر . والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿ **وأيدهم بروح منه** ﴾ ولذلك وجهان إما أن

(١) سورة الأعراف الآية ٥٧ .

(٢) ط . الدين .

يكون المراد بالروح ههنا القرآن لأنه حياة منه(1) في الاديان كلها(2) كما ان الارواح حياة الابدان وقال سبحانه ﴿ **وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا** ﴾(3) والمراد القرآن والوجه الآخر أن معنى(4) الروح ههنا النصر والغلبة والاظهار والدولة(5) وقد يعبر عن ذلك بالريح . والروح والريح كلاهما(6) يرجعان الى معنى واحد وقال سبحانه ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾(7) أي دولتكم واستظهاركم .

(١) ط . خلت من (منه)

(٢) ط . خلت من (كلها كما أن الأرواح حياة الأبدان) .

(٣) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٤) ط . أن يكون الروح ههنا معنى النصر والغلبة .

(٥) ط . للدولة .

(٦) ط . خلت من كلاهما .

(٧) سورة الأنفال الآية ٤٦

سورة الحشر

ومن السورة التي يذكر فيها الحشر

٥٠٤ - قوله سبحانه:﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِم ﴾ الآية .

[الحشر - الآية ٩]

وهذه استعارة لأن تبوء الدار هو استيطانها والتمكن فيها ولا يصح حمل ذلك على حقيقته في الايمان فلا بد إذا من حمله على المجاز والاتساع فيكون المعنى أنهم استقروا في الايمان كاستقرارهم في الاوطان وهذا من صميم البلاغة ولباب الفصاحة وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقاً ألا ترى كم بين قولنا استقروا في الايمان وبين قولنا تبوأوا الايمان وأنا أقول أبداً ان الألفاظ خدم للمعاني لأنها تعمل[1] في تحسين معارضها وتنميق مطالعها .

٥٠٥ - وقوله سبحانه:﴿ لَو أَنزَلْنَا هَٰذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾.

[الحشر - الآية ٢١]

وهذا القول على سبيل المجاز والمعنى أن الجبل لو كان مما يعي[2] القرآن ويعرف البيان لخشع لسماعه[3] ولتصدع[4] من عظم شأنه على غلظ أجرامه وخشونة اكتافه فالانسان أحق بذلك منه إذ كان واعياً لقوارعه وعالماً بصوادعه .

(١) ن . يكمل .

(٢) ن . لو كان مما يعي .

(٣) ط . في سماعه .

(٤) ن . وانصدع .

سورة الامتحان[1]

ومن السورة التي يذكر فيها الامتحان

٥٠٦ - قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَولِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيهِم بِالمَوَدَّةِ ﴾

[الممتحنة - الآية ١]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو وأن يكون المعنى تلقون اليهم بالمودةليتمسكوا[2] بها منكم كما يقول القائل القيت الى فلان بالحبل ليتعلق به وسواء قال القيت بالحبل أو القيت الحبل وكذلك لو قال[3] القيت الى فلان بالمودة أو القيت اليه المودة وكذلك قولهم رميت اليه بما في نفسي وما في نفسي بمعنى واحد . وقال الكسائي : القه من يدك والق به من يدك واطرحه من يدك واطرح به من يدك كلام عربي صحيح وقد قيل إن في الكلام مفعولاً محذوفاً فكأنه تعالى قال :«تلقون اليهم أسرار النبي عليه السلام بالمودة التي بينكم» وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالون[4] قوماً من المنافقين فيستسقطونهم أسرار النبي صلى الله عليه وآله استزلالاً لهم واستغماراً لعقولهم .

٥٠٧ - وقوله سبحانه:﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيكُم أَيدِيَهُم وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ .

[الممتحنة - الآية ٢]

(١) وتسمى الممتحنة

(٢) ط . ليتمسكوا كذا .

(٣) ن . خلت من (لو قال) .

(٤) ن . يجالسون .

وهذه استعارة لأن بسط الألسن على الحقيقة لا يتأتى كما يتأتى بسط الأيدي وإنما المراد اظهار الكلام السيء فيهم بعد زمّ الألسن عنهم فيكون الكلام كالشيء الذي بسط بعد انطوائه(١) وأظهر بعد إخفائه وقد يجوز ايضاً أن يكون تعالى إنما حمل بسط الألسن على بسط الأيدي ليتوافق الكلام ويتزاوج النظام لأن الأيدي والألسن مشتركة في المعنى المشار اليه فللأيدي الأفعال وللألسن الأقوال وتلك ضررها بالايقاع وهذه ضررها(٢) بالسماع .

٥٠٨ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ .

[الممتحنة ـ الآية ١٠]

وقرأ أبو عمرو وحده تمسكوا بالتشديد وقرأ بقية السبعة تمسكوا بالتخفيف وهذه استعارة والمراد بها لا تقيموا على نكاح المشركات وخلاط الكافرات فكنّى سبحانه عن العُلَق التي بين النساء والازواج بالعصم وهي ههنا بمعنى الحبال لأنها تصل بعضهم ببعض وتربط بعضهم إلى بعض وإنما سميت الحبال عصماً لأنها تعصم المتعلق بها والمستمسك بقوتها وقال الشاعر(٣) :

وآخذ من كل حيّ عصم

أي حبالاً وهي بمعنى العهود ، في هذا الشعر . وقال ابو عبيدة : العصمة الحبل والسبب وقال غيره : « العصم عقد » فكأنه تعالى قال : ولا تمسكوا بعقد الكوافر أي بعقود نكاحهن . وأبو حنيفة يستشهد بهذه الآية على أنه لا عدة للحربية(٤) إذا خرجت الى دار الإسلام مسلمة وبانت من زوجها بتخليفها له في دار الحرب كافراً ويقول : إن في الاعتداد منه تمسكاً بعصمة

(١) ن . بعد الطواية .

(٢) ن . خلت من (ضررها)

(٣) الشاعر هو أعشى قيس وصدر البيت « الى المرء قيس أطيل السرى » .

(٤) ط . في الحربية .

الكافر التي وقع النهي عن التمسك بها ويذهب الى ان الكوافر ههنا جمع فرقة كافرة كما ان الخوارج جمع فرقة خارجة ليصح حمل الكوافر على الذكور والإناث ويكون قوله : ﴿ ولا تمسكوا ﴾ خطاب للنبي (ص) والمؤمنين والمعنى ولا تأمروا النساء بالاعتداد من الكفار فتكونوا كأنكم قد أمرتموهن بالتمسك بعصمهم . وقال أبو يوسف ومحمد تجب عليها العدة .

سورة الصف

ومن السورة التي يذكر فيها الصف

٥٠٩ - قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ .

[الصف - الآية ٥]

وهذه استعارة وكنا أغفلنا الكلام على نظيرها في آل عمران وهو قوله ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا** ﴾[١] لأن ذلك أدخل في باب الكلام على الآي المتشابه وأبعد من الكلام على الألفاظ المستعارة إلا وأننا رأينا الاشارة الى هذا المعنى ههنا لأنه مما يجوز ان يجري في مضمار كتابنا هذا فنقول إن المراد بقوله تعالى ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا** ﴾ أي لا تحملنا من التكاليف[٢] مالا طاقة لنا به فتزيغ قلوبنا أي تميل طاعتك وتعدل عن طريق مرضاتك فتصادفها زائغة أو تحكم عليها بالزيغ[٣] عند كونها زائغة وقد يجوز أن يكون المراد بذلك أي أدم لنا الطافك وعصمك لتدوم قلوبنا على الاستقامة ولا تزيغ[٤] عن مناهج الطاعة وحسن أن يقال ﴿ **لا تزغ قلوبنا** ﴾ بمعنى الرغبة في إدامة الالطاف لما كان اعدام تلك الألطاف في الاكثر يكون عنه زيغ القلوب وموافقة الذنوب وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير وأما قوله تعالى في هذه السورة ﴿ **فلما زاغوا**

(١) الآية ٨ .
(٢) ن . من التكليف .
(٣) ط . الزيغ .
(٤) ط . ولا تزغ كذا .

أزاغ الله قلوبهم ﴾ فهو اوضح فيما يذهب اليه من الأول لأنه سبحانه لما زاغوا عن الحق حكم عليهم بالزيغ عنه وحكمه بذلك أن يأمر أوليائه بذمهم ولعنهم والبراءة منهم عقوبة لهم على ذميم فعلهم وقد يجوز ان يكون معنى ذلك انهم لما زاغوا عن الحق خذلهم وأبعدهم وخلاهم واختيارهم وأضاف سبحانه الفعل إلى نفسه على طريق الاتساع لما كان وقوع الزيغ منهم مقابلاً لأمره لهم باتباع الحق وسلوك الطريق[١] النهج كما قال تعالى ﴿ **فاتخذتموهم سِخرياً حتى أنسوكم ذكري** ﴾[٢] أي دفع تسيانكم لذكري عن[٣] مقابلة أمر أولئك العباد الصالحين ولكم بأن تسلكوا الطريق الأسلم وتتبعوا الدين الأقوم .

(١) ط . طريق النهج .
(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٠ .
(٣) ط . في مقابلة .

سورة الجمعة

ومن السورة التي يذكر فيها الجمعة

٥١٠ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيهِم وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

[الجمعة ـ الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد ولا يتمنون الموت ابداً خوفاً مما فرط منهم من الأعمال السيئة والقبائح المجترمة ونسب تعالى تلك الأفعال إلى الأيدي لغلبة الأيدي على الأعمال وإن كان فيها ما يعمل بالقلب واللسان .

سورة المنافقون

ومن السورة التي يذكر فيها المنافقون .

٥١١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِلهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرضِ وَلٰكِنَّ ٱلمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ .

[المنافقون ـ الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد بخزائن السماوات والأرض مواضع أرزاق(1) العباد من مدارّ السحاب ومخارج الاعشاب وما يجري مجرى ذلك من الأرفاق وقال بعضهم المراد بالخزائن ههنا مقدورات الله سبحانه لأن فيها كل ما يشاء اخراجه من مصالح العباد ومنافع البلاد وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم .

(١) ن . مواضع الرزق وارزاق .

سورة التغابن

ومن السورة التي يذكر فيها التغابن

٥١٢ ـ قوله تعالى ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾ .

[التغابن ـ الآية ٨]

وهذه استعارة والمراد بالنورهنا القرآن وإنما سمي نوراً لأن به يهتدى في ظلم الكفر والضلال كما يهتدى بالنور الساطع والشهاب اللامع وضياء القرآن أشرف من ضياء الانوار لأن القرآن يعشو اليه القلب والنور يعشو اليه الطرف .

٥١٣ ـ وقوله سبحانه:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ .

[التغابن ـ الآية ٩]

فذكر التغابن ههنا مجاز والمراد به والله أعلم تشبيه المؤمنين والكافرين[1] بالمتعاقدين والمتبايعين فكأن المؤمنين ابتاعوا دار الثواب وكأن الكافرين اعتاضوا منها دار العقاب فتفاوتوا في الصفقة وتغابنوا في البيعة فكان الربح مع المؤمنين والخسران مع الكافرين ويشبه ذلك قوله تعالى ﴿ **هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم* تؤمنون بالله ورسوله**﴾[2] .

وليس في السورة التي يذكر فيها الطلاق شيء من الغرض الذي نقصده في هذا الكتاب .

(١) ط . خلت من (والكافرين بالمتعاقدين والمتبايعين فكأن المؤمنين)

(٢)) سورة الصف الآيتان ١٠ و١١ .

سورة التحريم

ومن السورة التي يذكر فيها التحريم

٥١٤ ـ قوله سبحانه ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ .

[التحريم ـ الآية ٤]

وهذه استعارة ومعنى صغت قلوبكما أي مالت وانحرفت قال النضر بن شميل يقال قد صغوت اليه وصغيت واصغيت اليه وهو الكلام ولم تمل قلوبهما على الحقيقة وإنما اعتقد قلباهما خلاف الاستقامة في طاعة النبي صلى الله عليه وآله فحسن أن يوصفا[1] بميل القلبين من هذا الوجه وذلك لقول القائل : قد مال إلى فلان قلبي إذا أحبه وقد نفر[2] عن فلان قلبي إذا أبغضه والقلب في الامرين جميعاً بحاله لم يخرج عن نياطه[3] ولم يزل عن مناطه وإنما قال سبحانه ﴿**قلوبكما**﴾ والخطاب مع امرأتين لأن كل شيئين تجوز العبارة عنهما بلفظ الجمع في عادة العرب قال الراجز[4] :

ومهمهين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين

وقال الله في موضع آخر ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾[5] وإنما أراد

(١) ط . أن توصف .

(٢)ن . تفرق .

(٣) النياط : الفؤاد .

(٤) الراجز هو رؤبة بن الحجاج .

(٥) سورة المائدة الآية ٣٨ .

قطع يمين السارق ويمين السارقة وذلك مشهور في هذه اللغة .

٥١٥ -وقوله سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾ .

[التحريم -الآية ٨]

وهذه استعارة لأن نصوحاً من أسماء المبالغة يقال رجل نصوح إذا كان كثير النصح لمن يستنصحه وذلك غير متأت[1] في صفة التوبة على الحقيقة فنقول إن المراد بذلك والله اعلم أن التوبة لما كانت بالغة غاية الاجتهاد في تلافي ذلك الذنب كانت كأنها بالغة غاية الاجتهاد في نصح صاحبها ودلالته على طريق النجاة بها فحسن أن تسمى نصوحاً من هذا الوجه . وقال بعضهم النصوح هي التوبة التي يناصح الانسان فيها نفسه ويبذل مجهوده في إخلاص الندم والعزم على ترك معاودة الذنب . وقرأ أبو بكر بن عياش عن عاصم نصوحاً بضم النون على المصدر وقرأ بقية السبعة بفتح النون على صفة التوبة .

٥١٦ -وقوله سبحانه:﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ .

[التحريم -الآية ١٠]

وهذه استعارة لأن وصف المرأة بأنها تحت الرجل ليس يراد به حقيقة الفوق والتحت وإنما المراد أن منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجل[2] لقيامه عليها وغلبته على أمرها كما قال سبحانه ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾[3]وكما يقول القائل فلان الجندي تحت يديْ فلان الامير إذا كان من شحنة عمله ومتصرفاً على أمره وكما يقول الآخر لا أخذ رزقي من تحت يديْ فلان إذا كان هو الذي يلي اطلاق رزقه وتوفية مستحقه وذلك مشهور في كلامهم .

(١) ن . غير متاف .

(٢) ن . عن منزلته .

(٣) سورة النساء الآية ٣٤ .

سورة الملك

ومن السورة التي يذكر فيها الملك

٥١٧ - قوله سبحانه:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[الملك -الآية ١]

وهذه استعارة وقد مضت لها نظائر فيما تقدم والمراد بذكر اليد ههنا استيلاء الملك وتدبير الأمر يقال هذه الدار في يد فلان أي في ملكه وهذا الأمر في يد فلان أي هو المدبر له فمعنى ﴿ **بيده الملك** ﴾ أي[1] هو مالك الملك ومدبر الأمور[2] .

٥١٨ - وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ .

[الملك -الآية ٤]

وهذه من الاستعارات المشهورة والمراد بها والله أعلم أي كرر أيها الناظر بصرك إلى السماء مفكراً في عجائبها ومستنبطاً غوامض تركيبها يرجع اليك بصرك بعيداً مما طلبه ذليلاً بقوة ما قدره والخاسىء في قول قوم البعيد من قولهم خسئت الكلب إذا أبعدته وفي قول قوم هو الذليل يقال رجل خاسىء أي ذليل وقد خسَّ أي خضع وذل والحسير هو البعير المعيي الذي قد بلغ السير بمجهوده واعتصر عوده فتلخيص المعنى أن البصر يرجع بعد سروحه في

(١) ن . خلت من (أي)

(٢) ن . الأمور .

طلب مراده وإبعاده في غايات مرامه كالاً معيياً بعيداً عن[1] إدراك بغيته خائباً من نيل طلبته .

٥١٩ ـ وقوله سبحانه في صفة نار جهنم نعوذ بالله منها: **﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ الآية .**

[الملك ـ الآيتان ٧ ـ ٨]

وفي هذا الكلام استعارتان : إحداهما قوله تعالى **﴿ سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ﴾** والشهيق الصوت الخارج من الجوف عند تضايق القلب من الحزن الشديد والكمد الطويل وهو صوت مكروه السماع فكأنه تعالى وصف النار بأن لها أصواتاً مقطعة يهول من سمعها ويصعق من قرب منها . والاستعارة الأخرى قوله سبحانه **﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾** من قولهم تغيظت القدر إذا اشتد غليانها ثم صارت الصفة به مخصوصة بالانسان المغضب فكأنه تعالى وصف النار نعوذ بالله منها بصفة المغيظ الغضبان الذي من شأنه إذا بلغ ذلك الحد أن يبالغ في الانتقام ويتجاوز الغايات في الايقاع والايلام وقد جرت عادتهم[2] في صفة الانسان الشديد الغيظ بأن يقولوا يكاد فلان يتميز غيظاً أي تكاد أعضاؤه المتلاحمة تتزايل وأخلاطه المتجاورة تتنافى وتتباعد من شدة اهتياج غيظه واحتدام طبعه فأجرى تعالى هذه الصفة التي هي ابلغ صفات الغضبان على نار جهنم لما وصفها بالغيظ ليكون التمثيل في أقصى منازله وأعلى مراتبه .

٥٢٠ ـ وقوله سبحانه: **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾** .

[الملك ـ الآية ١٥]

وهذه استعارة لأن الذلول من صفة الحيوان المركوب يقال بعير ذلول وفرس ذلول إذا أمكن من ظهره وتصرَّف على مراد راكبه وضد ذلك وصفهم

(١) ط . من .
(٢) ن . عادته .

للمركوب المانع لظهره والممتنع على راكبه بالصعب والمصعب والمعنى انه سبحانه جعل الأرض للناس كالمركوب الذلول ممكنة من الاستقرار عليها والتصرف فيها طائعة غير مانعة ومذعنة غير مدافعة والمراد بقوله تعالى **﴿فامشوا في مناكبها ﴾** أي في ظهورها وأعاليها وأعلى كل شيء منكب له وقال بعضهم معنى ذلك أنه تعالى لما أصابها[1] في بعض الاحيان بالرجفات والزلازل التي لا قرار معها على وجه الأرض وخلق الجبال الملاس الصعبة المسالك لتكون للأرض ثقلاً وللخلق معقلاً أعلمنا سبحانه أنه لولا ما أنعم به علينا من تسكين الأرض وتوطينها ونفي الحزون والوعوث[2] عن أكثرها حتى امكنت من التصرف على ظهرها لما كان عليها مثبت قدم ولا مسرح نعم وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .

٥٢١ ـ وقوله سبحانه: **﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** .

[الملك ـ الآية ٢٢]

وهذه استعارة[3] والمراد بها صفة من يتخبط في الضلال وينحرف عن طريق الرشاد لأنهم يصفون من تلك حاله بأنه ماشٍ على وجهه فيقولون فلان يمشي على وجهه ويمضي على وجهه إذا كان كذلك وإنما شبهوه بالماشي[4] على وجهه لأنه لا ينتفع بمواقع بصره إذ كان البصر في الوجه وإذا كان الوجه مكبوباً على الارض كان الانسان كالأعمى الذي لا يسلك جدداً ولا يقصد سدداً ومن الدليل على قوله تعالى **﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ﴾** من الكنايات عن عمى البصر قوله تعالى في مقابلة ذلك **﴿ أمّن يمشي سوياً ﴾** لأن السوي ضد المنقوص في خلقه والمبتلى في بعض كرائم جسمه .

(١) ط . لما أصابنا .
(٢) الوعوث : من وعث : تعسّر سلوكه : الشدة والشر .
(٣) ن . خلت من (وهذه استعارة)
(٤) ن . بالماضي .

سورة القلم

ومن السورة التي يذكر فيها ن والقلم

٥٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾.

[القلم ـ الآية ٤٢]

وهذه استعارة والمراد بها الكناية عن هول الأمر وشدته وعظم الخطب وفظاعته لأن من عادة الناس أن يشمروا عن سوقهم عند الأمور الصعبة التي يحتاج فيها الى المعاركة ويفزع عندها[١] إلى الدفاع والممانعة فيكون تشمير الذيول عند ذلك أمكن للقراع وأصدق للمصاع وقد جاء في اشعارهم ذكر ذلك في غير موضع قال قيس بن زهير بن جذيمة العبسي :

وإذ شمّرت لك عن ساقها   فويهاً ربيع فلا تسأم

وقال الآخر :

قد شمّرت عن ساقها فشدوا   وجدت الحرب بكم فجدُّوا

٥٢٣ ـ وقوله سبحانه : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[القلم ـ الآية ٤٤]

وهذه استعارة ولها في القرآن نظائر منها قوله تعالى ﴿ **وذرني والمكذبين**

(١) ن . خلت من (عندها) .

أولي النعمة ومهلهم قليلاً ﴾[١] وقوله تعالى ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾[٢] ومعنى ذلك أن الكلام خرج على مذهب للعرب معروف وغرض مقصود يقول قائلهم لمخاطبه إذا أراد تغليظ الوعيد لغيره : ذرني وفلاناً فستعلم ما أنزل به فالمراد إذاً بهذا الخطاب النبي (ص) فكأنه تعالى قال له ذر عقابي وهؤلاء المكذبين اترك مسألتي في التخفيف عنهم والابقاء عليهم لأنه سبحانه لا يجوز عليه المنع فيصح معنى قوله لنبيه (ص) ذرني وكذا لأنه المالك لا ينازع والقادر لا يدافع .

٥٢٤ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾.

[القلم ـ الآية ٥١]

وهذه استعارة والمراد بالازلاق ههنا ازلاق القدم حتى لا تستقر على الأرض وذلك خارج على طريقة للعرب[٣] معروفة يقول القائل منهم نظر إلي فلان نظراً كاد يصرعني به وذلك لا يكون إلا نظر المقت والابغاض وعند النزاع والخصام قال الشاعر :

يتقارضون[٤] إذا التقوا في موقف   نظراً يزيل مواقف الاقدام

وقد انكر بعض العلماء أن يكون المراد بقوله تعالى ﴿ **ليزلقونك بأبصارهم** ﴾ الاصابة بالعين لأن هذا من نظر السخط والعداوة وذلك من نظر الاستحسان والمحبة .

(١) سورة المزمل الآية ١١ .
(٢) سورة المدثر الآية ١١
(٣) ن . طريقة العرب .
(٤) ن . يتفاوضون .

سورة الحاقة

ومن السورة التي يذكر فيها الحاقة

٥٢٥ ـ قوله سبحانه:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾.

[الحاقة ـ الآية ٦]

وهـذه استعارة والمراد بالصرصر الباردة وهو مأخوذ من الصر والعاتية الشديدة الهبوب التي ترد بغير[١] ترتيب مشبهة بالرجل العاتي وهو المتمرد الذي[٢] لا يبالي على ما أقدم ولا في ما ولج ووقع .

٥٢٦ ـ وقوله سبحانه:﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾.

[الحاقة ـ الآية ١٠]

وهذت استعارة والمراد بالرابية ههنا الغالبة القاهرة من قولهم ربا الشيء إذا زاد والربا مأخوذ من هـذا فكأن تلك الأخـذة[٣] كانت قاهرة لهم[٤] وغالبة عليهم .

٥٢٧ ـ وقوله سبحانه ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴾.

[الحاقة ـ الآية ١١]

(١) ن . بعد .

(٢) ن . (بالذي) .

(٣) ن . ذلك الأخذة .

(٤) ن . خلت من (لهم) .

وهذه استعارة والمراد بها قريب من المراد بالاستعارتين الأوليين وهو تشبيه للماء في طمو أمواجه وارتفاع اثباجه[١] بحال الرجل الطاغي الذي علا متجبراً وشمخ مستكبراً[٢] وقال بعضهم معنى طغى الماء ، أي كثر على خزانه فلم يضبطوا مقدار ما خرج منه كثرةً لأن للماء خزنة وللرياح خزنة من الملائكة عليهم السلام يخرجون منها على قدر ما يراه الله تعالى من مصالح العباد ومنافع البلاد على ما وردت به الآثار .

٥٢٨ ـ وقوله سبحانه : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾.

[الحاقة ـ الآية ٢١]

وهـذه استعارة وكان الوجه أن يقال في عيشة[٣] مرضية ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم شعر شاعر وليل ساهر إذا شعر في ذلك الشعر وسهر ذلك الليل فكأنها وصفا بما يكون فيها لا بما يكون منها فإن أن تلك العيشة لما كانت بحيث يرضي الانسان فيها حاله جاز أن توصف هي[٤] بالرضا فيقال راضية على المعنى الذي أشرنا اليه وعلى ذلك قول اوس بن حجر :

جـدلت عـلى ليلة سـاهـره   بصحـراء سرح إلى نـاظـره

فوصف الليلة بصفة الساهر وظاهر الصفة أنها لها وقال بعضهم انما قال تعالى في عيشة راضية . لأنها في معنى ذات رضاً كما يقال لابن وتامر أي ذو لبنٍ وتمر وكما قالوا لذي الدرع دارع و لذي النبل نابل ولصاحب الفرس فارس وإنما جاءوا به على النسب ولم يجيئوا به على الفعل وعلى ذلك قول النابغة الذبياني :

كليني لِهَمٍّ يـا أميمةُ نـاصب   وليل اقاسيه بطيء[٥] الكواكب

(١) من ثبج : جمع أثباج : معظمُهُ . اعلاه .

(٢) ط . متكبراً .

(٣) ن . خلت من حرف الجر .

(٤) ن . خلت من (هي) .

(٥) ن . على الكواكب .

أي ذي نصب فان فكأن العيشة اعطيت من النعيم حتى رضيت فحسن أن يقال راضية لأنها بمنزلة الطالب للرضا كما أن الشهوة بمنزلة الطالب للمشتهى[1].

٥٢٩ -وقوله سبحانه:﴿ وَلَو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ باليمين ﴾.

[الحاقة -الآيتان ٤٤ -٤٥]

وهذه استعارة على أحد التأويلات وهو أن يكون المراد باليمين ههنا القوة والقدرة فيكون المعنى انه لو فعل ما نكره فعله لانتقمنا منه عن قدرة وعاقبناه عن قوة وقد يجوز أن تكون اليمين ههنا راجعة الى النبي(ص)فيكون المعنى[2] لو فعل ذلك لسلبناه قدرته وانتزعنا منه قوته ويكون ذلك كقوله تعالى :﴿تنبت بالدُّهن ﴾[3] أي تنبت الدهن على بعض التأويلات وكقول الشاعر :

(يضرب بالسيف ويرجو بالفرج)

أي يرجو الفرج .

(١) ط . المشتهي .

(٢) ن . فيكون لو فعل ذلك .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٠ .

سورة سأل سائل[1]

ومن السورة التي يذكر فيها سأل سائل

٥٣٠ ـ قوله سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾

[المعارج ـ الآيات ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧]

وهذه استعارة والمراد بدعائها من أدبر وتولى والله اعلم انه لما استحقها بادباره عن الحق صارت كأنها تدعوه اليها وتسوقه نحوها وعلى ذلك قول ذي الرمة في صفة الثور[2] :

عدا بوهنين مجتازاً لمرتعه   بذي الفوارسَ تدعو أنفه الربب[3]

والربب جمع ربة وهي نبت من نبات الصيف يقول لما وجد ريح[4] الربب مضى نحوها فكأنها[5] دعته إلى أكلها وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك انها لا يفوتها ذاهب ولا يعجزها[6] شارب فكأنها تدعو الهارب منها فيجيبها مداً له بأسبابها[7] ورداً له إلى عذابها قال بعض المفسرين : فإنه يخرج عنق من النار فيتناول الكافر حتى يقحمه فيها فكأنها بذلك الفعل داعية إلى دخولها وقد يجوز ان يكون المراد انها تدعو من أدبر عن الحق بمعنى أنها تخوله بفظاعة الخبر عنها وتغليظ الوعيد بها فكأنها تستعطفه إلى الرشد[8] وتستصرفه

(١) وتسمى المعارج .

(٢) ن . خلت من (في صفة الثور) .

(٣) رواية اللسان لهذا البيت :

أمسى بوهبين مجتازاً لمرتعه   من ذي الفوارس يدعو أنفه الرِّبب

(٤) ط . رائحة .

(٥) ن . فكأنها دعته اليها .

(٦) ن . ولا يعجز عنها .

(٧) ن . بأسنانها .

(٨) ط . إلى الرتبة .

عن الغي . وحكي عن المبرد انه قال : ﴿ تدعو من أدبر وتولى ﴾ أي تعذبه . وحكي عن الخليل أن اعرابياً قال لآخر : دعاك الله أي عذبك الله . وقال ثعلب : معنى دعاك الله أي أماتك الله ، فعلى هذا القول يدخل الكلام في باب الحقيقة ويخرج عن حيز الاستعارة .

سورة نوح

ومن السورة التي يذكر فيها نوح عليه السلام

٥٣١ - وقوله تعالى : قوله سبحانه: ﴿ مَالَكُم لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً ﴾ .

[نوح - الآية ١٣]

وهذه استعارة لأن الوقار ههنا وضع موضع[١] الحلم مجازاً . يقال : رجل وقور يعني[٢] حليم ، وأما حقيقة الوقار الذي هو الرزانة والثقل فلا يجوز أن يوصف[٣] به القديم تعالى لأنه من صفات الأجسام وإنما يجوز وصفه تعالى بالوقار على معنى الحلم كما ذكرناه ، والمعنى أنه يؤخر عقاب المذنبين مع الاستحقاق إمهالاً للتوبة وانتظاراً للفيئة[٤] والرجعة لأن الحليم في الشاهد اسم لمن يترك الانتقام عن قدرة ولا يسمى غير القادر إذا ترك الانتقام حليماً للعلة التي ذكرناها . وقوله تعالى ﴿ لا ترجون لله ﴾ ههنا أي لا تخافون فكأنه سبحانه قال : ما لكم لا تخافون الله حلماً وإنما أخر عقوبتكم إمهالاً لكم ، وإيجاباً للحجة عليكم ، وإلا فعذابه[٥] من ورائكم وانتقامه قريب منكم . وقد جاء في أشعار[٦] العرب لفظ الرجاء ، والمراد به الخوف ولا يرد ذلك إلا وفي الكلام حرف نفي لا يقال فلان يرجو فلاناً بمعنى يخافه ، بل يقال : فلان لا يرجو فلاناً أي لا يخافه قال أبو ذؤيب الهذلي[٧] :

---

(١) ط . وضع وضع الحلم .

(٢) ط . بمعنى .

(٣) ط . يوصف بها .

(٤) الفَيْئة : المرة . الرجعة .

(٥) ط . فعقابه .

(٦) ط . في شعر .

(٧) أبو ذؤيب الهذلي : شاعر مخضرم . خرج مع عبد الله بن أبي سرد لفتح افريقيا في عهد عثمان (٦٤٧) توفي في مصر نحو ٦٤٨ .

إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها   وخالفها في بيت نوب عوامل

أراد لم يخف لسعها وقال الآخر :

لا ترتجي حين تلاقي الرائدا   أخمسة لاقيت معاً أو واحدا

أي لا تخاف وقال بعض العلماء : إنما كنوا عن الخوف بالرجاء في هذه المواضيع لأن الراجي ليس بمستيقن[1] فمعه طرف من المخافة . وقال بعضهم : الوقار ههنا بمعنى العظمة وسعة المقدرة وأصل الوقار ثبوت ما به يكون الشيء عظيماً من الحلم والعلم اللذين يؤمن معهما الخرق والجهل ومن ذلك قول القائل : قد وقر قول فلان في قلبي أي ثبت واستقر وخدش وأثر .

٥٣٢ ـ وقوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ .

[نوح ـ الآية ١٧]

وهذه استعارة لأن حقيقة الانبات إنما تجري على ما تطلعه الأرض من نباتها وتخرجه عند ازدراعها[2] . ولما كان تعالى يخرج البرية من مضايق الأحشاء إلى مفاسح الهواء ويدرجهم من الصغر إلى الكبر وينقلهم من الهيئات والصور وكل ذلك على وجه الأرض جاز أن يقول تعالى : ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً** ﴾ . وقال بعضهم : فاذا خلقه تعالى من طين الأرض كان نسله مخلوقين منها لرجوعهم إلى الأصل المخلوق من طينها فحسن أن يقول تعالى : ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً** ﴾ ، أي[3] استخرجكم من طين الأرض ونباتاً ههنا مصدر وقع مخالفاً لما يوجبه بناء فعله وكان الوجه أن يكون إنباتاً لأنه في الظاهر مصدر أنبتكم وقد قيل : إن هناك فعلاً محذوفاً جرى المصدر عليه فكأنه تعالى قال : والله أنبتكم من الأرض فنبتم نباتاً لأن أنبت يدل على نبت من جهة أنه مضمر[4] به .

(١) ط . ليس بستيقن .

(٢) ازدرع : بمعنى زرع .

(٣) ن . خلت من (أي استخرجكم من طين الأرض) .

(٤) ن . تضمن به .

٥٣٣ ـ قوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾ .

[نوح ـ الآية ١٩ ـ ٢٠]

وهذه استعارة والمراد بالبساط ههنا المكان الواسع المستوي شبه بالبساط وهو النمط الذي يمد على الأستواء فيجلس عليه . وقال الأصمعي : وبنو تميم خاصة تقول بَساط بفتح الباء وقال الشاعر[1] :

ودون يد الحجاج من أن تنالني   بساط لأيدي الناعجات عريض

وتصيير الأرض بساطاً كتصيرها فراشاً ومهاداً وهذه الألفاظ الثلاثة ترجع إلى معنى واحد .

(١) ن . الشاعر وهو العديل العجلي .

سورة الجن

ومن السورة التي يذكر فيها الجن

٥٣٤ ـ قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾.

[الجن ـ الآية ١١]

وهذه استعارة والمراد بذلك والله أعلم ، كنا ضروباً مختلفة وأجناساً مفترقة . والطرائق جمع طريقة وهي في هذا الموضع المذهب والنحلة والقدد جمع قدة وهي القطعة من الشيء المقدود طولاً مثل : فلذة وفلذ وقربة وقرب وقد غلب على ما كان من القطع طولاً لفظ القد ، وعلى ما كان من القطع عرضاً لفظ القط فكأنه سبحانه شبه اختلافهم في الأقوال وافتراقهم في الآراء بالسيور المقدودة التي تتفرق عن أصلها وتتشعب بعد ائتلافها .

٥٣٥ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾.

[الجن ـ الآية ١٥]

وهذه استعارة والمراد أن نار جهنم نعوذ بالله منها يستدام وقودها بهم كما يستدام وقود النار بالحطب لأن كل نار لا بد لها من حشاش يحشها ووقود يمدها .

٥٣٦ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وأنَّهُ لما قامَ عبدُ الله يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عليْهِ لِبَداً ﴾.

[الجن ـ الآية ١٩]

وهذه استعارة واللبد ههنا كناية عن الجماعات المتكاثرة التي تظاهرت من الكفار على النبي عليه السلام أي اجتمعوا عليه متألبين وركبوه مترادفين فكانوا كلبد الشعر وهي طرائقه وقطعه التي يركب بعضها بعضاً وواحدتها لبدة ، ومنه قيل : لبدة الأسد وهي الشعر المتراكب على مناكبه وذلك أبلغ ما شبهت به الجموع المتعاظلة والأحزاب المتألفة . وقال بعض أهل التأويل : المراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما صلى الصبح ببطن نخلة عند انصرافه[1] من حنين وقد حضره الوفد من الجن وخبرهم مشهور كادوا يركبون منكبه ويطأون أثوابه لما سمعوا قراءته استحساناً لها وارتياحاً اليها وتعجباً منها . وروي[2] عن ابن عباس في هذا المعنى وهو أغرب الأقوال أن هذا الكلام الحسن لقومهم[3] لما رجعوا اليهم فقالوا : ﴿ **إنا سمعنا قرآناً عجباً** ﴾[4] وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما قام ببطن نخلة يصلي باصحابه عجب الجن الحاضرون من طواعيتهم له في الركوع والسجود والقيام والقعود فلما رجعوا الى قومهم قالوا في جملة ما قصوه عليهم ﴿ **وإنه لما قام عبد الله يدعوه** ﴾ أي يصلي له كادوا يكونون عليه لبداً أي كاد أصحابه يركبونه تزاحماً عليه وتدانياً اليه واحتذاء[5] لمثاله واستماعاً لمقاله .

---

(١) ط : منصرفاً .

(٢) ط . خلت من حرف العطف .

(٣) ن . خلت من (لقومهم) .

(٤) الجن ـ الآية ١ .

(٥) من حذا : امتثل به . اقتدى وتشبه به .

سورة المزمل

ومن السورة التي يذكر فيها المزمّل

٥٣٧ ـ قوله سبحانه:﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ .

[المزمل ـ الآية ٥]

وهذه استعارة لأن القرآن كلام وهو عرض من الأعراض والثقل والخفة من صفات الأجسام والمراد بها صفة القرآن بعظم القدر ورجاحة الفضل كما يقول القائل : فلان رصين رزين وفلان راجح ركين إذا أراد صفته بالفضل الراجح والقدر الوازن .

٥٣٨ ـ وقوله سبحانه:﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ .

[المزمل ـ الآية ١٦]

وقد قرىء وطاً بالقصر وهذه استعارة والمراد بناشئة الليل ههنا ما ينشأ فعله أي يبدأ به من عمل الليل كالتهجد في أثنائه والتلاوة(١) في آنائه ومعنى أشد وطأ في قول بعضهم أشد مواطاة وهو مصدر يقال : واطاه مواطاة ووطاء أي : يواطىء فيها السمع القلب واللسان العمل لقلة الشواغل العارضة واللوافت الصارفة ولأن البال فيها أجمع والقلب أفرغ والقراءة(٢) فيها أقوم والصلاة

(١) ن . خلت من (والتلاوة في آنائه)

(٢) ط . فالقراءة .

أسلم ومن جعل وطأ ههنا اسماً لما يستوطىء ويفترش كالمهاد وما يجري مجراه ، فإنه ذهب إلى أن عمل الليل أوعث مقاماً وأصعب مراراً وعندهم أن كل ما ينشأ بالليل من قراءة أو تهجد(١) أو طروق أو ترحل أشق على فاعله وأصعب على مستعمله لأن الليل موحش هائل ومخوف محاذر وكل(٢) ما وقع فيه مما أومأنا اليه كان كالنسيب له والشبيه به ومن قرأ وطا بالقصر فالمعنى فيه قريب من المعنى الأول والمراد : إن قيام الليل أشد وطأ أي أصعب وأشق كما يقول القائل : هذا الأمر شديد الوطأة عليّ إذا وصف بلوغه منه وصعوبته عليه ومع أن عمل الليل أشد كلفة وشقة فهو أقوم صلاة وقراءة للمعنى الذي قدمنا ذكره .

٥٣٩ ـ وقوله سبحانه :﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ﴾ .

[المزمل ـ الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد بها المضطرب الواسع والمجال الفاسح ، وذلك مأخوذ من السباحة في الماء وهي الاضطراب في غمراته والتقلب في جهاته فكأنه سبحانه قال : إن لك في النهار مصرفاً متسعاً ومذهباً منفسحاً تقضي فيه أوطارك وتبلغ آرابك .

٥٤٠ ـ وقوله سبحانه:﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً ﴾ .

[المزمل ـ الآية ١٧]

وهذه استعارة ، والمراد بها أن الولدان الذين هم الأطفال لو جاز أن يشيبوا لرائع خطب أو طارق كرب لشابوا في ذلك اليوم لعظيم أهواله وفظاعة أحواله وذلك كقول القائل : قد لقيت(٣) من هذا الأمر ما تشيب منه النواصي كناية عن فظيع ما لاقى وعظيم ما قاسى .

(١) من هَجَدَ : النائم . المصلي في الليل . التهجد : صلاة الليل .

(٢) ط . خلت من (كل) .

(٣) ن . قد كنت . كذا .

سورة المدثر

ومن السورة التي يذكر فيها المدثر عليه الصلاة والسلام

٥٤١ - قوله سبحانه: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّر ﴾

[المدثر - الآية ٤]

وهذه استعارة على بعض التأويلات وهو أن تكون الثياب ههنا كناية عن النفس أو عن الأفعال والأعمال الراجعة إلى النفس قال الشاعر :

ألا أبلغ[١] أبا حفص رسولاً ... فدىً لك من أخي ثقة ازاري

قيل أراد فدىً لك نفسي وكذلك قول الفرزدق :

سكّنت[٢] جروتها وقلت لها اصبري ... وشددت في ضيق المقام ازاري

أي شددت نفسي ودمّرت[٣] قلبي والأزار والثياب يتقارب معناهما وعلى هذا فسروا قول امرىء القيس :

(فسلي[٤] ثيابي من ثيابك تنسل)

(١) ن . خلت ن هذا البيت .

(٢) في ديوان الفرزدق ذكر البيت هكذا : (فربطت جروتها وقلت لها اصبري) وذكر الشارح عن البحتري (فربطت نفرتها)

(٣) ن . ودبرت قلبي .

(٤) صدر البيت هو (وان كنت قد ساءتك مني خليقة) .

أي نفسي من نفسك أو قلبي من قلبك ويقولون فلان طاهر الثياب أي طاهر النفس أو طاهر الأفعال فكأنه سبحانه قال : ونفسك فطهر أو أفعالك فطهر وقد يجوز أن تكون الثياب ههنا بمعنى آخر[١] وهو أن الله تعالى سمى الأزواج لباساً فقال : ﴿ هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾[٢] واللباس والثياب بمعنى واحد فكأنه تعالى أمره أن يستطهر النساء أي يختارهن طاهرات من دنس الكفر ودرن العيب لأنهن مظان الإستيلاد ومضام الأولاد .

٥٤٢ - وقوله سبحانه: ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾

[المدثر - الآية ٣٤]

وهذه استعارة والمراد بها انكشاف الصبح بعد استتاره ووضوحه بعد التباسه تشبيهاً بالرجل المسفر الذي قد حط لثامه فظهرت مجالي وجهه ومعالم صورته .

(١) ط . معنى آخر .

(٢) البقرة ، الآية ١٨٧ .

سورة القيامة

ومن السورة التي يذكر فيها القيامة

٥٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ .

[القيامة ـ الآيتان ١٤ ـ ١٥]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم : أن الانسان حجة على نفسه في يوم القيامة وشاهد عليها بما اقترفت من ذنب واحتملت من وزر وإن ألقى معاذيره أي هو وإن تعلق بالمعاذير ، ولفق الأقاويل شاهد على نفسه بما يوجب[1] العقاب ويجر النكال . وقال الكسائي : المعنى بل على نفس الانسان بصيرة فجاء على التقديم والتأخير أي عليه من الملائكة رقيب يرقبه وحافظ يحفظ عمله . وقال أبو عبيدة : جاءت هذه الهاء في بصيرة والموصوف بها مذكر كما جاءت في علامة ونسابة وراوية وطاغية والمراد بها المبالغة في المعنى الذي وقع الوصف به ووجه المبالغة في صفة الملك المحصي لأعمال المكلف بأنه بصيرة أن ذلك الملك يتجاوز علم الظواهر إلى علم السرائر بما جعل الله له على ذلك من الأدلة وأعطاه[2] من أسباب المعرفة فهو للعلة التي ذكرناها يوفي على كل رقيب حافظ ، ومراع ملاحظ . والتأويل الآخر يخرج به الكلام عن حيز الاستعارة فهو أن تكون المعاذير ههنا من أسماء الستور لأن أهل اليمن يسمون الستر بالمعذار وكأن المراد أن الانسان رقيب على نفسه وعالم بمستسر غيبه فيما

(١) ن . بما وجب .

(٢) ن . واعطاؤه .

يقارنه من المعصية أو يقاربه من ريبة[1] وإن ألقى ستوره مستخفياً وأغلق أبوابه متوارياً .

٥٤٤ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ .

[القيامة ـ الآيتان ٢٩ ـ ٣٠]

وهذه استعارة على أكثر الأقوال والمراد بها والله أعلم صفة الشدتين المجتمعتين على المرء[2] من فراق الدنيا ولقاء أسباب الآخرة وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العرب في العبارة عن الأمر الشديد والخطب الفظيع بذكر الكشف عن الساق والقيام على ساق[3] ، فلا فائدة في تكرير ذلك وإعادته وقد يجوز أيضاً أن يكون الساق ههنا جمع ساقة كما قالوا : حاجة وحاج وغاية وغاي والساقة هم الذين يكونون في اعقاب الناس يحفزونهم[4] على السير وهذا في صفة أحوال الآخرة وسوق الملائكة للناس[5] إلى القيامة ، فكأنه تعالى وصف الملائكة السائقين بالكثرة[6] حتى يلتف بعضهم ببعض من شدة الحفز وعنيف السير[7] والسوق ومما يقوي ذلك قوله تعالى : ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ والوجه الأول أقرب وهذا الوجه أغرب .

(١) ن . من ذنب .

(٢) ن . على اكثر من فراق .

(٣) ط . والقيام عن ساق .

(٤) من حَفَزَ : حفزه أي حثّه وحرّكه .

(٥) خلت من (الناس إلى القيامة فكأنه تعالى وصف الملائكة)

(٦) ن . بالكره .

(٧) ن . خلت من (السير) .

سورة الانسان

ومن السورة التي يذكر فيها الانسان

٥٤٥ - قوله سبحانه: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ .

[الانسان ـ الآية ٧]

وهذه استعارة وحقيقة الاستطارة[١] من صفات ذوات الأجنحة يقال : طار الطائر واستطرته أنا إذ بعثته على الطيران . ويقولون أيضاً من ذلك على طريق المجاز : استطار لهب النار ، إذا انتشر وعلا وظهر وفشا فكأنه سبحانه قال : يخافون يوماً كان شره فاشياً ظاهراً وعالياً منتشراً .

٥٤٦ - وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوماً عَبُوساً قَمطَرِيراً ﴾ .

[الإنسان ـ الآية ١٠]

وهذه استعارة لأن العبوس من صفة الانسان القاطب المعبس فشبه تعالى ذلك اليوم لقوة دلائله على عظيم عقابه وأليم عذابه بالرجل العبوس الذي يستدل بعبوسه وقطوبه على ارتصاده[٢] بالمكروه وعزمه على إيقاع الأمر المخوف وأصل العبوس تقبيض الوجه وهو دليل السخط وضده الاستبشار والتطلق وهما

(١) ط . الاستطار .

(٢) ط . أرصاده .

دليلا الرضا والخير وكما سمت العرب اليوم المحمود طلقاً فكذلك سمت اليوم المذموم عبوساً ويقال : يوم قمطرير وقماطر[١] اذا كان شديداً ضره طويلاً شره .

٥٤٧ - وقوله سبحانه : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِم ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ .

[الانسان ـ الآية ١٤]

وهذه استعارة والمراد بتذليل القطوف وهي عناقيد الأعناب وواحدها قطف انها جعلت قريبة من أيديهم غير ممتنعة على مجانيهم لا يحتاجون الى معاناة في اجتنائها ولا مشقة في اهتصار افنانها فهي كالظهر الذلول الذي يوافق صاحبه ويواتي راكبه والتذليل ههنا مأخوذ من الذل بكسر الذال وهو ضد الصعوبة والذل بضم الذال ضد العز والحمية .

٥٤٨ -وقوله سبحانه:﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يوماً ثَقِيلاً ﴾ .

[الانسان ـ الآية ٢٧]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها فيما تقدم والمراد باليوم الثقيل[٢] ههنا استثقاله من طريق الشدة والمشقة لا من طريق الاعتماد بالأجزاء الثقيلة وقد يوصف الكلام بالثقل على هذا الوجه وهو عرض من الأعراض فيقول القائل : قد ثقل عليَّ خطاب فلان وما أثقل كلام فلان .

(١) ن . وقماطير .

(٢) ن . خلت من (الثقيل) .

سورة المرسلات

ومن السورة التي يذكر فيها المرسلات

٥٤٩ ـ قوله سبحانه:﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ .

[المرسلات ـ الآية ٨]

وهذه استعارة والمراد بطمس النجوم والله أعلم محو آثارها وإذهاب[1] أنوارها وازالتها عن الجهات التي كان يستدل بها ويهتدى[2] بسمتها فصارت كالكتاب المطموس الذي اشكلت سطوره واستعجمت حروفه والطمس في المكتوبات حقيقة وفي غيرها استعارة .

(١) ط . واذهاب .

(٢) ن . لم ترد فيها جملة (ويهتدي بسمتها فصارت)

سورة النبأ

ومن السورة التي يذكر فيها عم يتساءلون

٥٥٠ ـ قوله سبحانه ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ مِهَاداً * وَٱلجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾

[النبأ ـ الآيتان ٦ ـ ٧]

وهاتان استعارتان وقد مضى الكلام على الأولى منهما وأما[1] معنى كون الجبال أوتاداً فلأن بها مساك الأرض وقوامها واعتدالها وثباتها كما يثبت البيت بأوتاده ويقوم الخباء[2] على عماده .

(١) ط . أما معنى .

(٢) ط . والخباء على اعماده .

سورة النازعات

ومن السورة التي يذكر فيها النازعات

٥٥١ ـ قوله تعالى:﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

[النازعات ـ الآيتان ١٣ ـ ١٤]

وهذه استعارة لأن المراد بالساهرة ههنا على ما قال المفسرون ، والله أعلم ، الأرض قالوا : إنما سميت ساهرة على مثال عيشة راضية . كأنه جاء على النسب أي[1] ذات السهر وهي الأرض المخوفة أي يسهر في ليلها خوفاً من طوارق شرها وقيل أيضاً : إنما سميت الأرض ساهرة لأنها لا تنام عن أنماء نباتها وزروعها فعملها في ذلك ليلاً كعملها فيه نهاراً .

ولم نجد في السورة التي يذكر فيها﴿ عبس وتولى ﴾[2] شيئاً من المعنى الذي قصدنا له .

(١) ط . لم ترد فيها (أي) .

(٢) وتسمى سورة عبس .

سورة كورت [1]

ومن السورة التي يذكر فيها إذا الشمس كورت

٥٥٢ ـ قوله تعالى:﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ .

[كورت ـ الآيتان ـ ٨ ـ ٩]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم: انها سئلت لا لاستخراج الجواب منها ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها ويكون ذلك على وجه التوبيخ للقاتل اذ قتل من لا يعرف عن نفسه[2] ولم يذنب ذنباً يؤخذ بجريرته . وقيل : معنى سُئلت أي طلب بدمها كما يقول القائل : سئلت فلاناً حقي عليه أي طالبته به وإنما سميت موؤودة[3] للثقل الذي يلقي عليها من التراب تقول[4] وأدني هذا الأمر أي أثقلني ومنه قوله تعالى : ﴿ لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾[5] ، أي لا يثقله ذلك كما يثقل أحدنا الشاهد حفظ المتشعبات وضبط المنتشرات .

٥٥٣ ـ وقوله سبحانه:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ .

[كورت ـ الآيتان ١٥ ـ ١٦]

وهاتان استعارتان وهما جميعاً في صفة النجوم ، فأما الخنس فالمراد بها

(١) وتسمى التكوير .

(٢) ط . من لا يعرب عن نفسه .

(٣) ن . المؤودة .

(٤) ط . ويقول آدبي .

(٥) البقرة ، الآية ٢٥٥)

التي تخنس نهاراً وتطلع ليلاً والخنس جمع خانس وهو الذي يقبع ويستسر ويخفي ويستتر . وأما الكنس فجمع كانس وهو أيضاً المتواري المستخفي مشبهاً بانضمام الوحشية الى كناسها وهو الموضع الذي تأوي اليه من ظلال شجر والتفاف خمر وجميعه كنس فشبه تعالى انقباع النجوم في بروجها بتواري الوحوش في كنسها .

٥٥٤ ـ وقوله سبحانه:﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ .

[كورت ـ الآية ١٨]

وهذه من الاستعارات العجيبة والتنفس ههنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من غموم غسوق الليل ، فكأنه متنفس من كرب أو متروح من هم ومن ذلك قولهم : قد نفس عن فلان الخناق أي انجلى كربه وانفسح قلبه وقد يجوز أن يكون معنى﴿ **إذا تنفس** ﴾ أي إذا انشق وانصدع من قولهم : تنفس الأناء إذا انشق وتنفست القوس اذا انصدعت وهذا التأويل يخرج اللفظ من باب الاستعارة وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى في كتابنا الكبير عند موضع اقتضى ذكره .

وليس في السورة التي يذكر فيها : ﴿ **إذا الشمس انفطرت** ﴾[1] شيء من غرض كتابنا هذا .

(١) وتسمى سورة الانفطار .

سورة المطففين

ومن السورة التي يذكر فيها المطففون وبقية المفصل إلى آخر القرآن

٥٥٥ ـ قوله تعالى:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ .

[المطففين ـ الآية ١٥]

وهذه استعارة ومجاز لأن الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور والبطون والاستتار والبروز وذلك من صفة الاجسام المحدثة والاشخاص المؤلفة والمراد بذكر الحجاب ههنا انهم ممنوعون من ثواب الله سبحانه مذودون[1] عن دخول جنته ودار مقامته وأصل الحجب المنع ومنه قولنا في الفرائض الأخوة يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس أي يمنعونها من الثلث ويردونها الى السدس ومن ذلك ايضاً قولهم حُجب فلان عن باب الأمير أي رد عنه ودفع دونه ويجوز أن يكون لذلك معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهم غير مقربين عند الله تعالى بصالح الأعمال واستحقاق الثواب فعبر تعالى عن هذا المعنى بالحجاب لأن المبعد المقصى يحجب عن الابواب ويبعد من الجناب .

٥٥٦ ـ وقوله سبحانه:﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ .

[الانشقاق ـ الآيتان ٣ - ٤]

وهذه استعارة والمراد بها بعث الأموات واعادة الرفات وكأن الأرض كانت حاملاً بهم فوضعتهم أو حاملة لهم فالقتهم فكانوا كالجنين المولود أو

(١) من ذاد : دفع وطرد .

الثقل[١] المنبوذ .

٥٥٧ - وقوله سبحانه: ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ .

[الانشقاق - الآية ١٧]

وهـذه استعـارة ومعنى وسق ههنـا أي ضم وجمع فكـأنـه يضم الحيوانات الانسية إلى مساكنها والحيوانات الوحشيـة الى مواجهـا والطيـور الى اوكارها ومواكنها فكأنه ضم ما كان بـالنهار[٢] منتشـراً أو جمع مـا كان متبـدداً متفرقا والأوسـاق مأخـوذة من ذلك لأنها الاحمـال التي يجمع فيهـا الطعـام وما يجري مجراه ويقـال طعام مـوسـوق أي مجمـوع في اوعيـة وقـد قيـل ان معنى وسق أي طـرد والوسيقـة الطريـدة فكـأن الليـل يـطرد الحيـوانـات كلهـا إلى مثاويها[٣] ويسوقها الى مخافيها .

٥٥٨ -وقوله سبحانه: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ .

[الانشقاق - الآية ١٩]

وهذه استعارة على بعض التأويـلات والمراد بهـا لتنتقلن من حال شـديدة إلى حـال مثلها أي من حـال الموت وشـدتـه إلى حـال الحشـر وروعتـه وقيـل لتـركبن سنة من كـان قبلكم من الأمم وقيـل المـراد بـذلـك تنقـل النـاس في احـوال الاعمار[٤] واطـوار الخلق والاخلاق والعـرب تسمي الـدواهي بنـات طبق وربما سموا الداهية ام طبق قال :الشاعر[٥]:

قـد طـرَّقت ببكـرهـا أمُّ طبق فنتجـوهـا خبـراً ضخم العنق

موت الامام فلقة من الفلق

والفلق ايضاً من أسماء الدواهي واحدتها فلقة وفليقة .

(١) ط . والثقل .
(٢) ن . ما كان النهار .
(٣) المثوى : المأوى : النزل .
(٤) ط . الأعمال .
(٥) الشاعر هو رؤبة بن العجاج .

٥٥٩ - وقوله سبحانه: ﴿ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ .

[الانشقاق - الآية ٢٣]

وهـذه استعـارة والمـراد بهـا مـا يسـرُّون في قلوبهم ويكنـون في صـدورهم يقول القائـل اوعيت هذا الأمـر في قلبي[١] أي جعلته فيـه كما يجعـل الزاد في وعائه ويضم المتـاع في عيابـه[٢] والقلوب أوعيـة لما يجعل فيهامن خيـر أو شر وعلم أو جهل أو باطل أو حق .

٥٦٠ - وقوله سبحانه: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ .

[الطارق - الأيتان ١ / ٢]

وهـذه استعارة لأن الـطارق ههنا كنـايـة عن النجم وحقيقـة الـطارق هـو الانسان الذي يـطرق ليلاً فلما كـان النجم لا يظهـر إلا في حال الليـل حسن أن يسمى طـارقاً وأصـل الطرق الـدق ومنه المـطرقة قـالـوا وإنما سمي الآتي بالليل طارقاً لأنـه يأتي في وقت يحتـاج فيه إلى الـدق أو ما يقـوم مقامـه للتنبيه على طروقه والايذان بوروده .

٥٦١ - وقوله سبحانه: ﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ .

[الطارق - الآيتان ٦ - ٧]

وهـذه استعارة وحقيقـة هذا المـاء أنه مـدفوق لا دافق ولكنـه خرج مثـل قولهم سرٌ كاتم وليل نائم وقد مضت لهذه الآية نـظائر كثيـرة وعندي في ذلـك وجـه آخر وهـو أن الماء لما كان في العـاقبة يؤ ول الى ان يخـرج منه الانسـان المتصرف والقادر جاز أن يقوي أمره فيوصف بصفـة الفاعـل لا صفـة المفعـول تمييزاً له عن غيره[٣] من المياه المهراقة[٤] والمائعات المـدفوقـة وهذا واضـح لمن تأمله .

(١) ن . في قلبه .
(٢) العيبة جمع عِياب وعيب : ما تجعل فيه الثياب كالصندوق .
(٣) ن . من غيره .
(٤) من هَرَق الماء اي صبّه .

٥٦٢ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَالسَّماءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ .

[الطارق ـ الآيتان ١١ - ١٢]

وهذه استعارة والمراد بها صفة السماء بأنها(١) ترجع بدرور الأمطار وتعاقب الانواء مرة بعد مرة وتعطي الخير حالة بعد حالة وقد قيل ان الرجع الماء نفسه وانشدوا للمتنخل الهذلي يصف السيف :

أبيض كالرجع رسوب إذا   ما ثاخ(٢) في محتفل يختلي

والمراد بـ ﴿ الأرض ذات الصدع ﴾ انصداعها عن النبات وتشققها عن الاعشاب وانشد صاحب العين لبعض العرب :

وجاءت(٣) سلّمٌ لا رجع فيها   ولا صدع فتحتلب الرعاء

فالرجع المطر والصدع العشب والسلّم السنة المجدبة .

٥٦٣ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ .

[الغاشية ـ الآيتان ٢ - ٣]

وهذه استعارة ، والمراد بالوجوه ههنا أرباب الوجوه ومثل ذلك قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها القيامة : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرة * إلى ربها ناظرة ﴾(٤) والدليل على ما قلناه إضافته سبحانه النظر اليها والنظر إنما يصح من أربابها لا منها لأنه تعالى قال عقيب ذلك ﴿ وجوهٌ يومئذٍ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾(٥) وكذلك قوله تعالى : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناعمة * لسعيها راضية ﴾(٦) والرضاء والسخط إنما يوصف بهما(٧) اصحاب الوجوه لا الوجوه(٨) فانكشف الكلام عن(٩) الغرض المقصود .

(١) ط . كأنها .
(٢) ثاخ : خاضت وغابت فيه .
(٣) هكذا ذكر البيت صاحب لسان العرب أما في النسخة ط . فبعض الكلمات فيها غير واضح وكذا في نسخة ن
(٤) سورة القيامة الآيتان ٢٢ - ٢٣ .
(٥) سورة القيامة الآيتان ٢٤ - ٢٥ .
(٦) سورة الغاشية الآيتان ٨ - ٩ .
(٧) ط . به .
(٨) ط . خلت من (لا الوجوه) .
(٩) ط . على الغرض .

٥٦٤ ـ وقوله سبحانه: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ *(١) تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ .

[الغاشية ـ الآيتان ١٠ - ١١]

وهذه استعارة وقد مضت لها نظائر كثيرة جداً فيما تقدم من كلامنا أي لا تسمع فيها كلمة ذات لغو فلما كان صاحب تلك الكلمة يسمى لاغياً بقولها سميت هي لاغية على المبالغة في وصف اللغو(١) الذي فيها وقال بعضهم معنى ذلك لا تسمع فيها نفس حالفة على كذب ولا قاطعة برفث لأن الجنة لا لغو فيها ولا رفث ولا فحش ولا كذب .

٥٦٥ ـ وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾   [الفجر ـ الآية ٤]

وهذه استعارة والمراد بسري الليل دوران فلكه وسيران نجومه حتى يبلغ غايته ويستوفي قاصيته ويستخلف النهار موضعه .

٥٦٦ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾   [الفجر ـ الآية ١٠]

وهذه استعارة والمراد فرعون ذي الملك المتفرد والأمر المتوطد والاسباب المتمهدة التي استقر بها بنيانه وتمكن سلطانه كما تثبت البيوت بالاوتاد المضروبة والدعائم المنصوبة وقد مضى نظير ذلك .

٥٦٧ ـ وقوله سبحانه: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِم رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾

[الفجر ـ الآية ١٣]

وهذه من مكشوفات الاستعارة والمراد بها العذاب المؤلم والنكال المرمض لأن السوط في عرف عادة العرب يكون على الأغلب سبباً للعقوبات الواقعة والآلام الموجعة وقال بعضهم يجوز أن يكون معنى سوط عذاب أي وقع عذاب يخالط اللحوم والدماء، فيسوطها من قولهم(٢) ساط القدر يسوطها سوطاً إذا حرك ما فيها وخلطه فالسوط على هذا القول ههنا مصدر وليس

(١) ن . وصف المعنى التي .
(٢) ط . خلت من (قولهم ساط القدر يسوطها) .
(٣) المثوى : المأوى : النزل .

باسم .

٥٦٨ ـ وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُ اهلَكْتُ مَالاً لُبَداً ﴾ [البلد ـ الآية ٦]

وهذه استعارة وقد مضى نظير لها والمراد بـاللبد ههنـا المال الكثير الذي قـد تراكب بعضـه على بعض كـما تلبدت طرائق الشعـر وسبائـخ[١] القـطن وقد يجوز أن يكون ذلك مـأخوذاً من قـولهم رجل لبـد إذا كان لازمـاً لبيته لا يبـرحه وبـه سمي نسر لقمـان لبداً لمماطلته العمـر وطول بقـائه عـلى الدهـر وكأنه قال « أهلكت مالاً » كان باقياً لي وثابتاً عندي .

٥٦٩ ـ وقوله سبحانه: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَينِ ﴾ . [البلد ـ الآية ١٠]

وهذه استعارة والمراد بالنجدين ههنا الـطريقان المفضيـان الى الخير والشر والنجد المكان العالي وإنما سمى تعـالى هذين الـطريقين بـالنجدين لأنـه بيَّنها للمكلفين بياناً واضحاً ليتبعـوا سبيل الخير ويجتنبوا سبيـل الشر فكـأنه تعـالى بفرط البيان لهما قد رفعهما للعيون ونصبها للناظرين .

٥٧٠ ـ وقوله تعالى: ﴿ فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [البلد ـ الآية ١١]

وهذه استعارة أخرى وفسر تعالى المراد بالعقبة هنـا[٢] فقال ﴿ **فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة** ﴾[٣] الآية فشبـه تعالى هـذا الفعل لـو فعله الانسان باقتحام العقبـة أي صعودهـا وقطعهـا[٤] لأن الانسان ينجـو بذلـك كالنـاجي من الـطريق الشاق إذا اقتحم عقبتـه وتجاوز مخـافته وحسن تمثيـل هذا الفعـل ههنا بالعقبة لما شبه تعالى سبيـل الخير والشـر بالنجدين اللذين هما الـطريقان الواضحان والعقـاب إنما تكـون في طرق السـالكين وسبـل المسافـرين وعليها يكون بهر الانفاس وشدة الضغاط والمراس .

(١) سبائخ القطن قطع القطن إذا ندف . لسان العرب .
(٢) ط . خلت من (هنا) .
(٣) من سَغَبَ : جاع . اسغب القوم : دخلوا في المجاعة .
(٤) ط . أوقطعها .

٥٧١ ـ وقـولـه سبحـانـه ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيـلِ إِذَا سَجَى ﴾ .

[الضحى ـ الأيتان ١ ـ ٢]

وهـذه استعـارة ومعنى سجى أي سكن والليـل لا يسكن وإنمـا تسكن حـركات النـاس فيه[١] فأجـرى تعـالى صفة السكـون عليه لما كان السكـون واقعاً فيه وقد مضى الكلام على نظائر ذلك .

٥٧٢ ـ وقـوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَشْـرَحْ لَـكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَـا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّـذِي أَنْقَضَ ظَهرَكَ ﴾ .

[الانشراح ـ الآيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ]

وهـذا القول مجاز واستعارة لأن النبي (ص) لا يجوز ان ينتهي عـظم ذنبـه الى حـال انقاض الـظهر[٢] وهـو صوت تقعقـع العظام من ثقل الحمـل لأن هذا القول لا يكون إلا كنايـة عن الذنـوب العظيمـة والأفعال القبيحـة وذلك غير جائز على الأنبيـاء (ص) في قول من لا يجيـز عليهم الصغـائر ولا الكبائـر وفي قـول من يجيز عليهم الصغـائر دون الكبـائر . لأن الله تعـالى قد نـزههم عن موبقات الآثام ومستحقات[٣] الأفعـال إذ كانـوا أمناء وحيـه والسنة أمـره ونهيه وسفراءه الى خلقه وقـد استقصينا الكـلام على ذلـك في باب مفـرد من كتابنا الكبير فنقول ان المراد هُهنا بوضع الـوزر ليس على مـا يظنـه المخالفـون من كونه كناية عن الذنب وإنما المـراد به مـا كان يعانيه النبي (ص) من الامور المستصعبـة والمواقف الخـطرة في إداء الـرسالـة وتبليـغ النـذارة[٤] ومـا كـان يلاقيه (ص) من مضار قومه ويتلقاه من مرامي ايدي معشره وكل ذلك حرج[٥]

(١) ن . خلت من (فيه) .
(٢) ن . الظهور .
(٣) كذا في النسختين ونظن الأصل ومستقبحات .
(٤) النذارة : الإنذار .
(٥) ن . جرح .

في صدره وثقل على ظهره فقرر[1] الله تعالى بأنه أزال عنه تلك المخاوف كلها وحطّ عن ظهره تلك الاعباء[2] بأسرها واداله من اعدائه وفضله على اكفائه وقدم ذكره على كل ذكر ورفع قدره على كل قدر حتى أمن بعد الخيفة واطمأن بعد القلقة[3] وخرج من حقائق الضغطة الى مفاسح الغبطة ومن عقال الانقباض الى مجال الانبساط فلذلك قال سبحانه ﴿ **ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي انقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك** ﴾ وهذه الامور التي أمتن الله تعالى عليه بأنه فعلها به متشابهة في المعنى لأن شرح الصدر ووضع الوزر اذا كان بمعنى إزالة الثقل من الهم ورفع الذكر أحوال يشبه بعضها البعض فلا معنى لتأول الوزر هنا على انه الذنب والمعصية ولا دليل في الآية على ذلك مع ما في القول به من العمر[4] في مزايا الانبياء الذين[5] قد رفع الله سبحانه أقدارهم وأعلى منارهم والزمنا اتباع مناهجهم وتقبل طرائقهم وتقبل أوامرهم فإن قال قائل ان هذه السورة مكية وكان نزولها وهو عليه السلام بعد في حال الخوف والمراقبة وضعف اليد عن المغالبة قيل له لا يمتنع ان يكون الله تعالى بشره بما تؤول اليه عواقب أمره من انجلاء الكربة وانحسار اللزبة[6] وقوة السلطان وانتشار الاعلام فقام المتوقع من ذلك عنده مقام الواقع لتصديقه وسكونه إلى صحته فزال ما كان يعانيه من اثقال الهموم ويقاسيه من خناق الكروب وهذا جواب مقنع بتوفيق الله وعونه .

(١) ن : فقرر .

(٢) ن . الاعناء .

(٣) الى هذا الموضع انتهت النسخة الطهرانية .

(٤) الظاهر انه الغمز .

(٥) في النسخة الذي وهو وهم من الناسخ .

(٦) اللزبة : جمع لِزَب : الشدة . القحط .

٥٧٣ - وقوله سبحانه ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** ﴾ .

[التين - الآيتان ٤ - ٥]

وهذه استعارة والمراد بها انعكاس صحة أحوال الناس[1] ورجوعه بعد الشباب الى الهرم وبعد الصحة الى السقم وبعد الحفظ الى النسيان وبعد الزيادة الى النقصان فكأنه قد حط[2] عال الى سافل ورد من منصات[3] إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً .

٥٧٤ - وقوله سبحانه: ﴿ **كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ** ﴾ .

[العلق - الآيتان ١٥ - ١٦]

وهذه استعارة لأن صفة الناصية بالكذب والخطأ مجاز والمراد بذلك صاحب الناصية وذلك نظير قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذٍ ناعمة * لسعيها راضية** ﴾ وقد مضى الكلام على هذا المعنى وجاء في الآية ابدال النكرة من المعرفة وهو قليل في القرآن والكلام لأن الناصية الاولى معرفة والناصية الثانية نكرة وهي بدل من الاولى .

٥٧٥ - وقوله سبحانه: ﴿ **وَأَخْرَجَتِ ٱلأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا** ﴾ .

[الزلزال - الآيات ٢ - ٣ - ٤ - ٥]

وفي هذا الكلام استعارتان احداهما قوله تعالى ﴿ **وأخرجت الأرض أثقالها** ﴾ والاثقال هنا كناية عن الاموات لأنهم كانوا ثقلا على ظهر الأرض

(١) كذا ولعل الأصل الانسان .

(٢) كذا في النسخة ونظن أن الأصل (قد حط من عال)

(٣) نظن ان الأصل من منصات الصغر الى الخ .

في حال الحياة . اجرى عليهم هذا الاسم لهم عند حصولهم في بطونها بعد الوفاة أو يكونون انما سموا أثقالاً لأنهم في بطن الارض بمنزلة الاجنة في بطون الامهات واذا جاز أن يسمى الجنين حملا جاز أن يسمى ثقلا لأن المعنى واحد قال تعالى ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما﴾(1) أي صار ما في بطنها من الجنين ثقلا لها وقالت الخنساء(2):

أبعد ابن عمرو من آل الشريد ... حلت به الارض اثقالها

أي زينت به موتاها وقال أبو عبيدة اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كانت فوقه فهو ثقل عليه(3) فتسمية الاموات بالاثقال على أحد هذين الوجهين أما ان تكون هي المثقلة به وأما أن يكون هو المثقل بها وقال غيره معنى قوله تعالى ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ أي لفظت ما فيها من مدافن الاموات والمكنون الى ظهرها والاستعارة الاخرى قوله تعالى ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها ﴾ والمراد بذلك ما يظهر فيها من دلائل انقطاع أحوال الدنيا واقبال اشراط الآخرة فيكون ما يظهره الله تعالى فيها من ذلك قائماً مقام الاخبار ونائباً عن النطق باللسان وهذا كما جاء في الكلام سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حواراً اجابتك اعتباراً فكأن الارض تحدث من يسأل عن أمرها بأن الله تعالى أوحى لها بأن تكون على تلك الصفة التي ظهرت منها ومعنى ﴿ أوحى لها ﴾ أي اوحى الى ملائكته عليهم السلام بأن يظهروا فيها تلك الاشراط ويحدثوا بها تلك الاعلام فلذلك قال ﴿ أوحى لها ﴾ ولو كان الوحي خاصة لها لكان الوجه أن يقال أوحى اليها وقد قال بعضهم ﴿ أوحى لها ﴾ واوحى

(1) سورة الأعراف الآية ١٨٩ .

(2) (٥٧٥ - ٦٤٤) الخنساء من أعظم شعراء العرب . قُتل اخواها معاوية وصخر فرثتهما محرضة قومها على الأخذ بالثأر . لها ديوان اكثره في الرثاء شرحه ابن السكيت وابن الأعرابي والثعالبي . طبع في بيروت (١٨٨٨) .

(3) نظن الأصل (واذا كان فوقها فهو ثقل عليها) .

اليها بمعنى واحد والاعتماد على القول الذي قدمناه لأن الوحي يتضمن اوامر ومخاطبات ولا يجوز أن يؤمر ولا يخاطب الا العاقل المميز والمجيب السامع وليس الوحي الى الارض جارياً مجرى الوحي الى النحل في قوله ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ﴾(1) الآية لأن المراد عندنا بذلك انه سبحانه ألهمها ما اراد منها وهي ما يصح فيه ذلك لأنها حيوان متصرف والارض لا يصح فيها ذلك لأنها جماد خامد .

٥٧٦ - وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَه * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

[القارعة - الآيات ٨ - ٩ - ١٠ - ١١]

وهذه استعارة وهاوية هنا من اسماء النار كأنها تهوي بأهلها الى قعرها وانما جعلت امه لضمها له واشتمالها عليه ويشبه ذلك قوله تعالى ﴿ مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾(2) وقد فسر ذلك سبحانه بقوله : ﴿ وما أدراك ماهيه * نار حامية ﴾ . وقال بعضهم : بل سميت هاوية لهوي المعذبين في قعرها فكان ظاهر الفعل لها وحقيقته لغيرها كما قال تعالى : ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ والمراد مرضية ونظائر ذلك كثيرة وقال بعضهم : إنما خرج ذلك على مخرج كلام العرب لأنهم يقولون للواقع في المكروه والمرتكس في الأمر هوت أم يقولون ويبولون ويل أم فلان ويعني هوت أي سقطت في مهواة وهو مثل قولهم ظلت وهلكت لأن هلاك ولدها كهلاكها وقال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار :

هوت امه ما يبعث الصبح غادياً ... وماذا يواري الليل حين يؤوب

وقال بعضهم معنى ذلك هوت أم رأسه واذا هوت ام رأسه وهي معظم دماغه فقد هوى سائره وهلك .

(1) سورة النحل الآية ٦٨ .

(2) سورة الحديد الآية ١٥ .

٥٧٧ ـ وقوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ .

[التكاثر ـ الآية ٧]

وهذه استعارة على بعض الاقوال وهو ان يكون المراد ثم لترونها بعين اليقين ثم نزع الباء فنصب العين ويكون ذلك من باب قول الشاعر .

(كما عسل الطريق الثعلب)

أي في الطريق ، وقال بعضهم : معنى ذلك على مثال قولهم عين الشيء أي حقيقته وشاهد ذلك قوله تعالى :﴿ وإنه لحق اليقين ﴾(١)وقال بعضهم معنى عين اليقين أي حاضر اليقين ومنه قولهم في المثل : تطلب أثراً بعد عين أي غائباً بعد حاضر وعلى ذلك قول الأعشى (٢) :

ومن لا يصدع له همة ... فيجعلها بعد عين ضمارا

والضمار الغائب والعين الحاضر ومنه الحديث في زكاة الضمار أي الغائب والنسيئة .

٥٧٨ ـ وقوله سبحانه : ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ [الهمزة ـ الآيات ـ ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩]

وفي هذه الأيات استعارات عدة منها قوله تعالى ﴿ كلا لينبذن في الحطمة ﴾ والحطمة اسم من اسماء النار نعوذ بالله منها وانما سميت بذلك

(١) الحاقة ، الآية ٥١ .

(٢) الأعشى هوميمون بن قيس بن جندل والبيت المذكور من قصيدة له وقد جاء صدر البيت في ديوان الأعشيين هكذا : ومن لا تضاع له ذمة . . .

والله اعلم لكثرة اكلها للواقعين فيها يقال رجل حطمة اذا كان كثير الاكل وهذه من صفات المبالغة وقد يجوز ان يكون معنى ذلك انها تحطم كل ما يقع فيها أي تكسره وتأتي عليه ومنها قوله تعالى ﴿ التي تطلع على الأفئدة ﴾ والمراد بذلك ان ألمها ومضضها(١) يصلان الى الافئدة والقلوب ويبلغان منها كل مبلغ ويطبقان كل موضع فكأنها بذلك مطلعة عليها ومخالطة ويقول القائل اطّلعت ارض بني فلان إذا بلغها وقد يجوز ايضاً ان يكون لذلك معنى آخر وهو أن شعب النار تدخل من افواههم حتى تصل الى افئدتهم وقلوبهم ويكون ذلك ابلغ في المضض واعظم للألم وقد قال بعضهم في ذلك معنى آخر وهو ان يكون المراد أن الله تعالى يخلق في النار علماً تطلع به على معرفة ضمائر المعاقبين فتوصل الآلام اليهم على قدر مراتبهم في الذنوب إن كانوا من مفارقي الملّة(٢) أو من يجري(٣) أهل القبلة ويكون الاطلاع هنا بمعنى العلم كما قال تعالى ﴿ اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾(٤) .والمراد أعلِمَ لغيب ومن ذلك قول القائل اطلعت من فلان على معنى قبيح أو معتقد جميل أي علمت ذلك منه ومنها قوله تعالى ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ والمراد مطبقة كما يطبق باب البيت على من(٥) يقال أصدت الباب واوصدته إذا اغلقته ومن ذلك قوله تعالى﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾(٦) أي بالباب الذي يؤصد على احد الاقوال ومنها قوله تعالى ﴿ في عمد ممددة ﴾ وقرىء عُمُد بضم العين والميم والمراد بذلك انها مطلة عليهم وثابتة لهم كما يُظل الخباء المضروب بانتصابه ويثبت بتمديد اعماده واطنابه ويشبه ذلك قوله

(١) من المَضض : وجع المصيبة

(٢) في النسخة من مفارقي الصلة ولا معنى لها .

(٣) نظن الأصل (أو من يجري مجراهم من أهل القبلة) .

(٤) سورة مريم الآية ٧٨ .

(٥) لعل الأصل على من فيه .

(٦) سورة الكهف الآية ١٨ .

تعالى ﴿ إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ (١) وقد تكلمنا عليه فيما تقدم .

٥٧٩ _ وقوله سبحانه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [تبت _ الآية ١] (٢)

وهذه استعارة والتباب الخسران المؤدي الى الهلاك وإنما وصف سبحانه يديه بالتباب وان كا هو المراد بذلك لأن الاعمال في الاكثر إنما تكون بالايدي على ما تقدم من القول في بعض الفصول المتقدمة فلما فعل فعلا يؤدي الى الخسار يقضي الى البوار جاز نسب ذلك الى يديه كما يقال هذا ماصنعت يداك وذق ما جنت يداك وقد تقدم الكلام على ذلك والمراد باليدين هنا المال والملك يقال فلان قليل ذات اليد أي قليل المال والملك فكأنه تعالى أخبر بهلاك ماله وملكه ثم قال تعالى ﴿ وتب ﴾ أي هلك هو أيضاً لانه كان يدل بكثرة أمواله وسعة أحواله فاذا خرج عن ملكه قرب من هلكه ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ ويكون هلاك ماله حكماً لا غرماً لانه اذا كان مجموعاً من غير حله ومأخوذاً من غير وجهه كان هالكاً بائراً وان كان سالماً وافراً .

٥٨٠ _ وقوله سبحانه: ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ .

[تبت _ الآيتان ٤ / ٥]

وهذه استعارة على أحد الاقوال وهو أن يكون المراد بحمالة الحطب هنا أن ما تجمع على ظهرها(٣) الآثام وتحتقب الاوزار من قولهم فلان يحتطب على ظهره اذا فعل ما يجر به الآثام الى نفسه . ومن ذلك سمي الوزر لانه الذنب الذي كان فاعله احتمل بفعله ثقلا على ظهره ويكون ذكر الحبل هنا من تمام المعنى الذي اشرنا اليه أيضاً لانه تعالى لما ذكر الحطب على التأويل الذي ذكرناه جاء بذكر الحبل معه لان الحبل لجمع الحاطب(٤) ما يحتطبه

(١) سورة الكهف الآية ٢٩ . (٢) وتسمى سورة اللهب .

(٣) الظاهر ان الحرف (من) ساقط وكذا من الجملة التي بعدها .

(٤) لعل الأصل (لأن الحبل يجمع فيه الحاطب ما يحتطبه) .

ويضم المحتقب ما يحتقبه وقيل انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فلذلك قيل لها حمالة الحطب والمعنى يؤول الى ما قلناه أولا لانها تستحق على فعل النميمة عقاباً فكأنها احتطبت الاثم على ظهرها من هذه الجهة فكانت النميمة سبباً في استحقاقها العقوبة وقيل أيضاً انها كانت تحمل الشوك على ظهرها فتلقيه في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله ليستضر به في ممشاه عليه وهذا التأويل يخرج الكلام عن باب الاستعارة . وقال ابو عبيدة المسد عند العرب حبل من اخلاط وجمعه امساد وأنشد للراجز(١) :

ومسد أمر من أبايق صهب(٢) عناق ذات مخ زاهق

قيل ان المسد الليف الذي تفتل منه الحبال ان المسد(٣) اسم للفتل نفسه وانما قال تعالى حبل من فتل تمييزاً للحبل المفتول مما يقع عليه هذا الاسم لانه يقال حبل الذراع وحبل العاتق فاذا قيل من مسد علم انه من الحبال المعهودة وخرج من حيز في شاركة وقيل ان المسد حبل من حديد وان ذلك يجعل في عنقها عند دخولها النار واخبر عمرو بن ابي عمرو الشيباني عن أبيه ان المسد محور البكرة اذا كان من حديد فهذا مفسر لقول من ذهب الى هذا الوجه واذا كان الحبل الذي في جيدها من حديد فهو السلسلة فقد قال تعالى « في السلاسل يسحبون »(٤) .

٥٨١ _ وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ . [الفلق _ الآية ٣]

وهذه استعارة والمراد بالغاسق هنا الليل وقيل انه في الاصل اسم لكل وارد بما يستضر به ويخاف منه فسمي الليل غاسقاً لأنه يرد بالمخاوف ويطرق الدواهي في الاغلب والاكثر لأنه يستنهض السباع من مرابضها ويستدلق الهوام من مكامنها الى غير ذلك وما يجري هذا المجرى ومعنى وقب أي

(١) ذكر صاحب لسان العرب ان الراجز هو عقبة البهيمي وذكر الرجز هكذا

ومسد أمر من ايانق ليس بانياب ولا حقائق

(٢) الصهب : الذي يخالط بياضه حمره . (٣) كذا في النسخة ولعل الأصل أو ان المسد .

(٤) راجع الآية ٧١ من سورة غافر ونصها : ﴿ إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون ﴾ .

دخل بما يدخل بـه مما اومـأنا الى ذكـره يقال وقب يقب وقـوباً اذا دخـل وقال بعضهم الكوكب وانما سمي الليل به لأنـه لا يكون إلا بـالليل والاول اصـح لأن الغسق اسم للظلام ويقال غسق الليل اذا اظلم .

٥٨٢ ـ وقوله تعالى:﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ ﴾ .

[الفلق ـ الآية ٤]

وهـذه استعارة عـلى احد التـأويلين وهو أن يكـون المراد بـذلـك في قـول بعضهم الاستعـاذة من شر النسـاء اللاتي يفسخن عـزائم الـرجـال بمكـرهن وينقضن ايـديهم بكيدهن وعقـد الرجـال هنا كنـاية عن عـزائمهـا ومـواضـع الثبـات والتماسـك منها وذلـك تشبيه بمـا يلقيه النـافث من ريقه عـلى العقدة تكون في الحبل ليسهل انحلالها وينطلق انعقادها .

٥٨٣ وقـوله تعالى:﴿ مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ .

[الناس ـ الآيتان ٤ ـ ٥]

وهذه استعارة والمراد بالوسواس هنـا الكلام الخفي الـذي يلقيه الشيـطان و الانسـان الشبيـه بـه في اقصى اذن السـامـع فيلفتـه عن رشـاد ويصـرفـه الى ضلال والوسوسة كالهمهمة وقال رؤ بة :

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق

(١) جاء الشطر الثاني لهذا الرجز غير واضح فآثرنا حذفه من هنا لكونه غير موضع استشهاد .

والخنـاس هنا صفـة للوسواس والمراد بـه الـذي يخنس في القلب ويسكن في الصـدر أي يستتر ويستجن يقـال خنس فـلان عن اصحـابـه يخنس خنـاسـاً وخنوساً اذا تغيب عنهم وقد قيل ان الـوسواس هنـا اسم للشيطان نفسـه فيجوز أن يكون انما سمي بفعله لكثرة وقوعه منه وشياعه عنـه وقيل الـوسواس بـالفتح الشيـطان والوسـواس بالكسـر المصدر وجـاء في الخبر ان الشيـطان يـوسـوس في العبد فاذا ذكر العبد ربـه خنس وقبع وانقبض وقيـل ايضاً ان المـراد من شر ذي الـوسواس وهـو الشيطان أو الانسـان فحذف ذي لـدلالة الكـلام عليه واشـارته اليه .

قال الشـريف رضي الله عنه وهـذا آخر مـا وجدنـاه في القرآن من الالفـاظ المستعارة والمجازات الموضوعة مواضع الحقيقة ونحن نواصل حمد الله تعالى عـلى توفيقنا لاستطلاع كوامنها واستخراج دفائنها وهدايتنـا من ذلك الى الغـرض الذي مـا رمى اليه رامٍ قبلنـا والمضمار الـذي ما اجرى فيه مجرٍ غيرنـا ومنه سبحـانه نستبغ النعم ونستوهب العصم ونستهـدي الطريق الاقوم وما تـوفيقنا إلا بـالله وهو حسبنا ونعم الـوكيل وكـان الابتداء بتصنيف هـذا الكتاب في يـوم الخميس لعشـر ليالٍ تبقى من شعبـان سنـة احـدى وأربعمـائـة والفـراغ في يـوم الأحـد لثـلاث عشرة ليلة تخلو من شـوال من هذه السنـة عـلى مـا تخلل هـذه المـدة من اعتراضات العوائق واقتطاعات الشواغل واختلاط الـدواعي بالصـوارف والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنامحمد وآله الطاهرين .

وقد فرغ من تسويد هذا الكتاب المستطاب العبد المحتـاج الى ربه القـوي محمد بن احمد الموسوي للمخدوم الاوحد الحـاج اقا سيد عبد الصمـد دام عمره وفضله وتـوفيقه بـدوام الامد بمحمـد وآله في يـوم الثلاثـاء الثامن من شهر رجب السنة السـابعة والثمانين بعد المـائتين والألف والتمس الـدعاء بـالمغفرة ممن ينـظر اليه والسـلام .